مخطوطة كتاب
إيقاظ الناس إلى شرف بني العباس في السودان

تأليف

أحمد الأمين الشيخ محمد

(١٨٨٧-١٩٤٦)

اعداد وتقديم

د/ احمد المعتصم الشيخ

طباعة ونشر

د/ عمار السجاد الشيخ

مخطوطة كتاب
إيقاظ الناس إلى شرف بني العباس في السودان

تأليف

أحمد الأمين الشيخ محمد
(١٨٨٧-١٩٤٦)

اعداد وتقديم

د/ احمد المعتصم الشيخ

طباعة ونشر
د/ عمار السجاد الشيخ

مخطوطة كتاب إيقاظ الناس إلي شرف بني العباس في السودان

تأليف

أحمد الأمين الشيخ محمد ١٨٨٧ - ١٩٤٦م

إعداد وتقديم

دكتور أحمد المعتصم الشيخ محمد

طباعة ونشر

دكتور عمار السجاد الشيخ محمد

أعد النسخة المنقحة بصيغة PDF

دكتور الفضل خليفة الشيخ محمد

المحتويات

كلمة المؤلف

لم أتكلف في مؤلفي هذا الإعراب وملاحظة العوامل لأن البضاعة في ذلك مزجاة، أسال النحاة المعربين أن يوفوا لنا الكيل ويتصدقوا بتصحيح عباراته، إن الله يجزي المتصدقين. تكلمت فيه بسليقتي، وسليقة الذين سكنوا السودان من العرب لا تخلو من اللحن، كما قال بعض علمائنا النحو سيرتنا واللحن عادتنا، فلا نترك عادتنا لسيرتنا، معذرة للنحاة، والعلماء، وقبول العذر من شيم الكرام وبضدها تتميز الأشياء.

أحمد الأمين الشيخ محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

(بنى العباس) الذين يتحدث عنهم مؤلف هذا الكتاب هم من عرفوا باسم العبابسة فى مناطق الرباطاب والمناصير والجعليين.

وبالرغم من أن الانتساب للعباس فى السودان شائع في مناطق شتى، إلا أن العبابسة هؤلاء يشكلون مجموعة أسر بارزة فى هذه المنطقة. وإذا كان العباسيون فى السودان يرجعون بنسبهم إلى العباس عن طريق جدهم إبراهيم جعل، فأن العبابسة ينفردون بحصر نسبهم فى انتمائهم للعباس عن طريق سلسلة الخلفاء العباسيين، ولذلك يطلق عليهم في بعض الأحيان العباسيين الهارونيين، نسبة إلى جدهم هارون الرشيد. تشير وثائق العبابسة وتراثهم الشفاهى إلى أن أول من دخل السودان من أجدادهم هو الشيخ شرف الدين، الذي جاء إلى السودان من صعيد الريف المصرى من مدينة اسوان، ثم تنقل فى المنطقة النوبية حتى وصل إلى الكاسنجر من أرض الشايقية، والتي تصنفها الوثائق بأنها فى طرف بلاد (السودان) حيث استقر هناك.

والتاريخ الذى يحدد لوصوله أنه جاء فى زمن العنج، والإشاره لهؤلاء العنج تدل على أنه وصل فى أواخر الفترة المسيحية. ويبدو أنه لم يتمكن من الدخول إلى منطقة التكاكى الرباطاب التى كانت فى ذلك الوقت تتبع لمملكة علوة التي كانت حتى ذلك الوقت مملكة مسيحية.

وتشير بعض الوثائق إلي أن العنج سمحوا لأولاد الشيخ شرف الدين بالدخول إلى منطقة التكاكى، ولكن من الواضح أنهم لم يسمحوا لهم بإنشاء مؤسسات دينية خاصة، وإنما سمح لهم باستغلال الأراضي المهجورة نظير أجرة يدفعونها لملوك العنج، وقد استمر حالهم هكذا مجرد مزارعين مسلمين في مجتمع تغلب عليه المسيحية حتى نهاية زمن العنج وظهور الفونج الذين سمحوا لهم بانشاء مؤسسات اسلامية في شكل خلاوي.

ونصبوا لهم الجاه كأسرة دينية تحظى مؤسساتها وخلاويها بالاعتراف الرسمي، وتم منحها استحقاق المؤسسة الدينية، في الإعفاء من الضرائب، والحماية لممتلكاتها وحرمة مكانها، وأصبحت تحت مظلة الحماية التي تفرضها الحكومة المركزية في سنار للمؤسسات الدينية. وقد أهدى لهم أحد ملوك سنار مصحفا مكتوبا في العاصمة السنارية، مما يدل علي أهميتها كمؤسسة دينية تحظى بالاعتراف الرسمي.

وفي الجانب الآخر قام الملوك المحليون بإهداء أراضى في شكل صدقات لهذه الأسر الدينية، واحترموا وضعهم الاجتماعي والدينى المتسق مع الموروث القديم في احترام المؤسسة الدينية، كالمعابد والكنائس المسيحية التي ورثت الخلاوي دورها المتفرد كمؤسسة دينية لها دورها الهام من ضمن مؤسسات المجتمع في المنطقة.

واستطاع العبابسة تأسيس عدد من من الخلاوي في منطقة التكاكي (الرباطاب) وسموا لذلك بعبابسة التكاكي.

وقد تصاهروا مع المجموعات التي سكنوا وسطها واندمجوا فيها، حتى أصبحوا يعتبرون من ضمن المجموعات الأصيلة في المجتمع، بالرغم من تميزهم بالاشتغال بالدين والقيام بأمر الخلاوى، في مقرات وفي الطوينة ونبارى وفي مري وكرقس

وندي، ثم تفرعت لهم خلاوي في منطقة المناصير باسم الفريعاب، وفي منطقة الجعليين باسم الحماراب في وهيب، ولهم خلاوي جنوب سنار، وسميت ود العباس باسمهم، واشتهرت خلاوي العبابسة بالتميز في تدريس علم العقائد (التوحيد)، بجانب تحفيظ القرآن، وبعض الفقه، ولهم مؤلفات متداولة في هذه العلوم يرجع اليها.

وقد أشار أبو سليم الى أنه عندما أفلت مدارس الشايقية أخذت دورها مدارس الأبواب (التكاكى) التى كانت مركزا رئيسيا لخلاوي العبابسة.

وبالرغم من أن خلاوي العبابسة كانت مشهورة كمدارس دينية رئيسية، إلا أنها كانت محدودة في حيزها المكانى، ويمكن إرجاع السبب فى ذلك إلى أنها ظلت مراكز علم، لم تتخذ لها طريقة صوفية معروفة، مثل الكثير من البيوتات الدينية في وسط السودان.

<u>مؤلف الكتاب :</u>

مؤلف هذا الكتاب هو أحمد الامين الشيخ محمد، ويرجع في نسبه إلى جده الحاج سعد العباسى المذكور فى الطبقات الترجمة (١٦٦).

وهو الابن الثانى في الترتيب للشيخ محمد، خليفة خلاوي ندي في الفترة من نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، الذى ازدهرت الخلوة في عهده ازدهارا كبيرا. ولد المؤلف حسب إفادته في سنه ١٣٠٧ هجريه (١٨٨٧م) وتوفى في نهاية عام ١٩٤٦م. ويبدو أنه درس فى مرحلتة الأولي في خلوة والده في ندي، ويشير إلي أنه أخذ بعض العلم في رفاعة، وفي سنار لفترات لا يبدو أنها طويلة. وقد عاش فترة في مدينة الأبيض وتزوج بها وأنجب أبنا وابنة، واختلط بمجتمعها وتدارس مع علمائها، ومن ثم ذهب

إلي مدينة القضارف وعاش فيها فترة، وخلق لنفسه فيها مجموعة من الدارسين، وتزوج فيها ورزق بنتا وولدا، وأوجد لنفسه مكانة علمية، وما زالت أسرته هناك يقال لها أسرة العالم.

وبعد وفاة والده عاد إلي قريته في ندي ثم عاد إلي تسفاره، ولكن صلته ما زالت قوية ببلده الأم (ندي)، وفي مرحلة أخري تزوج فيها وأنجب بنتا توفى بعدها بفترة قصيرة.

وعرف عن المؤلف اعتداده بنفسه وبأصوله العباسية وباسرته الدينية، ومن خلال كتابه نرى هذا جليا، مما أضفى عليه روحا من المشاغبة، وقد كان يعتقد أنه أحق بخلافة الخلوة حتى من والده وأخيه الاكبر، وقد أدخلته هذه الروح المشاغبة في مشاكل يحكيها فى كتابه، ولكن رغم ذلك فقد أجمع معاصروه على أنه كان شخصا محبوبا، يتمتع بالكثير من الصفات الخيرة، وكان يهتم كثيرا بالشباب النابهين فى الأسرة وخلق صلات حميمة معهم.

عن المخطوط:

المخطوط الذي بين أيدينا الآن لم يظهر للتداول فى حياة المؤلف نفسه، وفى أثناء جمعى لمخطوطات من منطقة الرباطاب، ومخطوطات خلاوى العبابسة، كانت هنالك إشارات قوية إلى أن المؤلف كان لزمن طويل يؤلف في كتاب عن العبابسة، وقد سألت اخوانه و أبناءه ومعاصريهم عن مصير المخطوطة. إلا أن أحدا لم يعرف ما آل اليه أمر هذه المخطوطة.

وفى عام ١٩٨٣ أعلمتنى ابنته (أم المكارم) أن أوراق أبيها محفوظة لدى والدتها (فاطمة) بنت ود (الخزين) آخر زوجات المؤلف، والتى توفى عندها، وكانت تتكتم على مكان كتب وأوراق زوجها التى اعتبرتها نوعا من الأمانة عندها، وعندما سمحت لنا برؤيتها وجدنا حقيبة من الحديد لم تفتح منذ وفاته لما يقارب الأربعين عاما، وكانت محفوظة بشكل جيد مما حافظ على محتوياتها التي تتكون من مجموعه من الكتب والاوراق، ومجموعة من المخطوطات يمكن تصنيفها في مجموعة من الأوراق بخط المؤلف، ومخطوطات منها كتاب (النبر العباسي) وكتاب الإبانة النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية.

ومخطوطات أخري عن مناقب السيد محمد عثمان الأقرب عن السيد الحسن ابن السيد محمد عثمان، ومجموعة من مخطوطات الطريقة الختمية، بالإضافة الى نسخة من كتاب الطبقات.

ومن المقتنيات اللافتة للنظر مجموعة من المجلات المصرية كمجلة الرسالة، وكلها محفوظة بعناية تامة.

بالرغم من أن المؤلف عمل مدة طويلة في تأليف الكتاب إلا أنه توفي قبل أن يتيح هذه المخطوطة للتداول في مجتمعه الصغير، ولذلك بقيت المخطوطة غير معروفة.

والنسخة الوحيدة للمخطوطة هى التى عثرنا عليها ضمن مقتنيات المؤلف، وتتكون من مجموعة من المسودات التي احتاجت الكثير من المضاهاة للوصول إلي الأصل فيها.

والمؤلف كما يشير في مقدمته قسم مؤلفه إلى جزئين، الجزء الأول خصصه لتاريخ الخلفاء العباسيين في بغداد، وهذا الجزء قام بكتابته في دفتر فلسكاب كبير، ورتبه في صورة نهائية.

أما المخطوط الحالي والذي سماه الجزء الثاني فهو مكتوب في دفترمن الدفاتر المسماة دفتر الأستاذ حوى المقدمة وبعض الفصول.

ثم لجأ بعد ذلك للكتابة في أوراق كبيرة في شكل مسودات، قام مؤخرا بنقلها في عدة كراسات صغيرة من كراسات التلامية العادية.

واستعمل في الكتابة قلم البوص والحبر (العمار) من الدواة التي تستعمل في الخلاوي والخط فيها جيد ومقروء.

وبعد عمل مضني وجهد من المعاناة توصلت إلي أن المخطوط الحالي هوالنهائي للمؤلف.

و قمت بنقل المخطوط بخط اليد، ثم دفعت به للطباعة بالآلة الكاتبة، ثم صورت منه عددا من النسخ للتداول، وقمت بإضافه كلمة (السودان) لعنوان المؤلف، لإن غرض المؤلف في هذا الجزء يختص بتاريخ العبابسة بعد دخولهم السودان وانتمائهم لجدهم الشيخ شرف الدين وتطور الأسرة الدينية.

منهج المؤلف:

يمكن وضع المنهج الذي اتبعه المؤلف ضمن ما يمكن أن يطلق عليه منهج المؤرخين التقليديين الشعبيين الذين تصدوا لكتابة التاريخ و المناقب والأنساب.

وقد اشتهر العديد منهم في السودان مثل (أحمد كاتب الشونة) و (محمد النور ود ضيف الله) و (أحمد بن محمد المشهور بالنبر) و (مدنى (القلوباوي) و (عبد الله الخبير) و (الفحل الفكي الطاهر) و (محمد عبد الرحيم).

وغيرهم من المؤلفين السودانيين الذين كان جلهم من المتعلمين من خريجى الخلاوي ومدارس العلم السودانية، والذين كانت ثقافتهم من هذا المحيط الدينى والاجتماعي الذي كان يعتمد علي الموروث العربي والاسلامي الذي زخرت به مكتبات هذه المؤسسات التعليمية التقليدية.

المؤلف كما يقول اعتمد علي كتاب (النبر) الذي ألف كتاباً عن تاريخ العبابسة، وهو من مؤلفى النصف الثانى من القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي).

ومن قراءة الكتاب نرى أنه يشير إلى مؤلفات (عبد الله الخبير) الذي كتب عن العباسيين في السودان.

ويشير إلى مؤلفين آخرين وخاصة في الأنساب من أمثال الأزهري.

وللمؤلف أيضا مكاتبات مع المؤرخ محمد عبد الرحيم. وبالإضافة إلى هذا التراث السودانى نجد المؤلف يشير إلى العديد من المؤلفين العرب المسلمين من أمثال (ابن حجر العسقلاني) و(السيوطى)، الذين اعتمد عليهم في الجزء الأول من تاريخ الخلفاء العباسيين.

وبالاضافة إلى هذا الموروث المكتوب والمدون نجد أن المؤلف قد اعتمد اعتمادا واسعا علي الروايات الشفاهية التي جمعها من المعاصرين له، والمتداولة في منطقته وحفظ لنا الكثير منها.

وبالرغم من أن الموضوع الأساسي للمؤلف هو تاريخ وأنساب العبابسة، إلا أنه تعرض فى أبواب اخرى لتاريخ الرباطاب والجعليين، وتطرق لبعض العادات والتقاليد، بالإضافة إلى استطرادات شخصية. ويمكن القول بأن منهج المؤلف يوافق فى مجموعه منهج المؤلفين التقليديين الذين اطلع على كتاباتهم، و السمات العامة للكتابات السودانية لهؤلاء المؤلفين، الذين كانوا يتشابهون في خلفياتهم الثقافية والاجتماعية.

أهمية المخطوط:

المخطوط الحالى يعتبر إضافة هامة لما نعرف من المخطوطات السودانية التى تعرضت لتاريخ السودان، وحفظت لنا الكثير من اللمحات التاريخية والروايات الشفاهية، التي لابد أن نضعها في موضعها الصحيح ضمن مصادر كتابة تاريخ السودان، والتى لاغنى لأي دارس من وضعها فى الاعتبار، وتقدير قيمتها العلمية الكبيرة، لما تحوى من معلومات أكثر تفصيلا من تلك اللمحات التي نجدها عند الرحالة، أو في الوثائق الشحيحة.

الخاتمة:

هذه المخطوطة التي نقوم بنشرها الآن لم تكن معروفة قبل العثور عليها في عام ١٩٨٣م.

وننشرها هنا بحالتها الراهنة، قبل إخضاعها للتحقيق العلمي أو التنقيح، مؤملين أن يكون هذا النشر المحدود لها حافزا لكل من له معلومات إضافية تساعد في التحقيق أن يمدنا بها، وخاصة أبناء العبابسة المنتشرين في بقاع السودان المختلفة الذين أشارت لهم هذه المخطوطة، وإتاحتها للأخرين من الذين يتعاملون مع الانترنت في مواقع العبابسة المختلفة، حتى يتم تداولها وتوفير المعلومات التي تساعد في تحقيقها بصورة أفضل في طبعة ثانية محققة باذن الله.

خطبة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

الحمد لله الكبير المتعال، الذي نسب نفسه بنعوت الجلال والجمال، والعظمة والكمال، وشرف المتخلفين بأخلاقه العلية، المتأدبين بآدابه الدينية، المتمسكين بقوانينه الشرعية، بشرف لا يدانيه مدان، شرف تغنت به الحور في الجنان، قبل أن يوجد الثقلان، ألا وهو شرف محمد صلى الله عليه وسلم، الذي خلقت لأجله الكائنات، ووضع نوره في الطاهرين والطاهرات. فمن اجتمع مع ذلك النور أو حل في محله، في صلب أو رحم شرف بقدر اكتسابه من ذلك النور، كما تراه مبينا إن شاء الله تعالى في ذلك المسطور، بل ذلك النور الذي استمدت منه الأرواح، قبل وجود الأشباح، وعمت بركتها فتهيأت للإصلاح والصلاح.

فالعرب صفوة الله من خلقه لذاك، وأذكاهم عقولاً ، وأشرف الناس وأبعدهم عن الرزائل شباباً وكهولاً، قد ارتضاهم الله سدنة لأول بيت وضع للناس، كما ارتضاهم قرابة لنبيه صلى الله عليه وسلم، وطهرهم من الأدناس. فلقد قال حبر الأمة وأعلمهم بالكتاب والسنة، بشهادة الصحابة وخيار الناس، أعني به عبد الله بن عباس رافعاً إلى حبيبه ومولاه " إن قريشا كانت نورا بين يدي الله قبل أن يذرأ الله الأنام، ويخلق آدم بمئتي ألف عام، يسبح ذلك النور، وتسبح الملائكة لتسبيحه على الدوام"، وكلاما هذا معناه إلى آخر ما قال فى ذلك المقام، وقال جل شأنه تنبيها لعباده وأدباً "قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى"، والصلاة والسلام على القائل" إن الله اصطفى من

العرب كنانة، واصطفى من كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار من خيار. أنا سيد ولد آدم ولا فخر" أو كما قال.

أما بعد، فيقول أسير ذنبه، الذي ماله إلا عفو مولاه، لأنه جلت نعمته وعظمت عطاياه، ليس عفوه مختصا بمن أطاعه ووالاه، بل لمن شاء من خلقه وإن عصاه، فذاك تراب الأقدام، المتطفل على موائد الكرام، من مؤلفات العلماء الأعلام، عبد ربه الواحد الصمد، أحمد الأمين بن الخليفة الشيخ محمد، خليفة الولي الكامل الحاج سعد، أسعدنا الله بجاههما إلى الأبد، وجعل مددنا متصلاً إلى ولد الولد .آمين.

قد رأيت الكتب القديمة والصدور السليمة مشحونة بفضائل العباسيين، ورأيت الشيخ أحمد النبري من المتقدمين المعاصرين لجدنا الفكي محمد، ومن تلامذة الشيخ محمد بن الطريفي العركي المشهور، الذين هم في نصف القرن الثاني عشر، قد ألف كتاباً في فضائل العباسيين في السودان وأنسابهم وإلحاق الفروع بأصولها، واختصر رحمه الله تعالى وأجاد، جزاه الله تعالى خير الجزاء، ولكن قد تقادمت العصور، وصرنا فى عصر جديد، كثرت فيه الشرور، فصار الجاهل آمراً والعالم مأموراً، لا ينهى عن المحرمات، ولا تُراعي الحُرمات، مع دواعي أخرى، كقول أهل الإنتساب لماذا خصصته باسم العباسيين سوانا، ونحن الجعليون والرباطاب، حتى صار الجاهل منا في شديد من الارتياب، يهمل نسبه المؤيد بالصالحين، والخلفاء العباسيين، الذي كأن في تفاصيله الياقوت والمرجان، ويدعي أنه من أبناء عدلان، وعرمان، فأدى ذلك إلى كثير من الاشتباه. نعم إن كان الأصل واحدا، فبيت الخلافة أعظم ممن سواه. إذ جملة من هذه الأسباب دعتنا لذلك، والله أعلم بما هنالك، فكثير من الناس يجهلون فضل أولئك الجماعة المشهورين بالعباسيين، ويجهلون سبب اختصاصهم بهذا الاسم دون غيرهم،

مع كثرة المتمشدقين في زماننا، ومناقشاتهم التي يصدق عليها قول من قال: بحث حتفه بظلفه، فعلامة الشرف والتواضع واللين، وتفقد الأرامل والأيتام والمساكين، والتدين والتخلق بأخلاق الصالحين، مع الشهامة وعزة النفس، فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين. فسلالة الخلفاء من بني العباس هم أحسن الناس في التقوى، أسلافهم والأحفاد، كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى في سيرة الأجداد، والذين من بعدهم، بل لا تكاد تجدهم في جميع البلاد، إلا وهم العلماء والمعتقدون والحفاظ الذين يؤمون الناس في الجماعات والأعياد.

ومما دعاني لتأليف هذه العجالة بعد تنازع العوامل التي ذكرناها، أن أناسا في السودان عالجوا التأليف والتعرض لأنساب العرب ذكروهم ولم يميزوهم بما امتازوا به، لم يفعلوا ذلك حسماً للمادة ووفاءاً للبيان حقه، ولا يخلوا ذلك إما جهلا بحالهم، أو حسدا لما فضلهم الله به من شرف التقوى والأصالة، فخفت أن يضيع النسب كما ضاعت كثير من الأنساب، وبلغت إلى حد الارتباك والتأويل. سألت كثيرين من بني العباس أن ينتبهوا لما ذكرته كلما اجتمعنا افاوضهم في ذلك الموضوع، ليس ضانا بنفسي عن خدمة الجمهور من أقاربي، لكني مستصغر لها أن تقدم لأمر بين هؤلاء العلماء الأعلام، وأحب إلى أن أكون مساعدهم بل خويدما لهم، فأبي الله إلا أن تدفعني كثرة الحوادث، وتجدد المناقشات والبواعث، وقد طال الانتظار، والله يفعل ما يشاء ويختار.

الآن استخرت الله في يوم الجمعة الموافق ٢٢ من جمادى الآخر سنة ١٣٤٦هـ، سنة وفاة الوالد بمسجدنا المعلوم بنادي، فانشرح صدري بذلك، معترفا بتقصيري وقلة إطلاعي، فرحم الله أمرءا قبل عذري وأصلح خطأي، من غير تعسف ولا حسد لي، والله المسؤول أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وسبباً للفوز بجنات النعيم، ويحي به

الذرية لإطلاعهم على سيرة أسلافهم الكرام، ليدأبوا على أعمالهم ويتصوروها، ومن لم يقبل على الله بملاطفات الإحسان، قيد إليه بسلاسل الامتحان. فيا أيها المعترض انظر إليه بعين الإنصاف، واترك الأنفة فإنها مذمومة، ولا تقع في أعراضهم فإن لحومهم مسمومة، وسميته إيقاظ الناس إلى شرف بني العباس، وقصدي بمشيئة الله أن أذكر الأصول، وأجمع الفروع بها، على نحو ما نحاه الشيخ أحمد النبري، المشهود له من كل العارفين بالولاية والتقوى، بل نقل كلامه برمته عند المناسبات، جعلناه كالأساس الذي نبني عليه، لأن صاحبه من المحققين الثقات، وسنذكربتوفيق الله وتيسيره شيئاً من مكارم المتقدمين، والخلفاء المشار إليهم من سيد المرسلين، بعد تصفيتها من أقوال المفترين، ومن لا ورع لهم من المؤرخين، وسنذكر شيئاً من سيرتهم وورعهم وانقيادهم للحق، وبعضا من خطبهم وبلاغتهم، ومدح الناس لهم، ومحبتهم، مع خالص أعمالهم ونجاحهم، فنصل ذلك منها بمناقب المتأخرين، ما علمناه محققاً، وسمعناه متواتراً إلى عصرنا هذا، من كراماتهم وزهدهم وورعهم وصلاحهم، ليتحقق أنهم سابقون إلى الخيرات، وأنهم عريقوا الأصول وإن تغيرت الألوان واللغات، وما سميته بهذا الاسم إلا لأن هذا الشرف قد عفى أثره واندرس خبره، فأخواننا العلويون من بني فاطمة ينظرون إلينا بعين الازدراء والانتقاص، إلا نادرهم من الصلحاء وأهل الإخلاص، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يخصهم بالشرف دوننا، بل جعل لنا فيه الحظ الوافر قديما وحديثاً، وقمنا بواجبات الشرف والحماسة الدينية في جميع العصور، ولا يعلم في جميع الأمم تاريخ أبهى وأجل من تاريخ بني العباس، الذين هم بنور النبوة يشرفون، وبأحكامها يقومون أنفسهم وبآدابها يتأدبون، كيف يقابلون بني عمهم بهذا الجفاء، ونور رسول الله أصل لجميعهم، وهوأصل منبتهم، وأكثرهم بمكانة من العلم والدين تكفي في رفع منزلتهم، ولو لم يكن ذلك، أليس يجب اتباع قوله عليه الصلاة والسلام "أكرموا

عزيز قوم ذل وغنياً افتقر" فإنا لله وإنا إليه راجعون، ما لهذا الزمان انعكست أحواله، وأخفر جاره، فقلة الاكتراث بالأشراف العباسيين، وإهانتهم، كتعظيم أهل الطرق الجاهلين عندنا في السودان، وإهانة العلماء العاملين. فإن هذه العادة التي شرها استطار إلى يومنا هذا هي عادة النوبة والبجا، فما كان الأحرى بالسادة أن يشركوا ذرية عمه معهم في الشرف براً به، وبقرابته صلى الله عليه وسلم. أفمن الواجب أن يثبته غيرهم وهم ينفونه بقرائن الأحوال، أم من الواجب أن يشركوهم معهم ويراعوهم بعين الحرمة والإجلال، فإن بني العباس هم السبب في إظهار الشرف الذي كادت بنو أمية أن تمحو أثره بقتل الأئمة من الأشراف، وبث الأحاديث المكذوبة على الرسول صلى الله عليه وسلم. فبنو العباس هم السببب في تدوين العلوم، وهم السبب في تنقيح الأحاديث، وهم السبب في فتح باب التآليف، والإكثار منها في جميع الفنون، نشأ ذلك من علمهم وإشرافهم على مؤلفاتهم، وبذلهم في استجلاب الحفاظ من العلماء، ورواية الحديث بالتسلسل، وإبادة الزنادقة والطاعنين في صحيح السنة، وتولية المرشدين، وتعظيم أوامر العلماء العاملين، لهذا جعل بعض المؤلفين تراجم الأئمة الأربعة تبعا لتراجمهم، ومن نتائج ملكهم، كما فعل صاحب "حماة الإسلام" وغيره. وفي زمنهم انتشر طريق الصوفية والتكلم في الحقائق، وعظمت سيادتهم في جميع النفوس، حتى في نفوس العارفين من الأولياء. قال الشعراني " كان الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره، لا يقوم لأحد إلا للخلفاء العباسيين"، وبالجملة فان بني العباس هم الذين بالغوا في تعظيم العلماء والأشراف، إلا من خرج عن الإمام بعد انعقاد البيعة وانتظام الأمور، فقد أباحهم الشارع دمه، يشهد بجميع ما قلته التاريخ، وكل من له قلب سليم. فتعظيم بني العباس اجتمعت عليه الأمة من الصحابة والتابعين، واقتفى أثرهم العلماء العاملون، والعارفون

من الصالحين، فكفى معظمهم الاقتداء بهؤلاء الأئمة الأعلام، وكفي محقرهم اتباعه السفلة السخفاء اللئام، قال الشيخ اللقاني في الجوهرة:

فتابع الصالح ممن سلفا وجانب البدعة ممن خلفا
فكل خير في إتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

وقيل:

فإن وجدت في بني العباس طالحاً فقد كان أبوهما صالحاً

فيا بني العباس الواقفين على كتابي هذا، ناشدتكم الله أن لا تجعلوه ذريعة إلى المفاخرة والمباهاة ، فليس ذلك من غرضي، وإنما الأعمال بالنيات، بل غرضي الوحيد إيصالي لما لكم من الأرحام، وتنبيهي إلى إقبالكم إلى ذي الجلال والإكرام، ولتطردوا عنكم التهاون والتواني والكسل، فإن صدق البشائر العمل. فإن فاتتكم الخلافة والحكم في الناس، فلا يفوتكم الزهد واقتفاء آثار الصالحين من بني العباس، قال في حماة الإسلام " دعوة الأمة للنظر في ماضي أمرها وأولية شأنها لتعلم من هي، عساها تخجل من أن تكون خاتمة سوء لذلك المفتتح الشريف، عساها تأسف على حالها من كونها أصبحت بمنزلة السفيه، ولي ملكاً فلم يحسن سياسته، ورزق سعة من المال فلم يدبر أمر تنميته، هذا الباب من أحسن الأبواب التي تثقف لأفكار الأمة، وأقرب ما تتربي على خيرها طباعها، فإن تذكارها بمجدها القديم، وتمثيل عزها السابق لها، وتشخيص مجدها السابق أمام عيونها، يدعوها بلاشك للتنافس بخلالها الحميدة السابقة، وأحسن رادع للإنسان عن شهواته أن يلتفت وراءه، فيجد في أمته وملته العلماء والحكماء والعظماء، عاشوا ولا شغل لهم إلا مجداً أقاموه، وعزاً شادوه، وشرفا حفظوه، وأكبر مسهل له لاحتماله الضيم والذل، جهله بحالة نفسه، ونسيانه جهد آبائه وأجداده، حتى تسترت عنه

جملة طباعهم، ولم يذكره مذكر بأعمالهم الشريفة ليأنف عن إتيان الدناءة، ومخالفة طباعهم الجميلة، وأخلاقهم الطاهرة" انتهى كلامه وتعيها أذن واعية. وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله قد فرغنا من الجزء الأول[1] وسنستقصي البحث إن شاء الله في الجزء الثاني، ولا بأس أن نصدر كتابنا بقول من قال "لا يعري ذو كمال من نقص، ولا يخلو ذو نقص من كمال، فلا يمنعك نقص الكامل من استفادة كماله، ولا يرغبك كمال الناقص في الميل إلى نقصه". ولقد كتب القاضي عبد الرحيم الفاضل بن العماد الأصفهاني الكاتب معتذرا من كلام استدرك عليه وقال "إنه قد وقع لي شيء وما أدري أوقع لك أم لا؟ وها أنا أخبرك به، وذلك إني رأيتُ أنه لا يكتب أحد كتاباً في يومهِ إلا قال في غَدِهِ: لوُ ُغَّيرَ هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يُستحَسن، ولو قُدَّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِك هذا لكان أجمل. وهذا أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر."

(1) يشير المؤلف إلى أنه كتب جزءا أول لهذا الكتاب يحتوي على تاريخ الخلفاء العباسيين في فترة خلافتهم في الدولة العباسية

فصل في سبب إتيان بني العباس للسودان

وهذا الفصل كالباب في هذا الكتاب فانظره بإمعان هدانا الله وإياك إلى الصواب، فإن قال قائل لماذا بنو العباس، بعد أن كانوا في أبهة الملك، والبلاد الرائقة، والحدائق الملتفة، فروا إلى السودان، ولم يجدوا ملجأ غيره، مع اتساع البلدان وشهرة شرفهم وبعد صيتهم ؟ فنقول : الأسباب التي دعتهم إلى ذلك كثيرة، نذكر منها ما وصل إلينا علمه متواترا مع التحقيق، وصحة النقل، واختيار الأقوال، والبعد عن الحشو، وأقوال الكاذبين، وملاحظة البراهين القوية، وإن خالف ذلك جمهور الناسبين العوام، مع صحة المصادر التي عليها الاعتماد من العلماء والخواص، ونعرض عن كل ما يدعو إلى المناقشات، إذ كثيرا ما راعينا في مؤلفنا هذا سد الذرائع وإقفال باب المناقشات، إذ أحق ما يُمدح به شرف العلم والتقوى، قبل أن يزين الباطل وتحل البلوي، إذ من الملعوم الغني عن البيان، ان بني العباس في زمن مملكتهم منهم أناس زهدوا في الدنيا وعكفوا على العبادة، منهم ابن الرشيد نفسه، وعمه صالح وغيرهم، فكل من طالع سيرتم يجدهم خلفاء ومحدثين وعبادا ملاحظين التخلق بهذه الآية " وما كان المؤمنين لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون" حافظين حديث جدهم عبد الله بن العباس " الناس يتفاضلون في الدنيا بالبيوتات والإمارات، والغنى والجمال والهيئة والمنطق، وفي الآخرة بالتقوى واليقين، وأتقاهم أحسنهم يقينا، وأزكاهم عملا، وارفعهم درجة" وقد تحققت في ذريته هذه الصفات، تتبع تواريخهم تجدها مشحونة بما يطرب الأسماع ويحي القلوب الميتة. إذا علمت ذلك فلا يبعد أن من أتى السودان من أجدادنا لا يبعد أن يكون من الزاهدين الراغبين في الآخرة، أتى هنا لينفرد بالدعاية إلى الله تعالى والدين، في بلاد طال ما

خيم في جوانبها الشرك وسرت في ربوعها الجهالة، وكذا من أسباب هجرتهم إلى مصر، والسودان الذي من أعمالها، أن السلطان هولاكو، عامله الله بما يستحقه من العذاب، لما قتل الخليفة المستعصم بالله ومن معه من بني العباس في سنة ٦٥٦هـ، محى أثر بني العباس كل المحو، وغير جميع قواعدهم، حتى أن الذي يتلفظ بذكر بني العباس فقط كان على خطر من ذلك التلفظ، فهاجروا إلى أرض الله الواسعة، وبعضهم هاجر إلى مصر، وهم من أصل سلسلة نسبنا، وأثبتوا نسبهم على يدي قاضي القضاة الشيخ تاج الدين بن بنت الأعز، وذلك بمحضر الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وجملة من أعيان العلماء، وبايعوهم بالخلافة، بعد مبايعة السلطان بالخلافة، كما تقدم في آخر الجزء الأول. ثم بعد ذلك نفاهم السلطان إلى مدينة قوص لمعارضتهم في الأحكام السياسية، ومن ثم نزح جدنا الشيخ شرف الدين ومعه إخوانه وأقاربه إلى أصوان، ثم إلى مدينة حلفا، ولهم بقية بتلك الجهة، وبلغني أن بقرب حلفا مدينة تسمى "الجمة"، والجمة هو ابن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ شرف الدين، وبين الشيخ شرف الدين والخلفاء المصريين خمسة أجداد، على حسب ما توخينا من البحث والتدقيق في سلسلة النسب التي لم نعثر عليها، في فروع الجماعة، إلا في فرع الحطاطيب فقط، وهي نسخة قديمة، وافق سياقها سياق الشيخ جلال الدين السيوطي. ثم تنقل شرف الدين ومعه بعض المماليك، وتنقل قليلا قليلا حتى أتي دار المحس والسكود ثم إلى دار الشايقية. وقد اضطربت الأقوال في سبب إتيانه لهذه الجهة، فقيل محاربا، وقيل مسالما بالهيئة الدينية، والجاذب الروحاني، والديني الصحيح، مع اتفاق الناس على صلاحه وعلمه وشرفه، وأنه من بيت الخلافة العباسية، ولذا لم يطلق اسم العباسيين في السودان إلا على ذريته فقط، ووسم الخلفاء الذي يسمى الباب والشاهد على دوابهم، وسنتكلم عن ذلك فيما بعد،

ولم نقف على تاريخ إتيانه في السنين، كما التبس كثير من التواريخ في السودان وذلك لقلة فراغهم في ذلك الزمن وكثرة الغارات والفوضى.

هاجر الشيخ شرف الدين إلى السودان ليحي الله به تلك البلاد الميتة، ويخرج منه الكثير الطيب، قال الشيخ أحمد النبري ـ قدس الله سره ـ "هذا الشيخ فيما نقل إلينا قدم هو وبنوه إلى أرض السودان بعد ما كان مستقرا بصعيد الريف بمدينة أصوان، واستقر ما شاء الله بدار الشايقية ومات ودفنوه بنوه بالكاسنجر، قيل من كرامات هذا الشيخ مما دفن بالكاسنجر لم تغر عليه قوم قط، وعند قبره سمرة صيفا وشتاء مخضرة، وهي شجرة أم غيلان، وكان قدومه في زمن ملك العنج[١]، ثم إن بنيه قدموا أرض التكاكي[٢] وأحيوا بها مواتاً كثيرة، نحو ألف ساقية، واستقروا بها، ثم أتتهم قبيلة جعل المذكورة، وتغلبوا على العنج، وفرت منهم جميع القبائل إلا بنو العباس، أقاموا معهم إلى أن أتت قبيلة جعل الفونج، وهم عرب أموية، ولهم الملك والتقديمة عند ملوك الحبشة بسبب المصاهرة، ومكنوا لهم من القوة الحربية وإخضاع كافة العرب، وكانت جعل عندهم من جملة الرعية، ولكن ولوهم بالتقديمة على ما كان بيد العنج، بعد أن أخذوا عليهم من العهود والمواثيق ما أطمأنوا إليه، لأنهم أهل مكارم ومروءة، وبأدروهم بالإكرام والمساعدة قبل كل أحد، ثم افترضوا عليهم مهرا معلوما لا يزيد ولا ينقص. وما أحيوه بنو العباس كان خارجا عن سلطان جعل في مبتدأ الأمر، بخراج يسير معلوم يناسب لجاههم، لا يزيد ولا ينقص، ونصبوا لهم الجاه، واشترطوا أن لا يكون عليهم " سبله، دم ولا دية، ولا مولود ولا حسبة[٣]، فلما طال الأمد أن ملك الرباطاب الذي يسمى

---

(1) زمن العنج إشارة للفترة الأخيرة من الممالك المسيحية
(2) التكاكي اسم قديم لمنطقة الرباطاب
(3) أنواع من الضرائب

الملك دياب، بذل غزير المال لسلطان الفونج على أن يجعل ما بيدي بني العباس تحت طاعته، لأنه يخدم يمينهم وشمالهم والح عليه في ذلك، لأن أجود الملكات بأيديهم، فأجابه بعد العهد والميثاق بأن لا يغير المهر القديم عليهم، وأن لا يدخل دارهم إلا بإذنهم، حيث ما نزلوه نزل، إلى أن يأخذ المهر القديم المعلوم" ذكر ذلك الشيخ أحمد النبري وقال" كان الأمر هكذا إلى قريب من عصرنا، ثم تغير الأمر إلا في بقية منهم قال تعالى: " ولا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم".

ورأيت في بعض الكتب القديمة، والأوراق القديمة، أن أولاد الشيخ شرف الدين الذين نسلوا في السودان ثلاثة، عبد الرحمن وهو جد من أشتهروا باسم العباسيين في السودان، والثاني حمد وهو جد ناس من المحس، والثالث نصر الله وهو جد أناس من الكنوز، وقيل أن إخوة الشيخ شرف الدين نسلوا معه في السودان، ولم نعرف في بلادنا هنا منهم إلا الجمولة والمخولاب، والله أعلم بحقيقة الحال.

وقد ثبت نزوح قبائل العرب إلى السودان، الأنصار وقريش وبني هاشم، وبالأخص بنو العباس، في زمن مملكتهم ببغداد طرقوا السودان، وفي زمن خلافتهم بمصر ونواحيها وتلبسهم بالخلافة الوسطى بعد الكبرى، ثم الصغرى التي هي أمامة الصلاة، وتعليم الدين، كل هذه الأسباب سببت ترددهم وجيوشهم ومن يقتدون بهم إلى السودان. وقد عرفوا من سلفهم الصالح زوال ملكهم، وما سيؤول إليه أمرهم من علم النبوة. أنظر وصية المنصور وابنه المهدي، ومشورة المهدي لأهل بيته وقواده في مسألة خراسان، وكلام الرشيد في أن أبنيه يقتتلان في الخلافة، في كل ذلك وغيره تجد أن عندهم علم من النبوة في تصرفاتهم، فلا يبعد أن يمهدوا لأبنائهم ما يلجأون إليه إذا نابهم الزمان، وفعل أيادي ترعى إذا لم تكن المراعاة تدينا.

وفي تاريخ السودان أن النوبة هم سكان السودان قبل مجئ العرب، وأن البقط اسم لما يدفعه سلطان النوبة لخلفاء بني العباس، والمقرر على النوبة أربعمائة رأس رقيق، والزمهم أمير المؤمنين المهدي محمد بن جعفر المنصور العباسي ثلاثمائة رأس وستون رأسا وزرافة إلى أيام أمير المؤمنين المعتصم بالله العباسي بن الرشيد في سنة ٢١٨هـ. وفي سنة ٢٢٧هـ وفد كبيرهم المسمى فيزقلي إلى المعتصم، فأدناه وأحسن إليه إحساناً تاما، وقبل هديته، وكأفاه بإضعافها، وقال له تمنى ما شئت، فسأله إطلاق المحبوسين، فأجابه إلى ذلك، وكبر في عين المعصتم، ووهب له الدار التي نزلها بالعراق، وأمر أن تشترى له في كل منزلة في طريقه دارا تكون لرسلهم، لأنه امتنع من دخول دار لأحد في طريقه، فأخذت له بمصر دار وبالجيزة أخرى، وأخرى في بني وائل، وأجرى لهم في ديوان مصر سبعمائة دينار، وفرشاً وسرجاً ولجاماً، وسيفاً محلي، وعمامة من الخز، وقميصا وثيابا لرسله غير محدودة، وأقر لهم دفع الضريبة المعروفة عندهم بالبقط كل ثلاثة سنين، وكتب لهم كتابا بقى في أيدي النوبة، وطلب من المعتصم إزالة المسلحة بالقصير عن موضعها، إلى الحد الذي بينهم وبين المسلمين لأن المسلحة على أرضهم، فلم يجبه المعتصم إلى ذلك، لأن ذلك خطة حربية إذا لم توفى الشروط، ورأى المعتصم أن ذلك من الاحتياط والإرهاب، ولم يزل الرسم جاريا على ذلك إلى أن قدمت الدولة الفاطمية إلى مصر" أهـ من المقريزي مع زيادة قليلة. ونقل المسعودي كلاما ذكر فيه نحو هذا الصدد وزاد " ولخليفته المقيم في أرض اسوان المجاورة لأرض النوبة، وهو المتولي لقبض هذا البقط، وهو السبي، عشرون رأسا من الرقيق، غير الأربعين"، أيضاً وقال المسعودي أيضاً عند كلامه على السودان " ومدينة أصوان يسكنها خلق كثيرون من العرب قحطان ونزار بن معد ومن بني ربيعة ومصر وخلق من قريش وأكثرهم ناقلة من الحجاز وغيره". وكذلك غارت جيوش

الخليفة المتوكل على الله العباسي على البجة وفتحوا المعادن بتلك الجهة. الحكومة الحالية[1] على تلك الآثار بتلك الجهة، معادن المرات وجبيت المعادن. وذكر لي أخي في الله ـ أحمد الإمام ـ أنه طالع في تاريخ الصولي فوجد فيه أن طريق الأربعين الذي يطلع من أسيوط إلى دارفور هو من أعمال المأمون.

وبالجملة فنزوح العرب إلى أرض النوبة شائع في زمن المملكة العربية وغيرها، حتى أن الفقهاء يختلفون في مسألة النوبة هل يصح بيعهم أم لا، ويقول مالك لا يصح بيعهم، ويقول يزيد بن حبيب من أصحابه، يصح لأنه ما أخذ منهم قبل الصلح يمتلك ويباع، ويتفاوضون في علة الخلاف، ويؤخذ رأي ابن حبيب ويؤيده بقوله: مالك لا يعرف هذه البلاد وأنها لبلادي، ورب الدار أعرف بما فيها، وهو من دنقلة.

([1]) يقصد حكومة الحكم الثنائي.

فصل في جمل ملفقة من تاريخ السودان

وقال المؤرخون في أواخر القرن التاسع الهجري وأوائل العاشر ظهرت للعرب حكومة في السودان باسم الفنج، وعرف ملوكهم، وها نحن نذكر منهم ما عثرنا عليه في الأوراق القديمة، مع ملاحظتنا أصح الروايات، وجملا من الأقوال الصحيحة، وأن اختلفت المصادر فنتحرى أصحها ونتبعها بإختها الأخرى، فلعل الأفكار تستخلص النتيجة من هذه النبذة، وتكون مقياساً للباحثين "، والله نسأله التوفيق والهداية لأقوم طريق. رأيت في بعض الكتب القديمة التي عنى بها العالم العلامة الفقيه عبد الله الخبير، ونقلت من نقله أنه قال " أول قبيلة دخلت السودان من العرب قبيلة بني عبس، وهم عربان الكبابيش، دخلوا تحت سيطرة الرومان المالكين للسودان، وعاصمة ملكهم "سوبة"، ثم تلتهم بنو ذبيان، وهم المعروفون اليوم بالضباينة، ثم بني شكر، وهم الشكرية، ثم الكواهلة، وينسبون إلى الزبير بن العوام، ومن فروعهم الكمالاب والهامق، ثم بني عامر، وهم العمارنة، ثم سليم، وهم البقارة على وجه العموم، ولا تزال كل هذه القبائل تحت سيطرة الرومان، حتى أتت قبيلة جهينة وأرادت الدخول في السودان، فلم يوافقوهم الرومان على ذلك، لما رأوه معهم من القوة والمنعة والرجال - دخلوا ومعهم أربعة عشر نقارة، فحبسوهم بالأبواب[1] وبعد الموافقة أذنوهم بالدخول وأمروهم بالإقامة ما بين البحر الأبيض والأزرق، واستمرت هذه القبائل بعد دخول جهينة خمسة سنوات تحت ملك الرومان، فقام فيهم عبد الله جماع القاسمي داعيا كل القبائل العربية إلى حرب الروم، وانتزاع الملك منهم، فبايعته كل القبائل على ذلك، وانتزعوا الملك منهم بالقوة والشهامة العربية، واتفقوا على أن يؤمروا عليهم من هو أقرب نسباً إلى

---

(1) الأبواب هي الولاية الشمالية من مملكة علوة وهي منطقة التكاكي والرباطاب الحالية

رسول الله، فلم يوجد فى ذلك الحين بتلك الجهة من من المحاربين غيرعمارة دنقس الأموي أباً الجهني أما، فحسب نسبه حتى اتصل بعبد مناف. وهذا نسبه: عمارة دنقس بن محمد القمر بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وهو أول ملوك الفونج" (أهـ).

وكلمة فونج مأخوذة من لغة الشلك الذين كانوا يسكنون ضفاف النيل الأزرق، ومعناها الرجل الغريب، وهذا دليل على أنهم قوم نزلوا بالسودان، وأقاموا أنفسهم حكاماً عليه من قبل أنفسهم، أو على الرواية الثانية من قبل الحبشة، وسواد البشرة منهم ومن غيرهم في السودان لا يحتم على أن يكون صاحبه زنجياً، كما قال ابن سينا في منظومته الطبية.

بالزنج حَرٍّ غير الأجسادا حتى كسا جلودها سوادا
والصقلب اكتسبت البياضا حتى غدت جلودها بضاضا

وفي بعض المصادر القديمة أن عمارة دنقس والعبدلاب ذهبوا لمحاربة مملكة علوه، والاستيلاء عليها، وأقامة مملكة إسلامية، بعد أن كانت الدولة للوثنيين، وقامت حروب كثيرة بين الوثنيين والفونج " العربية" وتوافدت بسب ذلك قبائل العرب من أطراف البلدان، نصرة لدين الإسلام، والدولة العربية بدل الوثنية والتي يرأسها الشلك. وكانت المفاوضات دائرة بين العبدلاب القاطنين بالسودان، وبين ملوك الامويين القاطنين بالحبشة، بسب المصاهرة لملوك الحبشة، ومشاركة أبناء إخواتهم معهم في الحكم، خصوصا جنسية العرب الواقعة في أطراف مملكتهم. ومهد العبدلاب لهؤلاء مملكة إسلامية، لكونهم عرب أمويين من قريش، لهم حق في الملك والخلافة التي طردهم الهاشميين عنها ببغداد والبلاد العربية، كما تمهدت لهم مملكة الأندلس. واكتفى العبدلاب بتولية الحكم في قرى مخصوصة، بحضرة ملك الفونج المتوج بموافقة الحبشة، وجاء

عمارة دنقس إلى جبل موية ومعه نفر من أصحابه، ورجعوا من ذلك المكان إلى موضع على شاطئ النيل الأزرق، وقابلوا هناك ساحرة لها مكانة في علم التنجيم تسمى بسن النار، والتي سميت المدينة باسمها، ونظموا هناك الجموع، واكتسحوا الممالك المسيحية، ونادى عمارة دنقس الجيوش الإسلامية متملكا عليها، واتخذ له ألقابا تسمى بها، منها " ملك الشمس والظل"، وتولى أيضاً خليفته عبد الله جماع القاسمي كرسى الحكم في القري الواقعة بالقرب من جبل الرويان بحري الخرطوم.

وابتنى عماره دنقس الأموي مدينة سنار تيمنا باسم الساحرة، وكانت مدينة عظيمة يفد إليها العلماء والقواد ورؤوساء العرب، فيجازوا على العوائد العربية بالجوائز الكبيرة، من الرقيق والذهب ودراهم تسمى المحابيب، ووزراء الفونج يسمون الهمج، وانتقل الحل والعقد للوزراء.

وأقام دنقس ملكاً أكثر من ثلاثين سنة، وهو مؤسس المملكة الزرقاء وحكم بعد عمارة ثلاثون ملكا، قام فيها البعض بأعمال إصلاحية. وسنذكر بعضهم، أي الفونج ووزرائهم الهمج. وكان ابتداء ملك الفونج في رأس التسعمائة إلا عشرة سنين. وبعد عمارة دنقس عبد القادر ملك اثنتا عشر سنة، وبعده نايل ملك أحد عشر سنة، وبعده عمارة أبو سكيكين ملك ٨ سنين، وبعده دكين ملك ١٩ سنة، وبعده دوده ملك ٩ سنين، وبعده طنبل ملك ٤ سنين، وبعده عبد القادر ملك ٥ سنين، وبعده اونسه وكان شهيرا ملك ١٢ سنة، وبعده عدلان ملك ١٢ سنة،وبعده بادي ملك ١٩ سنة، وبعده رباط ولده ملك ٢٧ سنة، وبعده بادي ولد أبو دقن ملك ٣٩ سنة، وحضر في ديوان سيدي عبد القادر الجيلي وهكذا رأيته، وبعده أونسه ولد ناصر ملك ٤ سنوات، وبعده بادي الأحمر ملك ٢٩

سنة، وبعده أونسه والملك نول وهما اثنان ملكا ٧ سنين، وبعدهم بادي ملك ٣٩ سنة، وبعده ناصر ولد إسماعيل ملك ١٢ سنة.

ثم انتقل الملك إلى الهمج أولهم ناصر ولد محمد ملك ١٢ سنة، وبعده الشيخ إدريس أخيه ملك ٥ سنين ونصف، وبعده محمد ولد عدلان ملك ١٢ سنة، وبعدهم انتقل الملك إلى الترك وذلك في سنة ١٢٣٠هـ. وما أضاع هذه المملكة العربية إلا الهمج لأنهم كانوا وزراء ثم صاروا ملوكا، وصاروا يولون من كثرماله، ورشوته لهم، وما أضاع أكثر الممالك إلا الرشاوي، والانحراف عن جادة الاستقامة، فكثرت بسبب ذلك الفتن بين القبائل العربية، واستولى حب الظهور والتنافس في التقديم ، وتوالت الغارات بين قبائل العرب، وكثرة الضعف بسبب ذلك، وسفك الدماء، خصوصا في محاربة الملك أبو لكيلك[١] "الميرفابي" للملك بادي وإغارة أولاد عرمان بربر، وأغاروا الميرفاب الرباطاب، وهكذا الشايقية والقبائل العربية، وهذا هو الذي حمل الرباطاب أن يسكنوا في هذه البلاد المحصنة بالجزائر، حفظا للعوايل من النهب والسلب، وابتنى كل فرع منهم حلة[٢] كبيرة حصينة أثرها باق إلى يومنا هذا.

وبنو العباس المشهورون في هذا الوقت، ليس لهم وظيفة إلا الدين، وإجارة القبائل، وهم أهل جاه، لا تتعدى جميع القبائل العربية على من احتمي بجاههم. سئل الملك محمد أبو حجل عن قبائل الرباطاب فقال: " كل قبيلة لا حلة لها في الرباطاب فهي دخيلة، وكل عباسي لا مسجد له في الرباطاب فهو دخيل".

([1]) محمد ابولكيلك كبير الهمج الذي أحدث انقلابا على ملوك الفونج في العام ١٧٦٢م
([2]) الحلة تعني القلعة أو الحصن عند الرباطاب

واستمرت تلك الفوضى والضعف والغارات إلى عصر إسماعيل باشا وهو عام ١٨٢١ ميلادية، والله ورسوله أعلم.

ومن ملوك سنار وجبال إدريس حاكم يسمى إدريس عدلان، كان زمنه قبل المهدية بقليل في حكومة الترك العصملين للسودان. ومن سيرته أنه كانت له جارية تسمى تامزينه، وكانت لا تفارقه هذه الجارية حتى في أسفاره، وكان يحلف بها من محبته لها، ويقول " وهات تامزينه " بإبدال الحاء بالهاء في لغتهم، وكانت تدخل معه الدواوين الحكومية ويسألها عن كل الأمور، وكانت أديبة تعرف مواقع رضاه فتأتيها، وكان صائماً في يوم حر شديد، وصاح يا تامزينه فاجابته كعادتها "بسيد تامزينة" فقال أما غابت الشمس؟، فاجابته نعم شمسك، ولكن شمس الناس لم تغب.

وكان الناس يتهمونه بالبساطة، ويتفكهون بكلامه، لأنه ذو أجوبة سريعة، وكان يوما من الأيام سأله الحكمدار، وهنالك أناس عرفوا الحكمدار وقالوا له إدريس لا يعرف المذاهب، فبدأ الحكمدار وقال له "يا مانجل" فأجابه "سعادة الحكمدار" فقال له: كم المذاهب؟ فأجابه ستة. فضحك الحاضرون، وكان الحكمدار من الترك، فقال له ما هي الستة؟ فاجابه حنفي، ومالكي، وشافعي، وحنبلي، وهمجي، وتركي. فقال يامانجل الأربعة معروفة، فما مذهب التركي والهمجي؟ فأجابه التركي يستعمل أخاه التركي أو بعض الرجال ويستغنى بذلك من النساء، والهمجي ياخذ النساء بغير حساب محصور. وكان يوماً معه أناس يتناشدون الأشعارفي وصف غانية، فمن شعره في وصفها قوله:

في الوصف وصفته ماخليتلو آخر حتى عود الشاف الفي المباخر
بالطلح جلوا ودخانه باهر سمح المدسوس الجوه داخل

أي لم أترك له شيئا من الوصف حتى تباخيره. والشاف عود معروف في السودان بطيب الرائحة يكون دخاناً للنساء.

ومن ذرية ملوك الفونج الآن بسنجة حسن المك. وهو رجل ذو دين ومروءة، ومن السالكين الطريق السماني على الشيخ هجو الماصع اليعقوبابي، وقد جمعتني معه يوما من الأيام المقادير الإلهية، وأنا بمدينة السوكي من نواحي سنجة، وكانت الدنيا رمضان، ونحن نزول بدار الشيخ الطيب الحاج أحمد المك عوض الله، وقد دعينا للفطور معه، وبعد الإفطار قمنا لأداء فريضة المغرب، ومعنا جمع من الأجلاء، وكنت أنا الإمام في الصلاة، فلما استوت الصفوف لم يوجد أحد يتصدر إقامة الصلاة، ولا أدري أكان ذلك هيبة أو استنكافا أو استحياء، فأقام هو الصلاة بنفسه، فعلم لدى تواضعه وميله إلى الدين، وحصلت منه مجاملة مع خليفة الشيخ طلحة بن الشيخ أحمد البدوي يشكر عليها، ولنكتفي بهذه النبذة اليسيرة التي أجرينا البحث عنها خدمة لإخواننا.

ولا بأس أن نتكلم على بعض تاريخ السلطان عبد الكريم الفاتح لبلاد برقو. قدم السلطان عبد الكريم لبلاد برقو بصفة كونه عاملا من جهة أصوله العباسيين، مدة آخر بني العباس بمصر، وهو الخليفة يعقوب بن المتوكل على الله أبي العز بن يعقوب، الذي تولى الخلافة بمصر سنة ٩٢٧هـ والإدارة لغيرهم. فعبد الكريم قدم في ذلك الوقت بصفة كونه عاملا مع عربان المحاميد لجباية الزكاة وغيرها، وتزوج في المحاميد الذين في دار برقو، كونه أميرا عليهم، وتقوى على من خالفه بأصهاره، وافتتح البلاد، وأول عاصمة ملكه بلدة يقال لها واره، ثم نقل العاصمة من ذريته السلطان محمد شريف، الملقب بدرت، بن السلطان محمد صليح الأصفر، نقلها إلى مدينة سماها أبشة، وسميت دار صليح باسمه. والسلطان عبد الكريم الذي ذكر آنفا، هو الذي أوقف

الأوقاف في المدينة المنورة، والجامع الأزهر، وهو ابن السلطان "محمد حروت الأصغر"، بن السلطان محمد يعقوب الملقب بعروس، ابن السلطان " محمد حروت الأكبر"، بن ركن، بن أحمد الملقب بحلبوس، بن وداع، بن شرف الدين، بن أحمد المعقور، بن وعر، بن سناده، بن ثنيان، بن محمد الدين، بن مسمار، بن سرار، جد الجعليين. وهذا النسب بهذه الهيئة أخذته عن العالم العلامة الشيخ عبد الباقي ساكن مدينة الأبيض، وذكر أنه يتصل نسبه بهم، والله ورسوله أعلم.

فصل في نبذة من نسب

الجعليين والرباطاب على وجه العموم

فنقول الجامع لقبائل جعل هو كردم بن أبي الديس بن قضاعة بن مسروق بن أحمد اليماني بن إبراهيم الملقب بجعل بن إدريس بن قيس بن يمن بن عدي بن قصاص بن كرب بن هاطل بن ياطل بن ذي الكلاع الحميري بن سعد الأنصاري بن الفضل بن عبد الله بن العباس، ذكره بهذه الصفة الشيخ أحمد الأزهري بن الشيخ إسماعيل الولي، مع أوجه الخلاف فيه، وقال لكثرة إنصافه وأمانته في النقل، لم أقف له على صحة. انظر كتابة "خلاصة الاقتباس". ووجه الخلاف ومحل المناقشة على حسب ما اقتضاه البحث، أنه لا يعرف في التواريخ للفضل بن العباس ابن يسمى سعد، ذكر في كتاب تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، أن للفضل بن العباس إبنتين، ولم يذكر أحد من تلك الأجداد في زمن مملكة بني العباس بالقيادة والأعمال الشهيرة، ولكني رأيت في مروج الذهب أن أبا مسلم الخراساني كان قهرمانا لإبراهيم الجعلي. ذكر تلك العبارة ولم يذكر سواها، وهل هو جد الجعليين الذي ذكره، أو هو اسم يشابه اسمه. إذا نظرنا إلى سلسلة النسب وجدنا أن إبراهيم الجعل، الذي هو جد الجعليين، متأخرعن زمن أبي مسلم الذي هو في أول الدولة العباسية، وإذا سلم ذلك فإن أبأ مسلم من عمال بني العباس، ولا يكون قهرمانا إلا لأحد من بني العباس، لعلو نفسه وتشيعه لهم، وإذا سلم ذلك كان أكبر دليل على أنهم من بني العباس، بل شهامتهم العربية، ونفوسهم الأبية، وعوائدهم التي يتقلبون فيها بكرة وعشية، تدل دلالة واضحة على أنهم عرب ومن قريش، وتوجد في طباعهم خصائل قريش أكثر من خصائل بني هاشم. وكثر الخلاف في سلسلة هذا النسب. وذكر سيدي الشيخ أحمد الطيب راجل أم مرح، والشيخ المجذوب، وكلاهما

من أهل الحقيقة، هذا النسب مسلسلاً، ولا ندري هل أقروا السلسلة القديمة، أم صح عندهم من جهة الكشف، وإن كان الكشف محتملا للتأويل على حد قوله: "سلمان منا معاشر أهل البيت" و"من أحب قوما فهو منهم".

وذكر المرحوم الشيخ الحسن بن الشيخ أحمد الجعلي السريحابي، في تأليف له في الأنساب، أنهم ينسبون إلى الفضل بن العباس بن محمد بن السجاد، وهذا القول أقرب إلى الصحة عندي، لأن أبي العباس من الناس الذين استوزرتهم الدولة العباسية بمصر، فلا يبعد أن يكونوا من ذريتهم.

ومن أغرب ما يكون أني رأيت في نسخة بخط الخليفة المتوكل والخليفة بن إدريس تلميذ السيد الحسن الميرغني، أن صبح أبو مرخة بن معقل القيس نسبة إلى قيسه بن عز الدين بن يعقوب بن عبد الرحمن ابن عيسى بن محمد بن أحمد بن موسى بن عيسى بن يعقوب بن المعتصم بالله بن هارون الرشيد.

ولو تركنا كل هذا الاضطراب ونظرنا إلى الدم العربي، لوجدناه لامعا في وجوههم وأنوفهم وشعورهم، فلو جلس أحدهم بين قبائل السودان، لتبين لناظره قبل استنسابه أنه عربي مبين. قال الإمام مالك "الناس في أنسابهم على ما عرفوا به وحازوه كحيازة الأملاك ومن أدعى خلاف ذلك كلف إقامة البيئة وإلا حد". وقال الشيخ أحمد الأزهري في كتابه " خلاصة الاقتباس في اتصال نسينا بالعباس" بعد كلام طويل، "والنسب إنما يثبت بالإشاعة، والناس مأمونون على أنسابهم، فمن حفظ نسبه عن أبيه وجده فإنه على ما حازه، ومن نفاه عنه، أو ادعى خلافه كلف بالبيئة، وإلا حد" وافق ذلك ما أجاب به العلامة عامر الشبرماوى الشافعي، وغيره من العلماء، عقب ما أجاب به الإمام علي

الأجهوري المالكي حين سئل عن جماعة يجتمعون مع النبي صلى الله عليه وسلم في جده هاشم بن عبد مناف، وسئل هل لهم الشرف على غيرهم ممن ليس بقرشي أم لا، وإذا قلتم بالشرف فهل الناس مؤتمنون على أنسابهم أم لا؟ واذا قلتم بذلك فهل لأحد أن يطعن في نسبهم، وإذا ما طعن فماذا يترتب عليه ؟ وقوله صلى الله عليه وسلم قدموا قريشا ولا تتقدموها عام في كل قريش، ام خاص بذرية الحسن والحسين؟ وفي الرجل الذي تكون أمه شريفية هل هو شريف أم لا؟ وإذا قلتم بالشرف فهل ما حكاه الشيخ التاتاي في باب الوقف عن ابن عرفة صحيح أم لا؟ فأجاب رحمه الله، نعم لهم شرف النسب على من سواهم في النسب. أما من حيث العلم، فشرف العلم يزيد على شرف النسب. ومن عرف بنسب هو وأبوه وجده، فإنه يحد من نفاه عنه. وابن الشريفية ليس بشريف الشرف الخاص، على ما ذهب إليه ابن عرفة ومن وافقه، وخالفه جمع من محققي التلمسانيين وابن مرزوق. وأما حديث قدموا قريشا ولا تتقدموها أي لا تتقدموها في أمر شرع فيه تقديمها كالأمامة، ولم أر من المحدثين والفقهاء من قيده بذرية الحسن والحسين وهو على ظاهره، وأيضاً قال العلامة الشبرماوي الشافعي "وقد كان الشرف قديما خاصا ببني العباس، وابن الشريفية ليس بشريف الشرف الخاص ، ولكن له مزية على غيره ممن لم تكن أمه كذلك" والله أعلم.

وأيضاً أجاب العلامة زين الدين حديث قدموا قريشا ولا تتقدموها عام، ومن كانت أمه شريفية فهو شريف على قول أبي يوسف، وعلى قول أبي حنيفة ليس بشريف، وهو المفتي به والله أعلم.

وأعلم أن تعلم النسب منه ما ينفع ومنه ما لا ينفع، فالذي ينفع به يجب تعلمه شرعا على كل مسلم، ولذا قال سيدنا عمر "تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم". قال الشاذلي

"وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب"، وقد صرح الإمام أبو الحسن بوجوب تعلمه، كذلك قال المراد بهم هو كل من بينك وبينه قرابة، لا من يحرم نكاحه فقط، وأما الذي لا ينتفع به فهوتعلم نسب الغير وهو ليس بينك وبينه قرابة، لعدم توجيه الخطاب الشرعي فيه. وعلى ذلك يحمل قوله عليه الصلاة والسلام في رجل تعلم أنساب الناس "علم لا ينفع وجهالة لا تضر".

نبذة عن تاريخ الجعليين النفيعاب واتصال بعض الفروع بهم:

هذا هو الفرع الرئيسي من فروع الجعليين، فنقول نافع بن الأمير عدلان له من الذرية ثلاثة أبناء أحمد الأكبر المكني بابي حرب، والثاني عبد الرحمن الملقب بشوش، والثالث على الملقب بنوي، أما ذرية أحمد الأكبر فمنهم الشيخ محمود الخبير وعشيرته، وهو رجل شهير بنواحي رفاعة من العلماء العاملين، كانت له صداقة مع محمد أحمد المهدي قبل المهدية وبعدها، وأولاده وأولاد أولاده الآن مشهورون بالعلم، وإجادة القرآن. وأيضا يجتمع في أحمد الكبير ود النجومي الأمير في المهدية، وشجاعته وثباته في الوقائع من أشهر ما يكون، وله ذرية بعضهم الآن يسكنون بمصر، وبعضهم بالسودان، وهؤلاء يجتمعون مع بعضهم البعض في ثمانية أصول.

اما مملكة عدلان وعرمان فمركزها شندي والمتمة، وهذه المملكة كانت مؤسسة على جمعية دستورية، تسمى بالمطارق السبعة، من سبعة فروع، وسنت قانونا يرجع إليه حكامهم عند اللزوم. والنافعاب والنفيعاب لهم الصوت الأعلى واليد الطولي. وانحصرت المملكة في نسل عدلان بالشورة لمن يختارونه منهم، ولم تزل هذه المملكة تنتقل حتى انحصرت في ابنه عبد المعبود، وأبنائه الذين هم السعداب الشهيرين، فكانت

لهم اليد الحاكمة إلى أن تولى الملك الثالث أو الرابع الملك سعد بن عبد السلام المكنى بأبي دبوس، فحصلت في زمنه فتنة بين إياديه من القبائل، وبين النافعاب والنفيعاب، حتى سفكت الدماء، وسبيت الأموال، فتحاكموا تدخل القبائل إلى المطارق السبعة التي قدمناها، فقضت بين النافعاب والنفيعاب بالانتقال من الدار، فإن الفتنة لا تنطفئ إلا بذلك، وقضوا عليهم بالانتقال بعد عشرين يوما تمضي من الحكم، فانتقلت القبيلتان على مقتضى ذلك الحكم، وتقسموا على أربعة أقسام، قسم اتصل بملك الفونج وتوطن وهم فرع السليمانية، وقسم ذهب لجهة كردفان ومنهم فرع الياس بيه ودا امبرير، ومنهم الذين سكنوا بجهة الدومة، ومنهم فرقة مالت بغرب شندي لمحل يسمى بحجر الدل، وفرقة مالت إلى جهة الجميعاب وهم فرع الحاج علي ود سعد، ثم بعد ذلك رجعوا إلى أوطانهم، وعاد الأمر بين القبيلتين على حاله، إلى أن انشقت عصى المملكة إلى ملكين ملك بالشرق وملك بالغرب، إلى أن حل الجيش المصري برئاسة إسماعيل باشا وصار ما صار من أمره، وحرق ابن الباشا، عفى الخديوي عن تلك الفعلة تسامحا على الرعية، واستعطافا العرب السودان، وسياسة محكمة، لأنهم إذا بادروا بالمعصية تبعتهم جميع القبائل، واضطرب حبل الأمن، وعادت الفوضى إلى حالها.

وبسبب حرق الملك نمر لابن الباشا ارتحل من شندي إلى جهة الحبشة، بعد حروبه مع قبائل شتى كالشكرية والضباينة. وكان الرجل ذا شجاعة تامة، وغارات مؤيدة ، فعسى أن يوفق الله بعض إخواننا في السودان لاستقصاء تاريخه، والوقوف على حياته وتنقلاته، وجملاً من سيرته، وشعر أناقيبه، وشعر حماسته، فان الوقت لم يتسع معنا لاستقصاء سيرته، وحياته المشحونة بالمشاجرات بين أقاربه والأجانب عنه، وبالجملة

فإن الرجل كان من أعاظم الرجال. ثم بعد أن مات المك نمر تولى بعده الملك عقيد السليماني مدة يسيرة، واصبحت بعد ذلك الدار بيد المملكة التركية.

ورئاسة الجعليين في فرع النفيعاب ومنهم في المهدية عبد الله ود سعد الذي عصى الخليفة عبد الله وقتل بواسطة محمود أحمد الأمير، ولما حصلت هذه الدولة[1] كان الرئيس إبراهيم بيه الحاج سليمان.

أما نسب عبد الرحمن النجومي فهو بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد إدريس بن صالح بن علي الزايد بن أحمد المكني بأبو حرب بن عدلان، وفي أحمد هذا يجتمع أولاد هضلول بالمتمة، وأولاد الخبير بنواحي رفاعة، وأولاد قراض بالتبيبي.

أما عدلان بن عرمان بن الملك ضواب بن الملك غانم. ولضواب اثنان: محمد أبو خمسين وعرمان، فمن نسل محمد ابو خمسين الكتياب، ومنهم الفقية عبد الله الكتيابي وجدهم الذي أسس مسجدهم المشهور قرأ على جدنا الفقه الأمين بن الخليفة بن الفقه محمد، وأيضاً في نسل أبو خمسين الفقه خلف الله والحاج بخيت وكلهم أناس صالحون.

أما عرمان فهو جد جميع العرامنة والجميعاب، ومن الجميعاب الزبير باشا رحمة الشهير، وتاريخه معروف، ويتصل نسبه بغانم، وأولاد غانم ثلاثة: ضواب وجميع الذين منهم الجميعاب والجموعية، والثالث ضياب الذين منه الميرفاب، ومن الميرفاب الشهيرين اليوم الشيخ لبيه عبد الماجد، وأولاد رحمة بالعبيدية، وأولاد الفقير بالسلم، ومن ذرية ضياب السريحاب، ومنهم الرجل الصالح المرشد الشيخ أحمد الجعلي

---

(1) يقصد المؤلف فترة الحكم الثنائي.

القادري، صاحب المآثر الحميدة، والكرامات العديدة، ونحي نحوه ابنه الصالح الحاج أحمد، وأولاده وأولاد أولاده مشهورون بالدين والصلاح.

وأيضاً يتصل بضياب الرباطاب، والعبدرحماناب، والفاضلاب، وغيرهم كثيرون من أولاد بشاره بن ضيغم ومن نسله الحاكماب ملوك أرقو، وغانم بن حميدان، ونسل حميدان شايق شقيق المك غانم، وحميدان بن صبح المكني بابي مرخة وهو ابن مسمار.

أما جد العوضية فرباط بن مسمار لأن صبح ورباط ونبيه هؤلاء الثلاثة أشقاء مسمار بن سرار. وسرار له من الأولاد ثلاثة، مسمار الذي ذكرناه، وسمرة، وسميرة. فسمرة جد البديرية والشويحات، ومن البديرية الشهيرين أحمد الترابي والشيخ عيسى الطالب، وغبش بربر الذين منهم الرجل العالم الشيخ محمد الخير شيخ المهدي، وكان أميرا في المهدية. وهم أناس صالحون وأهل مكانة سامية بدنقلة، ودار الشايقية. ومن البديرية الشهيرين إسماعيل الولي رضى الله عنه وأرضاه، وهؤلاء يسمون الدفارية، وللشيخ إسماعيل كرامات عديدة في كتب القوم، وألف تآليف عديدة تبلغ نحو أربعين تأليفا، وقد كان أخذ التصوف واسترشد على يد الشريف العفيف، شيخ مشايخنا، سيدي السيد محمد عثمان الميرغني، رضى الله عنه وأرضاه، وجد واجتهد حتى اتصل بالعالم الأعلى، وخاطب الروحانية وملائكة السماوات، وجالت روحه في ملكوت السماوات والأرض. انظر كتابه مشارف شموس الأنوار، تجده حديقة أينعت ثمارها، وحقيقة لمعت أنوارها، ولقد اطلعت على هذا الكتاب في خزانة حفيد المؤلف، السيد تاج الأصفياء في مدينة الأبيض، بعد مصاهرتي لهم في ٥ صفر سنة ١٣٥٢م، فأخذ هذا الكتاب بمجامع قلبي وبعد طبعه أهديت لي منه نسخة.

وأحفاد الشيخ إسماعيل الآن منهم السيد إسماعيل المفتي بأم درمان، وأولاده أهل وظائف ومستشارين، والسيد ميرغني بن السيد إسماعيل وأخيه السيد التاج بالأبيض، والسيد بشير وإخوانه أولاد السيد المكي والسيد كرار بام درمان، والسيد إسماعيل بن السيد المحجوب بشندي، والسيد ميرغني وأخوانه بالأبيض، وغيرهم كثيرون، فذرية الشيخ إسماعيل الآن من الرجال يبلغون نحو المئتين رجل، وهم كلهم أناس طيبون، أهل مكارم ومروءة ودين، وأكثرهم من أهل الوظائف الحكومية. وهذا نسب الشيخ إسماعيل الولي:

الشيخ إسماعيل الولي بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الرحيم بابا بن الحاج حمد بن الفقه بشاره بن الغرباوي بن الفقه على بركس بن محمد بن كيس بن حنين بن الملك ناصر بن الملك صلاح بن موسى الكبير بن محمد بن صلاح بن محمد بن دهمش بن بدير بن سمرة بن سرار جد الكل. أما سمير بالتصغير فمن ذريته البطاحين، ومنه الشيخ فرح التكتوك، ومنه القنت، والخوالدة، ومن الخوالدة الشيخ عوض الجيد ساكن عفينه.

وسرار بن كردم، فمن ذرية كردم ملوك تقلي، وملوك فور بن أبي الديس بن قضاعة بن عبد الله الملقب بحرقان بن الإمام مسروق بن أحمد اليماني بن إبراهيم الملقب بجعل بن إدريس بن قيس بن يمن الخزرجي بن قصاص بن كرب هاطل بن ياطل بن ذي الكلاع الحميري بن سعد الأنصاري بن الفضل بن عبد الله بن العباس - اتفقت أكثر النسخ على هذا السياق.

وأبناء عدلان إجمالا ثلاثون نفرا، وتفصيلهم يطول. أما المجاذيب والعمراب ينسبون إلى أصل واحد من أبناء عدلان، وهو الشيخ عبد العال، ومنهم الصلحاء والعلماء، وإذا أردت استقصاء هذه الفروع فعليك بمنظومة الشيخ عبد الله الخبير، تلميذ الشيخ أحمد البدوي الشهير فإنها محتوية على تسعة وثلاثين أصلاً.

وذكر نسب سيدي الشيخ أحمد الطيب، وقال في حقه: هو الشيخ أحمد بن البشير فهو قطب الواصلين، وسلالة الجهابذة والطاهرين، وأستاذ الأولياء الكاملين، ومرشد العلماء العارفين، الحبر الفرد الذي تنزهت معارفه عن الانقسام، والبحر الخضم الذي كرعت من تياره علماء الأنام، الجامع بين علمي الظاهر والباطن، مربي المريدين، ومفيد السالكين، وقد قيل في حقه، ملك الحال ولم يملكه حال، وهو الشيخ أحمد بن الشيخ البشير بن الشيخ مالك بن الشيخ سرور ويتصل نسبه بالملك جموع بن غانم.

ومن أشهر أحفاده الأستاذ محمد شريف نور الدايم، عاملا متصرفا في العلوم والأسرار، يقبض الدراهم والدنانير من جهة الهواء ويقسم على تلاميذه، ذلك مشهور عندهم، وقيل يُصرف بأثنا عشر في التصريف. وله مؤلفات عديدة منها الأذكار الإلهية العجيبة في بابها، جمع فيها فاوعى، وله مولد وتوسلات و استغاثات، وهو الذي فتح باب التعبد لمحمد أحمد المهدي، وأمره بدخول الخلوات، والإكثار من ذكر ياحي ياقيوم، فإن فيه سر من أسرار الظهور التام، وانقياد الحكام والأنام، ودخل خلوات متعددة بجزيرة ابا، التي صارت من أعمر البلاد في هذه الأيام، لسكني السيد عبد الرحمن بن المهدي فيها ومكارمه العديدة، واستمر سر الحي القيوم فائضا إلى هذا الآن. وقيل كان ورد المهدي في خلواته ياحي ياقيوم ١٧٤ مائة أربعة وسبعين الف في اليوم والليلة، مع الرياضة التامة، ولكن الأستاذ محمد شريف بعثه بالسر وأباه، وحصل بينهم خلاف في أمور

متعددة وقال له كلاما معناه نزعتك عن طريقتي، فذهب إلى الشيخ القرشي بن الزين وجدد عليه الطريق السماني، واستمر ذلك إلى أن كان ما كان من أمر المهدية، فانكر محمد شريف ذلك وعمل منظومة منها:

إلى الله ناصحت العباد بما أدري	وبينتها بالنظم في النثر والشعر
لئلا أحاسب أو الأم بكتمها	لأني أرى ما لا يرون من الأمر
وذلك صندوق وما فيه من يدي	ومفاتحه عندي ولم يدره غيري
وإن لم أجاهر بالنصيحة إنني	كمن يبصر الأعمى يدخل في البئر
وحاشى وكلا أن أكون مثله	ولي منزل الإجلال في دولة الخير

وهي قصيدة طويلة نحو الخمسمائة بيت، ولم تحصل له بعد ذلك إساءة من المهدي نفسه، إلا من إتباعه. ومن أحفاد الشيخ أحمد الطيب الشهيرين أيضاً العالم العلامة، المرشد المتصوف، الصالح التقي، صاحب التآليف العديدة، والإشارات المنيرة، وهو الشيخ عبد المحمود بن الاستاذ نور الدايم. وحصلت مزاحمة كبيرة بينه وبين أخيه الأستاذ محمد شريف، حتى ارتحل الشيخ عبد المحمود بالهوي[1]، بمحل سماه طابت وتصدى للإرشاد، وكان نهجه في الإرشاد بخلاف نهج الاستاذ، فان نهج الأستاذ محمد شريف إذا اتاه مريد وسلكه الطريق يقول له، يا ابني قال الله في الحديث القدسي "عبدي لو أردت أن أعذبه لما علمته" ويشرع في تعليمه في العقائد وواجبات الدين.

ونهج الأستاذ الشيخ عبد المحمود يأمر المريد بكثرة الذكر والصيام والفره، أي السياحة في المفاوز، ويقول له عليك بالقبضة، أي سفة من عيش يقلي، وهي الجوع والسهر والعزلة أركان الطريق، وكلاً منهم نجح في إرشاداته.

([1]) الهوي: الهوج – مكان بالجزيرة

وللاستاذ الشيخ عبد المحمود تأليف مفيد سماه ثنات العارفين وله تأليف سماه "الدر النضير في مناقب سيدي الشيخ أحمد الطيب البشير".

ومنهم الرجل الصالح المرشد بالحال والقال، الشيخ قريب الله ساكن امدرمان، وأولاد الشيخ الطيب كلهم أهل محامد، ونورا ظاهرا من الصلاح والتقوى، ومنهم حفيد الشيخ الطيب، الشيخ السماني الشيخ البشير قبالة ود الحداد، وهو رجل شهير ذو مكارم حاتمية ومروءة لا تقاس بالمقياس، وهو أقرب سندا في الطريق السماني من غيره. ولما حضر ابن الشيخ السماني من المدينة المنورة تجرد له حتى عن حلي نسائه وركائبه، وها هو الآن لم ترعيني أحدا مثله في المكارم ومكارم الأخلاق، والدته عباسية من فرع الحماراب، أكثر الله في المسلمين من أمثاله. وبالجملة فالسادة السمانية وفقهم الله لقيام الليل، ودخول الخلوات، وإحكام الرياضات، وأسرار الأسماء، وأدب القوم، والتحقق بالتواضع، ومحبة المريدين لبعض، فكأنما إذا رأيتهم أمهم وأبوهم واحد، وهكذا الإرشادات العالية. وفقنا الله للهداية ومحبة القوم "فمن أحب قوما فهو منهم" (الحديث) ولا نقدر على استقصاء الفروع بعد أن تكلمنا على الفروع الرئيسية في الدين ودواوين الحكومة. والله ولي الهداية والتوفيق.

هذا وقد رأيت في بعض الكتب المنسوبة إلى الصحة أن قبائل العرب سبعة، ومن لم يلتحق بها جاز عليه البيع والشراء والملك، أولهم كنانة وجهينة وخزيمة، ومزينة، وأشجع، وغفار، وحمير، وسبعة جاز فيها البيع والشراء لأنها خارجة عن أصالة العرب، باجة وباجيج وخشبة وخيرة وحرثة، وغيره، وعاثر، وذاك من أجداد العجم من بيض وسودان.

وقال الشيخ أحمد بن الشيخ إسماعيل الولي في كتابه الذي سماه "خلاصة الاقتباس في اتصال نسبنا بالعباس"، "وقبيلة جعل جدها يسمى إبراهيم جعل وعرف بجعل لأنه كان رجلا كريماً في زمن المسغبة تنسب إليه الفروع الضعاف فيقول لهم "جعلناكم منا" فلقب بجعل. والجامع لقبائل جعل كردم بن أبي الديس، والذي لا يحسب إليه فليس بجعلي اصيل، ومسكنه بأرض الحجاز والأرياف، ويقال إن لأبيه أبي الديس ولدين وهو ما ذكرناه، والثاني ترجم ولم نقف لترجم على ذرية، أما هو فاسمه السلطان حسن كردم بن أبي الديس، يقال أن له عشرة أولاد، والله ورسوله أعلم . ويقال إن أولاد كردم الذين نسلوا وعرفت ذريتهم ثلاثة، وهم دلة وتمام وسرار، أما دلة فهو جد فور والسهاريج، وأما تمام فهو جد التمامية وأما سرار فهو جد الكل، وله ثلاثة أولاد هم سمرة وسمير ومسمار. أما سمرة فله من الذرية بدير وأبو شيح، وقيل له ولدان غيرهما وهما طريف واحمد أبو ريش، فمن ذرية بدير البديرية الدهمشية، ومن ذرية عبد الرحمن بن أبي شيح شويحات، ومن ذرية الطريف الطريفية، ومن ذرية أحمد أبي ريش، رياش.

أما سميرة بن سرار فله من الذرية القديات والبطاحين والقنت ،وقصاص. أما مسمار بن سرار فله من الذرية أربعة، سعد الفريد، والثلاثة إخوانه الأشقاء رباط ونبيه وصبح أبو مرخه، أما سعد الفريد فأولاده ثلاثة وهم قحطان وسلمه بن سعد الفريد وحمد، وقحطان بن سعد الفريد له من الذرية سبعة وهم صبح، وفضل، ومنصور، ومقيت، ومايس، ومحمد الضب، ومقيض. فصبح وهو جد الصبح، وفضل جد الفضليين، ومنصور جد المناصرة،ومقيت جد المقايتية، ومايس جد المايسية، ومحمد الضب جد

الضباب، ومقبض جد المقابضة. وأما سلمه بن سعد الفريد فله من الذرية ولدان وهما حاكم وجابر، فمن ذرية حاكم الحاكماب ومن ذرية جابر الجابرية.

وقيل من ذرية سعد الفريد أيضاً فهيد والذين ينتسبون إلى فهيد جمعة، وجامع وحامد، وجمعة جد الجمع، وجامع جد الجوامعة، وحامد جد الأحامدة.

أما رباط بن مسمار له من الذرية أربعة، وهم عوض، وقريش، وخنفر، ومقبل، ولهم خامس لم نعرف له ذرية، فعوض جد العوضية، وقريش جد القريشاب، وخنفر جد الخنفرية ومقبل جد المقابلة.

أما صبح المكني بأبي مرخة بن مسمار بن سرار فله من الذرية ثلاثة هم حمد الاكرت، وحميد، وحميدان، فذرية حمد الأكرت الكرتان والماجدية ومن معهم، ومن ذرية حميد نوام جد النوامية، وأما أخوهم حمدان فله من الذرية ثمانية، غانم، وشايق، ورباط، وحسب الله، وغنيم، وغنوم، وجميع، وملك الزين.

فمن ذرية غانم ضواب، ودياب، وجموع، ومن ذرية ضواب عرمان وأبو خمسين أخوه. وأولاد عرمان عشرة تكلم والدهم على أخلاقهم فقال: "عبد العال بركتهم، وشاع الدين أفضلهم، ومسلم أضرهم، ومكابر أشرهم، وعدلان طاقيتهم، أي ملكهم، وجبل أضلهم، وجبر أقلهم، وزيد أعمرهم". وكل الخصائل ظهرت في ذراريهم إلى اليوم. وفي المثل الساير الفالح زي الصالح، أي جعل الله له فراسة يميز بها.

ومن ذرية شايق الشايقية، ومن ذرية رباط الرباطاب ومن معهم، ولعرمان ولد اسمه عدلان أيضاً. وبالجملة فالبشاراب ينتسبون إلى بشارة، والناصراب ينتسبوب إلى

الناصر، وجموع جد الجموعية والذين هم من ذرية غانم - وضياب الذي ينتسبون إليه الرباطاب والميرفاب- وضواب جد العرامنة، وجموع جد الجموعية والجميعاب.

أما أولاد رباط الذين عرفناهم، فسنجر أكبرهم الذين ينسبون إليه السنجراب، ومنهم رباطاب الداخلة الذين يسمون بالفلاليت نسبة منهم إلى جدهم سليمان المشهور بود فلاتي. ومنهم كرتن جد الكراتنة ومن معهم من الفروع، وعلقم جد العلقماب ومن معهم، وصالح جد الصالحاب. هؤلاء الستة أشقاء. ومن ذرية صلاح ، بدير.

أما أولاد سنجر أربعة، عمر، والقراش، والأسيد، وحسن جد العمراب ومن معهم، والقراش جد القراريش ومن معهم، والأسيد جد الأسيداب ومن معهم. أما أولاد كرتن هم حنونابي، وجناوي، والماجدي وبكيابي. وأولاد علقم بن رباط اثنان شايابي ومحمود، وأما محمود فهو جد أهلنا المحاميد الذين منهم جدتنا والدة جدنا الفقيه محمد بن الحاج سعد وشقيقه الحاج جلال الدين، ويتصل بهم نسب أهلنا الهبابيد الذين منهم أخونا محمد عبد الله هبود، وأحمد محمد أحمد هبود ومن معهم. ومن المحاميد أيضاً أولاد الفقه على جقارنة، وذوي الوجاهة الشيخ عز الدين الحسين، والشيخ إبراهيم الحسين، ومن معهم، والشيخ عبد الله الحسين، وغيرهم كثيرون بالزومة من يتصل نسبهم بالمحاميد كأولاد والدنا بخيت ود نصر وغيرهم.

أما أولاد صلاح بن رباط اثنان، شراب جد الشرباب ومن معهم، وبدير جد البديراب ومن معهم. وأولاد شراب اثنين، تامر، وصلاح، وأولاد بدير أيضاً اثنان محمد (سل) والملك ضياب. وأولاد الملك ضياب سعد، وعوض الله وعوض الكريم، وصلاح، وحماد، والرقلي، وعلى، وكريرابي. أولاد عوض الله سعد وكرار كتيابي. وأولاد

عوض الكريم سبعة شاور، وأحمد، ونميس، وعيسى وسلوقي، وشميم، وفرنيب. وأولاد صلاح ثلاثة، عمرابي، وفكير، وبشارابي أو عوضابي، فيه الخلاف.

أما أولاد فرنيب قيل عشرة وقيل اثنتا عشر، وكذلك أولاد رباط الصغير قيل عشرة وقيل ثلاثة عشر، وعد بعضهم بأنهم، إدريس أبو شرشر، وحسب النبي الضريري، وفضل السيد، وعبيد السم، وحجاج الأسد، وناصر العيدي وزيد أبو عجاج، وعبد الرحمن أبو شوش وسعد الندي، وعز الدين المصري، وعبد العال الينبعي، هؤلاء كلهم أولاده، ويكنى رباط الصغير ود بشارة بأبو شملة والله أعلم. ولا يخلو نقلنا عن التكرار والتشابه والخلاف، وكلها أسباب أثارها علينا اختلاف المصادر، وألفاظ الناسبين، وتعدد اسم رباط في هذه السلسلة، ولقد أعيانا البحث عن تعداد هذه الفروع، ولم نألوا جهدنا في خدمة الوطن والعشيرة وتاريخنا المجيد، وإعانة لأخواننا العلماء الباحثين، وأعضاء المؤتمر بالنادي السوداني، وإن لم نكن استقصينا البحث فقد وضعنا الأساس، وأجزنا لكل محقق باحث أن يبنى على أساسنا أن وجده متينا، وإلا فقد فتحنا الباب، وهذا جهد المقل "وأفضل الصدقة جهد المقل".

وقد اكتفينا الآن بالتكلم على الفروع الرئيسية، وإن كان لكل مزية، وقد يوجد في الفاضل ما لا يوجد في المفضول، والله ولي الهداية والتوفيق.

ذكر ذرية بعض الأشراف في السودان:

ومن ذرية الختم عندنا في السودان السيد علي وأولاده السيد محمد عثمان، والسيد أحمد، وشقيقتهم، زادهم الله وبارك فيهم، والسيدة مريم بنت السيد هاشم، وأبناء السيد أحمد محمد عثمان، والسيد الحسن، والسيد الحسن بكري، والسيد جعفر، وأخيه وأولادهم.

ومن الأشراف الشهيرين عندنا في السودان السيد عبد الرحمن بن السيد محمد أحمد المهدي، هم من جزيرة الأشراف وتاريخهم معلوم. وهو رجل ذو مروءة ومكارم تنبو عن الحصر، وهو من أهل التعظيم عند الحكومة، وسمعت أنه ورد عليه ضيوف من مصر لإصلاح التجارة والروابط بين التجارة المصرية والسودانية، فبلغت نفقة إكرامهم ألف جنيه. يثنون عليه كثيرا أهل المعهد العلمي بأم درمان، والمدرسة الأهلية، ومدرسة الأحفاد، وملجأ القرش، وأهل تأسيس الجوامع، لنفقاته الطائلة وسخائه الزائد ومنفعة الوطن، ولا تظنن أنني استعبدني منه درهم أو دينار، والله لغاية تسطيري لهذه الأحرف لم تره عيني قط، ولكن كثرة مدح الناس له، وتواتر إحسانه، وما عم المسلمين وأفرحهم عمني وأفرحنى معهم.

ومنهم الشريف يوسف الهندي رجل ذو أسرار وبركات، توفي في آخر هذه السنة وهي سنة ١٣٦٣هـ ولابد أن نشيد بتاريخه.

ومنهم الشريف بركات طه الذي فسر الحركة في أيام المهدية وقتل، وحلته تقرب من أبو حراز العركيين وهو سماني كثير التحجب والعبادة. ومنهم الشريف الخاتم والشريف آدم، أشراف أم سنط، وهم أيضاً سمانية.

ومنهم أولاد جبار المكسور جهة القضارف، منهم الشريف محمد السر، رجل متواضع ذو دين ومروءة ودعوة مجابة. وأولاد الشريف محمد الشريف الطاهر وأخوانه، وأولاد الشريف حامد، منهم صديقنا الشريف الحسن، وهو رجل ذو مروءة تامة، ومحبة للعلماء وتمسك بآثارهم، وأخوه الشريف أحمد وغيرهم. ومنهم الشريف أبو أكرد وابنه خليفة خلفاء محمد أحمد جارنا بالقضارف، رجل ذو مكارم وبركات. وأشراف الشريف

يعقوب ومنهم الشريف سليمان، والشريف الدسيس أصدقاؤنا أيضا فى الله، ومن أهل التواضع والمكارم، ومنهم الأشراف السحانين بجهة ود العباس وغيرها.

ومن الشهيرين عندنا في الأشراف أولاد الشريف عبد الكريم المشهور بأبو خف لأنه كان يلبسه كثيرا، وهو قد دفن في الجزيرة قنديسي بين الباقير ونادي. وأما ذريته الذين نعرفهم في زماننا منهم الرجل العالم العلامة البركة الصالح الشيخ محمد ود السيد، قرأ عليه العلم أخونا الأكبر محمد علي الشيخ محمد، وأستاذنا الشيخ الحسن أحمد الجعلي، والفقه تكرون أحمد الإمام، والفقه مصطفى أخيه. وللأستاذ محمد السيد مكتبة عامرة مشحونة بكتب المذاهب الأربعة، كما أنه كان يفتى، ومذهبه في خاصته مذهب الإمام الشافعي، وله أولاد مباركون يقتفون أثره أكبرهم الفقه سراج الدين وأخوه عبد العظيم.

وأيضاً من الخفاب الشريف إبراهيم وهو خليفتهم ويعتريه الجذب كثيرا، وهو رجل صوفي لا يخالط الناس في أغلب احواله، ولا يجالسهم ولا يأكل مأكلهم، وله ابن يسمى الشريف محمد المدني، أخونا في الله حافظا عالما ذاكرا، ورده الذي نعلمه كل يوم مدلى من القرآن. مكث معنا حين وفاه الوالد مدة تزيد على اثني عشر يوما ما رأيناه تاركا ذلك، وتعتريه بعض الأحوال ولكن نور العلم يرده إلى الصحو والتمسك بظاهر النصوص، ما قرأنا كتابا في الأحاديث أو السير في مجلسه إلا وفاضت عيناه، وانتحب انتحابا يزعج الحاضرين، وتأخذنا الشفقه عليه، فنتخلص من القراءة تخلصا لطيفا يرده إلى الضحك. وتزوج كثيرا وهو الآن في عصمة أربعة، أكثر الله هذا النسل. ولقد أضافني مرة وأنا بالقضارف. كما أن من عادتي كلما أراه أفرح برؤيته، محبة تخالج قلبي من داخله، الحديث "والأوراح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف". وكان عندي جماعة من التجار يأخذون على الدرس نحو الأربعين وأزيد،

وهناك أناس بدلهم الحسد أيضاً ويبعثون علينا شرار حسادهم وهم سفهاؤهم، فاتفق أن ذهب الشريف معي إلى الدرس وقام رجل من المذكورين، فأورد علينا أسئلة تدل على جهله، وبعد ذلك أساءنا غاية الإساءة، حتى أن بعض من كان معنا هم باساءته وضربه وطرده من الدرس - الجزاء من جنس العمل - فمنعتهم عن ذلك، وتلوت قوله سبحانه وتعالى لنبيه "خذ العفو وآمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين" وغضب الشريف فلما سمع مقالتي ولاحظ حالتي رجع، فلما ذهبنا من الحلقة قال لي الشريف، درسك هذا من الفتح وقد أساء هذا الرجل الأدب فلابد أن ينكب، ولقد صبرنا على أذيته ولابد أن ينكب، فذهب الشريف منا ومرض الرجل ولم يمكث أكثر من شهر حى توفاه الله.

وكنا نقرأ له في كتاب وهو يبكي فلما تخلصنا قلت له، يا أخانا من أي شيء تبكي، والجنة خلقت لكم لأنكم ذرية فاطمة الزهراء، وأنت تعلم ما ورد في الأحاديث عن تلك الذرية، فقال لي "يا فلان أمن المعقول أن تصدق أن هؤلاء النسوة اللاتي نرى أمثالهن في زماننا من فاطمة الزهراء، لإن صدقت الأرحام هذا البشارة الثابتة ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، فالجنة لكل تقي ولو كان عبدا حبشيا، والنار لكل فاجر ولو كان شريفا قرشيا" هذا ما دار بيننا.

ومن الخفاب الشريف أحمد ويسمى بالمجمر، كان رجلا مباركا أديبا يحلف برسول الله كثيرا، ويغلب عليه الجذب، وإذا رأى الأستاذ الشريف محمد السيد العالم العلامة قدم له المداس. وشهر على ألسنة العامة إذا تفل في ماء يذوقون منه طعم السكر، فيتراكم عليه الناس، ويقولون يا سيد بركنا فيفعل ذلك مرارا وتكرارا، وله ابن يسمى وابن له أولاد. اتينا بهذه النبذة وذكر أشراف زماننا لئلا يخلو كتابنا من بركاتهم.

ذكر بعض عادات أهل السودان:

الشاف عود معروف في السودان بطيب الرائحة، يكون دخانه للنساء، والدخان خشب من الطلح والشاف المذكور، يعمل في حفرة ويدخن بالنار، وتكبوا عليه النساء، والحال أنهن متغطيات بمنسوج من الصوف يسمى الشملة، وهو الحمام السوداني للنساء، يصفي اللون، ويشد الأعصاب، ويذهب البخارات الفاسدة، ويذهب الرطوبة، ويزكي الجسم وينعمه إن كان ذا خشونة، ويحمر الأيدي والأرجل، ويشد آلة الرجل إذا استعمله، ويطيب فرج الأنثى ويشده، وكثيرا ما استعملت مترفهات النساء بعده الدلكة المعروفة، ويستعملونها للرجال أيضاً قبل المقاربة، لاسيما للعريس، وهي من أكبر الزينة.

وهناك عوايد للسودان تستعمل في زواج الأبكار كثيرا، تستعمل لحكم معلومة في الزواج، منها: أن أهل العريس ياتون بالملابس والطيب وخلافه، ومعهم رهط من الرجال والنساء ، فيبادرهم أهل العروس برهط كرهطهم، ويمنعونهم من الدخول إلا بالقوة والمصارعة، حتى يظن الرائي أنهم في حرب عوان. وذلك أنه ربما تظهر بعض الضغائن من أقارب الفريقين، وهو مقياس المتانة لمصاهرة، وصدق الرغبة من العريس وأقاربه، فيقابلوا كل أساءة منهم بالإحسان.

ومن العوايد أن يستعملوا للعريس الزينة، ولبس الحلى كالعروس، في اليد والعنق فقط، وفي الحنة والدلكة، وذلك من الحكمة وإيناسا للبكر التي لم تخرج من مخبأ ابيها وتختلط بالرجال، فلربما إذا دخل عليها رجل لا تعرفه سابقا، ومدت لها يد لا تشبه يدها، لربما تستوحش من ذلك، ويؤدي ذلك إلى النفور التام، كما رأيناه في كثير من الأبكار. وكل

عادة في السودان مستعملة لحكمة تامة، فلينتبهوا أبناء السودان وليظهروا حكمة عوايدهم إلى الجمهور.

أما الخفاض فهو صعب في نساء السودان، وعادة متأصلة يؤدي تركها للعار عند النساء والإزدراء لمن لم تفعل ذلك، وكثيرا ما حاول الشبان الحديثون إبطال هذه العادة فلم يفلحوا، وقابلت كثير من النساء مقالاتهم بالأزدراء.

حكينا ذلك لعقلاء النساء فقلن "ناقضاه ذلك الفعل، وأضان البنيات طرشاء". وقد سمعت ممن أثق بدينه وأمانته، أن الشيخ أحمد ود عيسى تلميذ الشيخ الدرديري لما حضر إلى السودان، فكر في هدية يهديها لشيخه فاشترى جارية جميلة بنت خمسة سنين، وأمر النساء أن يخفضنها الخفاض السوداني، ويعلمنها جميع أصناف الهوى في السودان، ووهب لها جارية تعرف ذلك وعبدا للخدمة، وزوجه بالجارية، ثم بعد أن بلغت المدة المقررة شهلها مع أمين إلى الشيخ الدرديري، وقال إذا كان هناك شيء يشان في هديتي فليعلمني استاذي، فلما أراد الشيخ الدخول إليها أستاذنته الجارية بكل أدب، وقالت يا سيدي إن هناك مقدمة عندنا في السودان نستعملها في زواج الأبكار. فقال لا بأس بها، فالبستها جميع الحلى السوداني، والرحط المعلوم، وأجلست الشيخ وغنت الجارية الخادمة فمالت جارية الشيخ بالرقص المعجب فذهب به العجب إلى منتهاه وطلب التزام جاريته في الوقت والساعة، فساقتها الخادمة وأدخلتها عليه في المحل المعد لذلك، وقالت له هناك يا سيدي نوع من الهوى خاص، وبكاء وتصويتاً متنوعا تفعله بعض الحيوانات عند إتيانهن، وكل ذلك لايدل على الإباء أو التمنع أو النفور، بل عادة متأصلة في نساء السودان، فدخل عليها الشيخ ثم طلب الجارية الخادمة وقال لها أبها رتق؟ فقالت العفو يا سيدي بل هذا الخفاض في السودان، قبل الشيخ الهدية

ورد على تمليذه شاكرا له. وقال ما هذه البدع المشهورة عندكم حتى أدخلتموها علينا، فرد عليه ود عيسى معتذرا وقائلا، عنكم يا سيدي أخذت العلم، أما الخفاض لم تكن البكرة عندنا في السودان قعيدة البيت، بل في مهن الخدمة المختلفة، ولا حصون عندنا في السودان إلا هذا الخفاض، فلربما ذهبت البنت تحتطب فتلاقت مع رجل شرير فلا يقدر على زوال البكارة مهما بلغت قوته، مع التمنع والنفور والضرورات تبيح المحظورات. أما مسألة الهوى ورد في الحديث "هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك" كل لهو يلهوه المؤمن باطل إلا ملاعبته زوجته، وتأديبه فرسه، ورميه لقوسه، وعنكم أخذت، إلى آخر ما دار بينهم. إن صح ذلك عنهم كان مندوحة للجواز. قال الشيخ أحمد زروق "من قلد عالما لاقي الله سالما ولو كان العلماء كلهم على خلافه".

أقول لم نعلم من الحيوانات ما يفعل ذلك التصويت إلا الهرة عند الجماع، أما التمنع مع الرغبة التامة في الجماع، فهو عادة متأصلة في جميع الحيوانات.

وفي أيام الأفراح نجد كثيرا من المغاني المتنوعة كالحماسة وغيرها، ولم ير علماء السنة سبيلا إلى تحريمه، ونقل عن الجنيدي "الناس في سماع الآلات على ثلاثة أضراب العوام وهو حرام عليهم، والزهاد وهو مباح لهم، والعارفون وهو مستحب لهم لحياة قلوبهم بالله"، ولذا كثير من صوفية أهل زماننا يجعلون السماع بالطبول والنوبات، وأهل الطريق السماني لهم صيحة يقابلون بها مشايخهم يذكرونهم بفعل من مضي من أسلافهم، فتنبعث هممهم للأعمال الصالحة. ويقابلونهم بذلك إذا أقبل الليل، واحتج من رأي إباحته واستحسانه بقول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة "أهديتم الفتاة لبعلها قالت: نعم ، قال: أفبعثتم معها من يغني، أو ما علمت أن الأنصار قوم يعجبهم الغزل ألا بعثتم معها من يقول: " أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم، ولولا الحبة السمراء لم نحلل

بواديكم"". وكذلك احتجوا بحديث عبد الله بن أويس ابن عم مالك وهو أفضل رجال الزهري: قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بجارية في ظل وهي تغني هل علي ويحكم إن لهوت من حرج، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا حرج إن شاء الله، وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: "دعهما فإنه يوم عيد"، ذلك يدل على كراهية دوام، ورخصته لأسباب، كالعيد والعرس ونحوهما من مجتمعات الأفراح، ما لم يكن هناك تخليط يخرجه عن جادة الاعتدال، هذا يذهب إليه الاكثرون من أهل السنة. وقد رفعه فريق من الناس إلى أسمى مكانة، وجعلوه من لوازم الحياة، لما له من تحريك العواطف، وإحياء النفوس الخامدة، ونزع الأحزان، وتخفيف الآلام، وفلاسفة الأطباء صاروا يعالجون به المرض، ويحركون به شجاعة الجيوش.

وفي نواحي سوداننا إذا أصيب أحدهم بداء مؤلم كلسع حية، اجتمع الشبان في بيت المريض، وضربت آلات الطرب، وغنى المغنون، وتبارى الراقصون على تلك النغمات حتى يلهو المريض عن الألم، ويطيب نفسا بما يراه ويسمعه من ذلك الحفل الذي يعقد يومياً وتنتعش نفس المريض، وتتحرك مشاعره، ويعتقدون إذا كان ملسوعا لا يجد السم سبيلا إلى الانتشار في جسمه.

ومن العوايد عندنا في السودان إذا غنى المغنون بالغناء الحماسي تحمر أبصار الشبيبة، ويغلى الدم في أذهانهم، ويطربون، ويتواثبون، ويتضاربون بالسياط ولا يحسون بالألم. وربما سل بعضهم السكين وقطع يده تقطيعا فظيعا، ولا يحس لذلك ألما إلا بعد الثورة، ورأينا ذلك عيانا في الصغر، لما أبيح لنا أن نأتي لتلك النوادي، وبالجملة فالغناء بالألحان يستحلاه الحيوان البهيمي، حتى أن الإبل لتقطع المسافات البعيدة إذا ترنموا لها بالمغاني، خصوصاً الغناء المسمى "بالدوباي" وهو معروف عند عرب السودان،

يستعملونه حديا للإبل عند المسافة البعيدة، ولقد قالوا تقطعها في مدة يسيرة، وكذلك الجبان يحركه بالشجاعة.

ومن عادة الخلفاء عندنا لبس العمامة الكبيرة متقنعا فوقها بشاشة بيضاء، وبعضم يجعل ما فوق العمامة ملونا، ولكن البياض أحسن وأشهر. وإن لبس ثوبا لازم القناع حتى أن أحدهم يتضرر من تركه.

ومن العوايد أنه لا يجلس على فراش الخليفة ابدأ أحد من تلامذته أو أولاده، وإذا كلمه أحد من تلامذته بكلمة جلس باركاً جاعلاً كعب رجله اليسرى تحت إليته رافعاً رجله اليمنى متكئا فوق أذن شيخه.

وإذا مشى يكونون من ورائه، وفي الخطابة يحمل عصا قدر نصف قامته أو أطول يرتكز عليها ذات قرنين وهذه هيئتها (Y).

ومن عوايد السودان في العموم حمل العصا، وتكون محنية، وللشباب محنية وليست بطويلة، نحو الذراعين ونصف، وهذه هيئتها (J). ولربما كانت غليظة، ويعتنون بشأنها، وربما دخنت مع ربات الحجال حتى تصفر، مع مسحها بالدهن. وهذه العادة عربية قديمة قال شاعر من العرب المتقدمين

صَفْراءُ من نَبعٍ كلَونِ الوَرْس   أبدؤُها بالدَّهنِ قبلَ نَفْسي

والمخاصر عندنا أشبه بعصاة رقيقة محنية، تسمى الحداثة، وتسمى الركابة من باب تسمية الشيء باسم محله، لأنه يسوق به حالة ركوبه على الدواب، وتسمى أيضاً

المطرق، وقد مر عليك خبر المطارق السبعة، ويقولون المطرق الآن عند الفرع الفلاني وهي رئاسة القبيلة.

فصل في رئاسة الرباطاب

أما رئاسة الرباطاب فمن ذرية صلاح ود رباط، لأن من ذريته بدير ومن نسل بدير الملك دياب، ومن نسله عوض الكريم، وهو والد فرنيب، وذريته شهرت بالرئاسة على قبائل الرباطاب، وأولاد فرنيب عشرة بدير ودياب الأصغر أشقاء، ومن البديراب العمدة الفاضل، صاحب المكارم العديدة، والمروءة التامة، العمدة مصطفى أشول، الرجل الفاضل الذي سكن في بلاد السهني، وهو قادة لكل صادر ووارد من بني عمهم وخلافهم. وقد كان أخذ الطريق القادري من التقي الصالح، صاحب الكرامات العديدة، والمآثر الرشيدة، الشيخ حمد أحمد الجعلي، وذهب مع أخيه الشيخ الحسن أحمد الجعلي، وقد جاور مده تزيد على سبعة سنوات، ثم أذن له فأتى راجعا، ونفع الله على يديه خلق كثيرون في ديارهم، ومن البديراب العمدة عمر البشير رحمه الله، ومنهم ود بينابي وغيرهم. أما ضياب جد الضياباب ،وغيرهم، وأما العباسي شهر بذلك لأن أمه من العبابسة المشهورين بهذا الاسم عند قبائل الجعليين والرباطاب، وسعد فهؤلاء أشقاء سعد جد السعداب المشهورين بهذا الاسم.

وأما سعداب الباقير على ما قيل هم كنوز، ويجتمع نسبهم مع نسب الشماب، الذين هم ذرية ود شمة، الرجل الشهير الصالح الذي من ذريته الجعداب. ومن ذريته أيضاً الشيخ عثمان ابو القاسم، ومن معه والشيخ على الحجازي وإخوانه. وكان بين الفلاليت والسعداب حروب ودماء أدت إلى تنجيل الفلاليت، الذين هم فرع من السنجراب، إلى الداخلة، التي هي اتبره إدارة السكة حديد اليوم الشهيرة. وسبب تسميتهم الفلاليت أن جدهم الشيخ سليمان لم تكن له ذرية، وحضر رجل من دارفلاتة وكتب لوالدته حجابا، فلذلك سمي بود فلاتي. ومن الفلاليت الخليفة النصيح ـ لقبه بذلك السيد محمد عثمان

الميرغني - من الذين تكلموا على يديه حتى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة. وكان يكتب له "الأستاذ خليفة خلفائي من أصوان إلى فيزقلي"، وأبناء الخليفة النصيح الخليفة ابن إدريس، الذي كان يقول في حقه الأستاذ سيدي محمد الحسن، "إذا قلت الخليفة واطلقت فهو ابن إدريس، ابن إدريس أنا، وأنا ابن إدريس". وحكى أنه لم يكن له فراش في الليل، ومن تأليفه كتاب " الإبانة النورية، في صاحب الطريقة الختمية" حاصلها إجابة سؤال أورده عليه القاضي الشيخ عبد السميع الذي بمحافظة سواكن، وكان متكتما على الأسرار، أديبا مع مشايخه مع فتحه، كأن لم يفتح له، ولم يتحرك حركة إلا في خدمتهم حتى مات رحمه الله رحمة واسعة. ومن أبناء الخليفة النصيح الخليفة المتوكل، رأيناه وأخذنا عليه الطريق قبل أخذنا على أستاذنا السيد علي الميرغني، وله الفضل في تلقيننا الأساس، والراتب المسمى بتراكم الأنوار. وكان يمر بهيئة الطريق الكاملة إلى حدود الشايقية، ذاكراً لا ينوم الليل أبدا، وكان نومه غفوة خفيفة بعد أداء الرواتب، وركعتي الشروق، حتى تطلع "الجبنة". ما رأيت بعده مثله في الخلفاء، اجتهاداً وزهدا وتشييدا للطريق. نفعنا الله ببركتهم. ومن أولاد الخليفة النصيح الخليفة المحجوب.

أما أولاد الخليفة بن إدريس الخليفة محمد عثمان أكبرهم، والخليفة الحسن، والخليفة إبراهيم، والخليفة عبد العزيز، وهو الآن بمصر وتزوج بمصرية، ونسل هناك ساكنا صحبة أولاد السيد المحجوب.

أما أولاد الخليفة المتوكل الخليفة الحسن الآن بشندي، والخليفة المحجوب وأولاده محمد وميرغني.

وهكذا نسب الخليفة النصيح هو ابن الفقه أحمد وهو بن الشيخ الطيب بن الشيخ أحمد المشهور بالمسكين بن الشيخ محمد أبو نيران بن الشيخ حـامد بن الشيخ سليمان ودفلاتي بن محمد ابن إدريس بن علي بن موسى بن الملك سنجر بن الملك رباط الصغير بن الملك بشارة بن الملك دياب بن الملك غانم بن الملك حميدان بن الملك صبح المكنى بأبو مرخة بن الملك مسمار من الملك سرار إلى آخر النسب.

ولنرجع إلى ما نحن بسبيله، ومحمد زمراوي ورحمه وضعيف أشقاء وعجيب، ومحمد زمراوي نسل الزمارنة وعجيب نسل العجيباب وضعيف نسل الضعيفاب. وهؤلاء العشرة أولاد فرنيب، ومن ذرية محمد المحمداب أيضاً.

أما أولاد رباط الثالث فثلاثة محمود، ورحمه وعبد الله. وأما أولاد محمود فثلاثة عبد الحميد وشيقابي، وبرير أو بدير، وأولاد رحمه أربعة العقيد وضياب وعلى، ومصطفى، وأولاد عبد الله اثنين الصادق وعبد الله، وأما أولاد العقيد خمسة، دقرشاوي، وأبو حجل، ومحمد، والدلعس، واحمد الصغير. وأولاد دقرشاوي أربعة أيضاً، دفع السيد والحاج عقداوي ونصر والتوم. وأولاد أبو حجل ثلاثة محمد وحمد ورحمه، وأولاد محمد الدلعس اثنين ابو نيشين والحاج، وأولاد أحمد الصغير ستة بينابي وصعيل وجباره وحمد وعنكيب والأمين.

أما أولاد محمد أبو حجل الصغير المشهور بالعفة والنزاهة والشجاعة والرأي والمروءة التامة فهم احد عشر أكبرهم زيدان، ودقرشاوي وسليمان والعمدة عثمان الذي صار ناظرا الآن وموسى واحمد وعلي الكرار وعمر ومحمد وابراهيم.

ومن سيرة الملك محمد أبو حجل كان رجلا شهيرا بالشجاعة، وله قبول وشهرة تامة عند الحكام، ومن سيرته أنه كان ينهي الأغنياء من أولاده عن أخذ أطيان الناس بالبيع أو الضمانة، ويقول لهم: لما نظلم ناسنا نحن نكون ملوك على منو؟ وإذا عثر على سند في خصوص ذلك مزقه. ولما حضر حسين بيه خليفة العبادي حاكما على السودان ولى أقاربه من العبابدة، فظلموا الناس وأثقلوا عليهم الضرائب، والذي يتأخر يضربوه ضربا وجيعا متنوعا بالسياط، وعاملوا الناس معاملة العبيد، لا معاملة العرب الأحرار، خصوصا أكابر الناس، فاتفق الرباطاب والميرفاب، ومن معهم من رؤساء القبائل، كالجعليين النفيعاب ومن معهم، أن يقدموا إلى الوالي خديوي مصر في هذا الشأن، فأعفاهم من أقارب حسين بيه خليفة، فقالوا لما قبلت شكوانا في أقاربه، لا أظلم منه نفسه، وقد وافانا العدل الذي كنا نشك في عدمه، ولا يدرون أنهم ظلموا رقيقهم ورعيتهم الأقارب، والجزاء من جنس العمل، وما سبب ظلم حسين بيه لهم إلا أنه وجدهم يظلمون الناس ظلماً متفاحشا، إلا الملك أبو حجل لم يجد منه ظلامة وتوسم فيه النجاح والعدل، فاستعمله وكيل مديرية دنقلة، وأوكل هنا ابنه دقرشاوي.

لما اتفق رؤساء القبائل في شكوى حسين بيه نفسه، طمعا في زواله عنهم، وحضر الملك محمد أبو حجل صوب هذا ولم ينظر إلى مصلحته الشخصية، قال له ابنه دقرشاوي بعد أن سطر العرضحال "يا أبت من أحسن فيك وأساء إلى غيرك عد من المحسنين لا تختم على هذا العرضحال يا أبت"، وكان الخاتم بيدي دقرشاوي، فأجابه "لا أخالف الجمهور عند الاتفاق لمصلحة نفسي فقط. يا ولد جيب الخاتم جيب، بيت حسين بيه خليفة وقع من هنا للريف داير ارفعه أنا" قال هذا الكلام وختم على العرضحال. وطلب الخديوي حسين بيه، وبعد المفاوضة أرجعه حاكما على السودان

ثانيا، ولم تقبل شكواهم في خاصته. وكان معتقدا في الفقه حمد جد الحمداب في الجزيرة مقرات، وكلفه بالسؤال فاجيبت دعوته. ولقد أتى متغيظا على كل من اشتكاه من الرؤساء، فتأخر الرؤساء ولاقوه أضدادهم ومن زاحمهم في الوظيفة، ومن جملة من ضاعت وظيفته ولاقاه الملك البشير بطران، والد عمر البشير فرأسه على بلاده، وأرسله أمامه فلاقاه الملك محمد أبو حجل وقال له " كيفن جا حاكمنا المرة دي؟" فقال " حاكمكن المرة دي جا مكجن الشايبين" وكان البشير في ذلك الوقت شابا حدثا، والملك محمد شايبا، فعرفوا من هذه الملحوظة أنه لابد من الانتقام منهم، وفعلا لما حضر في أرض الرباطاب أخذ الملك محمد أبو حجل وضربه خمسمائة سوط في قرينه، فأبدى من الشجاعة ما لا مزيد عليه.

و من سير الملك محمد أبو حجل حصلت مناظرة في بربر في التفاخر في البلد. وقال بعضهم الحوض في بلادي حصاده كذا وكذا، فقال الملك محمد "الحوض في بلادي حصاده أردب"، فاستبعده جدا، فقال "نزرع التمرة فنحصد أردب".

وكان مسافرا إلى أراضي الريف، والطلوع من عتمور أبو حمد المعروف، وكان معه جمع كثير من الجلابة، فأصابهم العطش، فأخذ الملك محمد أبو عجل باقي الماء، ولما اشتد العطش صف الناس صفوفا وقال لهم " النسقي الهراوة أما الرجال أهل الصبر فليستحملوا" فيبرز له رجل فيقول يا أرباب أنا من الهراوة حتى فضل معه أناس قليلون وكلهم صاروا هراوة فمنعهم الماء وسقى الرجال أهل الصبر وقال "اليتأخر من القافلة نوصله بالسلمة" أي بالضرب بالسلم، وجدوا السير حتى وصلوا محل الماء سالمين، وقصده من ذلك أن يعرف الرجال الحقيقيين من زملائه، وفي الحقيقة لا يعرف الرجال إلا بمسيار الحوادث، كما لا يعرف الذهب إلا بالجمار والتصفية بالنار.

ولما كان بدنقلة أن ملكاً من ملوك دنقلة ـ واظنه ود كنيش ـ كان متعصبا عن الحضور عنده، وبلغه أنه ظالم لبعض الناس، وتوعده بالعقوبة، فسمع بذلك وخاف من العاقبة، فأتاه ليلاً متخفيا عن الناس، فوجده يصلى، فوضع أمامه صرة فيها مال جزيل، فلما سلم لمسها بيده فوجدها ثقيلة، تشتمل على أموال جزيلة، فقال له "من أنت صاحب هذه الهدية"، فقال له: "أنا فلان"، فقال "يا ولدي إنت عوجتك كبيرة، وعفنان عفنة شديدة، لكنك كترت البخور وأتيتني وأنا بين يدي الله عفوت عنك".

وقد صاهره والدنا الخليفة بن الفقه أحمد، تزوج ابنته سنباي، التي والدتها بنت نصر الدين الميرفايي، وساروا حافلين إلى قرينه، والجمع جمع كثير، فأمر بكسر السام لتدخل السيرة باكلمها، وأكرمهم غاية الإكرام. ولذلك تقول أخت الخليفة في السومار المعروف

عجبني الخليفة الشورته مي بطالة

عزل في البنات وجاب بنت ملوك الدارة

بنتا جدها أبو حجل وأبو لكيلك خاله

ولما توفي عنها الخليفة، ترك الملك محمد جميع الأراضي والنخيل التي تخص الخليفة لوراثة ابن عمه والدنا عبد الرزاق الفقه الأمين، وكانت صداقا، ولم يأخذ غير اثنين خدم ابنته، وتزوج سنباي بعد الخليفة الشيخ مصطفى عبد الماجد، عم اللبيه الرئيس الحالي لجميع النظار بالمديرية الشمالية ـ ولقد رأيت عمتنا سمباي أتت زائرة للخليفة زوجها السابق، وأمروني أن أذهب معها لأخذ الزيارة، فلما أتت عنده استحت منه كأنه حي تشاهده، وقدمت زيارتها، وكان خشب التلغراف مركب عليه سلك يزن من فوقه،

فقالت له: " حقرتك عندنا نحن، دا البيزن من فوقك أشنه؟" فلم نشعر إلا بعد أيام قليلة نقضوا السلك من أصله، وابعدوه عنه، وكرامات الخليفة كثيرة.

ولنرجع لسيرة الملك محمد. فنقول: أما سيرة الملك محمد أبو حجل شائعة على لسان العامة بكل جميل، حتى نسب له بعضهم الصلاح - وفي المثل السائر عندنا في السودان - الفالح زي الصالح - ولنا العذر في اختصارها، اذ لم نجد مؤرخا يثبت كامل سيرته، ولا ننقل الغث. ألا فليحتذى أبناؤه وأحفاده وكل من ترأس، حذوه في العدل والإنصاف، ومراعاة الضعاف، وليقدموا مصالح عشائرهم كما كان - لا العمل لمصالحهم الشخصية - فالحمدة والسيرة الحسنة خير من المال، وجمال الفعال خير من صقل الثياب، فمن اتصف بمكارم الأخلاق، والمروءة والإيثار، حاز المحبة من خالقه، وحاكمه الأكبر والرعية، وقدموه على أنفسهم، وتمنوا له الخير بكرة وعشية، ومن كان بغير ذلك، خاصموه وشكوه وأبغضوه ودعوا عليه، ولا خير في حاكم مشغول بحب نفسه، لا يتألم لألم من استرعاهم، ومع ذلك خائن مدمن مبغوض، لا يعرف بمكرمة، ولا يتصدى لرد مظلمة، ولا يغرنه إكرام الناس له قهرا عنهم، فالرغبة خير من الرهبة والتخويف، فلقد ورد في الحديث الشريف" شر الناس من يكرم مخافة شره". وفقنا الله وكل من نحبه لصالح الأعمال، فإنه سبحانه وتعالى يمهل ولا يهمل. وفي الحديث "إن الله يمد الظالم حتى إذا أخذه لم يطلقه" واتقوا دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب، قال بعضهم:

تنام عيناك والمظلوم منتبه   يدعو عليك وعين الله لم تنم

ملوك الضعيفاب:

أما ملوك الضعيفاب الذين تعطلت وظيفتهم، ولم يتحركوا لرد وظيفتهم حركة تذكر، مع أن فيهم رجالا يملأون عين كل إنسان، وفيهم الكفاءة للقيام بجميع وظائف المديريات، فيهم التاجر والحازم المترجم، وغير ذلك، ولكن السائر عندنا في السودان يقولون: " درهم بخت ولا قنطار فلاحة".

ولا بأس أن نتكلم على سيرتهم، كما تكلمنا على بني عمهم، والمتسببين في ضياع وظيفتهم، مراعاة للإنصاف، ولئلا يخلو كتابنا من محاسنهم، والاعتراف بحقوقهم، ملاحظة لهذا الأثر " أكرموا عزيز قوم ذل وغني افتقر" واذكروا موتاكم بأحسن ما تعلمون، فنقول:

الضعيفاب أقدم في الملك من أولاد العقيد، لأن المملكة كانت عند فرنيب، ثم انتقلت من بعده لابنه رحمه. وبدير ورحمه أخوان تقاسموا الدار بينهما. وبعد الملك رحمه في الضعيفاب تملك الملك الأمين بن الملك رحمه بن الملك ضعيف بن الملك رحمه الكبير. وكان الملك رحمه الكبير يسمى بمقنع الكاشفات، وهذه الكنية كانت شائعة على السنة الثقات، وسببها كما حكي لنا، أن ملوك السودان الكبار كانوا لا يتوجون إلا بواسطة ملوك الفونج، والملك رحمه أول من ذهب اليهم، وتوابعه أناس كثيرون من أقاربه وحاشيته، ومعه عدة من الفرسان، وهو على كامل من الاستعداد، وقابلهم ملك الفونج بما يستحقونه من الإجلال والأعظام، وأحضر لهم الطعام بواسطة جواري، كالعادة التي كانت متبعة في السودان، كما تكون الكمريرات عند من تمدن من الملوك. وخدمة الجواري للضيوف هذه العادة كانت قريبة من عصرنا، والجواري كن كاشفات

الرؤوس، فاشتبه الملك رحمه فيهن بأنهن أحرار، وهن من الجواري اللاتي سبيت في الحروب لا المولدات، لجمالهن وشعرهن الذي لا يشابه شعر الرقيق، فسألهن الملك رحمه، وتحقق من ذلك، والجارية كانت لا تغطي رأسها أمام الأحرار، فأمرهن الملك رحمه بتغطية رؤوسهن تحديا لملك سنار، وهو يدرك العاقبة، وأيقن بالموت في هذا السبيل، واستعد لذلك، فبلغ الخبر الملك، وجمع أهل مشورته، وسألهم عن ما يتخذه حيال الملك رحمه ملك الرباطاب، فأشاروا عليه بقتله هو ورجاله، ليتعظ خلافه من انتهاك حرمة الملك، وأخيرا أشار إليه أحد أنجاله " بأن الملك رحمه تحقق في هذه الجواري دم العروبة، ولا سبيل إلى استرقاق العرب الأحرار، وأيقن الملك رحمه بالموت، وأن لا يشاهد هذا العار، والملك أولى باتباع الحق وصيانة العروبة، ومع ذلك أن قتل الملك رحمه مما يؤلب عليك الجند ولا يأتونك الملوك ورؤساء القبائل منقادين مذعنين، يطلبون منك التتويج، ويؤدي ذلك إلى العصيان، وسفك الدماء، وإيقاظ الحروب بعد نومها، والصواب أن يهب الملك رحمه هؤلاء النسوة، اكراما له وسدا لذريعة الفتن". فاستصوب الملك هذا الرأي من ابنه وشكره. وهذه منقبة عظيمة كذب من ينسبها لغير الملك رحمه، لأنه لم يثبت ذهاب أحد من ملوك الرباطاب إلى ملك الفونج إلا هو.

ثم بعده تملك ابنه الأمين، وهكذا في بنيه إلى الملك عوض الله، ثم بعده ابنه الصايم، ثم محمد الصايم صار حاكم خط. وكانت حدود البديراب من حجر المك إلى المناصير، ومن حجر المك إلى السنقير كانت الدار بيد الضعيفاب. وفي المهدية تقسمت الدار على ثلاثة أقسام من سبيل الحويراب إلى حجر المك الحجولة، ومن حجر المك إلى المناصير البديراب، ومن حجر المك إلى السنقير الضعيفاب.

وسبب تملك أولاد العقيد هو الملك نصر الدين الميرفابي، وهو الذي جعل الملك أبو حجل ملكا على الرباطاب، وبعد تخاصم شديد بينه وبين الملك عوض الله، أعطى الملك عوض الله النصف، وبعد أبو حجل تملك محمد ابنه، وأخذ البلد كلها لعدله في الحكم، وملاطفة الرعية، والضعيفاب كانوا في زمنه أهل قسوة وتجبر، وتخاصموا أيضاً هو ومحمد الصايم، ورجع محمد الصايم حاكم خط، ودفرشاوي بن الملك محمد أبو حجل حاكم خط أيضاً، بدلا عن والده ـ الذي كان وكيلا لمديرية دنقلا وقتئنذ كما قدمنا ذلك.

أما رحمه ضعيف سالف الذكر تزوج الهنينه بنت جدنا الحاج سعد ونسل منها الملك الأمين، والصايم، وفرح، ومحمد ضعيف، ومحمد محسيابي.

وقد حصلت في زمن الملك الأمين معارك حربية بين الرباطاب والميرفاب، وسببها أن ولدا أغلف ولم يبلغ الحلم من أولاد أبو حجل وقيل أمانة عندهم، وبينهم ثار في مقتله ـ ومن العادة والسوالف الجارية بينهم أن الأغلف لا يؤخذ في ثار ـ فاتفق أن تلاقي بعض الميرفاب مع ذلك الأبن فسألوه: أنت أغلف أم مطهر، وكان من العادة أن لا يختن الصبي حتى يشرف على البلوغ. ولئلا يجبن الصبي ويتهم بالخوف قال لهم أنا مطهر، فقتلوه. فاستنفر الملك الأمين الرباطاب قائلا: هذا من احتقار الميرفاب لكم، وقاد الحرب أبو حجل العقيد والصايم. فابلوا بلاء حسنا.

ويحكى أن الملك على الميرفابي لما طعن، ووقع عن ظهر جواده، وجدوه منتصب الهمة حتى أمنى منيا متدفقا، فقال الملك أبو حجل " خسارة هذا التيراب الذي لم يجد فتاة تتلقاه". ويقول شاعر الرباطاب في هذه المعركة.

دفر الصايم الجمر الصنوبر عينه

كتلوا الملك على ولليلة فوقن دَينه

وقال أيضاً:

جنيان ما بتتفند

جميع روميه مزند

حوش الدويم اترمد

خمسين ملك في أمحمد

خمسين ملك طاقية

في أمحمد أب شوشيه

والشوشية معناها الشعر الكثير في رأس الصبي، ويسمى القصة أيضاً، لأنه يقص من أطرافه، ومن نصف الرأس، فيتدلى شعر مقدم الرأس إلى الجبهة وشحمة الأذنين ومؤخر الرأس على الاكتاف، وهو مخالف لابقاء شعر البجة و مخالف لهيئة الشبان المتفرنجين.

ومن ترأس في الضعيفاب في المهدية، رجب الملك عوض الله وميكائيل أخوه، وقتلوا في واقعة كرري بأمدرمان، وكان نائبا عنهم في الرباطاب أخوهم حاج أحمد الملك عوض الله، وقتل في أبو حمد، وكان معه أناس من أمراء الرباطاب، منهم الملك عمر محمد أبو حجل، و الشيخ مدثر الحاج حمد، أمير العباسية، الذين كانت أمارتهم منفصلة

عن الرباطاب، وثبتوا في هذه الواقعة ثباتا باهرا، يحفظه لهم التاريخ. هذا ما اختصرناه من سيرتهم حسب الإمكان والله ولي الهداية والتوفيق.

فصل في سيرة من اشتهروا باسم العباسيين في السودان

ولو قيل العباسيون الهارونيون أي أولاد هارون الرشيد لكان أميز، وقد شهروا باسم العباسيون بين قبائل الجعليين والرباطاب، وبالرغم عن جميع المزاحمات في شرف النسب، وطول الزمن، لم يقدروا أن يجردوهم عن هذا الاسم. ومما يدل على ثبوت نسبهم متانة أجدادهم، ولم تفارقهم هذه التسمية من بغداد إلى مصر والسودان.

هذا وقد ذكر السيد أحمد الأزهري بن الولي إسماعيل الكردفاني، في كتابه " خلاصة الاقتباس في اتصال النسب بالعباس" ذكر أهل النسب أن للعباس عشرة أولاد وثلاثة بنات، أكبر أولاده الفضل ثم عبد الله، وعبيد الله وقثم، وعبد الرحمن ومعبد، والحارث، وكثير، وتمام، وبناته آمنة وأم حبيب وصفية، أما الفضل بن العباس لم تكن له ذرية، ولكن كان يكنى بأبي العباس، كما كان يكنى أخوه عبد الله بذلك، ويكنى أيضاً بحبر الأمة، وله أربعة أولاد: العباس، وعلي السجاد، والفضل، وعبيد الله " قال "ومن ذرية على بن عبد الله العباسيون، ومن ذرية الفضل بن عبد الله الجعليون، ومن ذرية عبيد الله الهلاليون " أهـ كلام الأزهري مع تقديم وتأخير والله أعلم.

وكان العباس رضى الله عنه يحمل ابنه قثم ويقول: حبيبي قثم، ذو الوجه الأشم، ويرغم أنف من رغم، ويحمل تماما ويقول" تموا بتمام عشرة، يارب اجعلهم كراما برره، إلى قوله: وأنمي الثمرة... " وقد أجاب الله دعوته، فإن بني هاشم كانوا يتيامنون بتمام العشرة أولاد، كما نذر والده لإن رزقه الله عشرة أولاد ليتقربن بواحد منهم إلى الله كجده إسماعيل، وكذا كان النبي عليه الصلاة والسلام يقول: " أنا ابن الذبيحين " والمسألة شهيرة.

وكانوا بنو العباس الشهيرون أهل علم وتقوى وإرشاد، ولا شرف في الحقيقة إلا لمن خصه الله بالتقوى. والشرف أما بنسب، أو علم، أو تقوى، فإن كان جامعاً لذلك فهو الشريف على الحقيقة. وإن كان له شرف النسب فقط، والآخر شرف العلم فقط، فقد اتفق العلماء على أن العالم أفضل من الشريف، فشرف العلم يفوت على شرف النسب. قال العلامة العدوي: " فالعالم أفضل من الشريف وكذا شرف التقوى" وقال صلى الله عليه وسلم: " عن معادن العرب تسألون، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا في دين الله" أي تعلموا أحكام الشرع. وقد جمع الله الشرفين في الغالب لأل بيت النبوة، وثبت ذلك لبني العباس جيلا بعد جيل.

وعباسيتهم شائعة ومشهورة عند العلماء والصلحاء والعلماء والأمراء بالسودان، لتلبسهم بالتقوى ومكارم الأخلاق. قال ود ضيف الله عند ذكرهم" محمد ود العباس راجل وهيب وانقاوي" وقال في حرف السين أيضاً " الحاج سعد بن محمد العباسي"، وذكر ابنه محمد والحاج تاج الدين. وقال الشريف محمد الخفابي في ذكر أشراف السودان في منظومته المشهورة

قل عبابسة التكاكي الجدهم هارون

ناس ود الحاج سعد اللي الجهل صابون

وحصلت مشاجرة في زمن سيدي، السيد الحسن الميرغني، صاحب الكشوفات الساطعة، في بربر بين الفقه بدوي المشهور من عبابسة الحجير غرب مقرات، فحواها أن أحد البرابر، قال للفقه بدوي بعد مشاجرة معه " أنت عبد رباطاب" لأنه كان أسود اللون، فقال له الفقه بدوي "أنت عبد ميرفاب". فاتفقوا أن يعرضوا النسبين على سيدي

السيد محمد الحسن رضى الله عنه، فختم على نسب الفقه بدوي، وقال أنت حقيقة من بني هاشم، وأعرض عن ما سوى ذلك. فانتعشت أعضاء الفقه بدوي واستل سيفه، وصار يعرض ويهز فوق سيدي محمد الحسن، فتعجب الحاضرون لكثرة مهابة السيد، ومنذ ذلك اليوم كني بدوي ببني هاشم إلى أن مات.

وسمعت شفاهة من الخليفة أحمد يقول أنه سمع عن الخليفة مصطفى التنكس أنه سمع من سيدي محمد الحسن الميرغني قال: "دعوة النسب إلى العباس في أرض السودان كثيرة، ولكني لا أشم للعباس رائحة إلا في جهة الرباطاب" هكذا سمعته عنه في سنة ١٣٥٤هـ في مدينة الأبيض في ذي الحجة وتوفي رحمه الله في آخر تلك السنة.

وقد قدمنا لك أن بني العباس في زمن مملكتهم منهم أناس طرقوا السودان، فلا يبعد أن يكون صدى ذلك باق بعد زوال الملك، واستغنوا بسكني السودان، والدعاية لله وابتناء المساجد، والاشتغال بالقرآن وطلب العلم، مع رسوخ عادة العرب فيهم وظهورهم في نواديهم، منها حفظهم لانسابهم، ووسم على دوابهم، ويتفاخرون في الأفراح بما لهم من المكارم العامة لأهل التقوى منهم، ويشهرون السلاح، ويحمون الجار ويقتنون الخيل، وكان الخليفة منهم لا يركب إال فاره الصافنات الجياد، ونقاقير النحاس، وفي أغلبهم الشجاعة والمروءة، والعفة والولاية والجمال - وإن غير الطقس ألوانهم - وكان المهم عندهم حفظ القرآن وتعليمه، ومساجدهم في ذلك شهيرة تخرج منها مشاهير الرجال. ففي الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "لأن يهدي الله بك رجلا واحدا، خير لك من حمر النعم " فاكثر المساجد من مساجدهم تفرعت، وكان من النادر منهم من لا يحفظ كتاب الله، ويتلوه آناء الليل وأطراف النهار، وكراماتهم لا تحصى، سنبين منها جملة صالحة إن شاء الله، بحسب ما يتيسر لنا.

وأكثر اشتغالهم بتدريس القرآن، والتوحيد، وللأجداد مؤلفات في التوحيد كثيرة. وهذا مصداق قوله عليه الصلاة والسلام في رواية الإمام أحمد بن حنبل " إني أوشك أن أدعى فاجيب، وإني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله عز وجل وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا بم تحلفوني فيهما " وفي رواية زيد بن أرقم أنه قام رسول الله خطيبا فحمد الله واثنى عليه وقال : "أيها الناس إني بشر مثلكم يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب" يعني الموت "وأني تارك فيكم ثقلين كتاب الله فيه الهدي والنور فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به، وأهل بيتي، اذكركم الله فى أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، اذكركم الله في أهل بيتي"، قالها ثلاثة. ولعل العبرة في اجتهادهم في التوحيد ملاحظة قوله عليه الصلاة والسلام" أهل بيتي من أقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أن لا يعذبهم الله " وغير ذلك من الأحاديث.

وقد سمعنا متواترا أن ملوك السودان المتقدمين كانوا يرون لهم المنزلة الكبرى، ويعظمونهم غاية التعظيم، وإعفاء سواقيهم من الضرائب، ومن التجأ إلى مساجدهم قاتلا لأحد من القبائل يعفونه، ولا ينتكهون حرمتهم إلا نادراً، وتحل بمنتهك حرمتهم الويلات والمصائب، ولا يقدمون في إمامة الصلاة أحدا عليهم، ولا يحصل فصل بين القبائل المتشاحنة إلا بواسطتهم، ولا يقدمون على حرب إلا بعد الإقامة عندهم، والتزود بدعواتهم، واتباع اشارتهم، وبقيت هذه العادة إلى قريب من زماننا، وما سميت محلتنا بنادي إلا لاجتماع الناس فيها للمشورة ووظائف الدين.

وبالجملة فنسب الذين يسمون بالعباسيين مروي ومؤيد بالصالحين منهم والخلفاء والأولياء والعلماء وكمل الرجال، فلا يوجد في عموم السودان اضبط من انسابهم، ولا

أتقى من سلفهم المتخلقين بالاخلاق الطاهرة، والمؤيدين بالكرامات الباهرة. قال الشيخ أحمد النبري ـ قدس الله سره ـ بعد كلام طويل في شأنهم: "وقد تواترت نصوص أهل العلم شائعة في بلاد العرب والاعاجم، بصحة نسب بني العباس في تصنيف كل عالم، فمن نص على ذلك وشاع في الأقطار والرياض، شهاب أفندي شارح الشفا للقاضي عياض، والجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها والبيت الشريف، وممن نص علي ذلك من العلماء الافاضل، السمرقندي في تصحيح أنساب القبائل، و نسب بني العباس في تصانيف أهل العلم مشهور، فلا يخفى علي أحد من أهل العلم كأنه شمس النهار في الظهور. وقد تظاهر بصحة نسبهم وشهرتهم باسم جدهم كل مؤلف، وقال يشرفهم وفاخر حسبهم كل عالم محقق وكل منصف، وقد طرزت بسيرتهم كبار مجلدات أهل العلم في التصنيف، وزينت بمناقبهم عجائب رموز المصنفين في التأليف، ولكن نعوذ بالله من طاعن متمرد تابع هواه، وعالم يماري الحق بالباطل ولا يخشى مولاه، إذ التبديل و التغيير في الانساب خطره عظيم، يترتب عليه فى الآخرة الوعيد الشديد والعذاب الأليم.

فسمة بني العباس في الغالب هي سمة آل بيت النبوة من الديانة والامانة، حيث ما حلوا في المشارق والمغارب، ومكارم الاخلاق في العموم والخصوص منهم سجية، حتى صارت طاعة الله في ظاهرهم وباطنهم جلية، بل سرت مكارمهم فيمن أحبهم حسب سنة الله في العلم في العادة، فكم رأينا من ناله لعشرتهم ومحبتهم شرف السعادة والسيادة، أليست هذه الصفات شهادة علي شرفهم شرعا، بل هذه السمة هي لآل بيت النبوة قطعا، فوجوب حرمتهم وكافة الأهل في الدين مشهورة، فمن أنكر وجوبها كمن أنكر ثبوت ما علم حكمه من الدين بالضرورة، فهم أهل ديانة ومكانة من النبي صلى الله عليه وسلم

في شرف الحسب والنسب، واتصف غالبهم بالديانة والامانة والعفة والنزاهة وسلامة الصدر عما لايرضى الله ورسوله، والتباعد من مجالسة كل ظالم. ولو أنهم يتعصبون على أخذ حقهم لملأوا العيون بالكيل، ولو عدت خيلهم لبلغت علي الاقل مانتى جواد من جياد الخيل"، هذا في زمانه وهو في القرن الثاني عشر، زمن الفوضى والغارات في السودان - قال "ولو عدو رجالهم لبلغوا ألف رجل وخمسمائة على الأقل في القياس، وميراثهم الذي يتوارثونه طبول النحاس، وركوب الصافنات الجياد، و أساسهم تقوى الله والديانة والأمانة من الآباء والأجداد، فأي رزالة لجنس حوى مكارم الاخلاق والمروءة، وأي ذلة وقلة لقوم يبلغون هذا العدد من القوة، فأقل منهم في القبائل يضايقون عباد الله في الرخاء والضيق، ويغصبون ويسرقون ويقطعون الطريق. وهؤلاء ترى غالبهم في الضيق يموت علي عز الأمانة، ولا يمد يده إلى أموال الناس بأقل ما يكون من الخيانة. والله سبحانه وتعالى جعـل العز في طاعته مخلوق، كما خلق الذل فى مخالفته بالعصيان والفسوق، فطاعة الله وتقواه موجبات شرعا للشرف الكامل، لا للشرف المنتخب في معصية الله وبأذية الناس حاصل، وقد قال صلى الله عليه وسلم "أشر الناس من يكرم مخافة شـره" ولكن قد تعاكست في هذا الزمان في الخيرات أكثر الأمور، فصار الذل في طاعة الله عند الناس، والعز في معصيته مضمور، وهذا على خلاف ماكان عليه سلف الأمة في الاوائل، فإنه كما في الخبر سيعود الدين قريبا، الي الانصرام آيل، وقد ورد في ذلك سؤال اورده بعض المغاربة على القاضي عياض حين قال:

يد بخمسة ماية عسجد فديت ما بالها قطعت في ربع دينار
تناقض ما لنا إلا السكوت به ونستعيذ ببارينا من النار

فأجاب القاضي عياض حيث قال:

هنالك قد ظلمت فاعتز جانبها وهنا ظلمت وهانت على النار
عز الأمانة أغلاها وأرخصها ذل الخيانة فافهم حكمة البار

فالحاصل أن كل من آمن الناس شرهم في هذا الزمان كان ذله عند عامتهم وخاصتهم، وحط مقداره ومهما جارت السلطنة عليهم لا يحبون أن يضربوا علي رقابهم الوظائف. فإن الحسينية في أرض الريف، والفادنية بأرض السودان، أذل منهم عند كل عامل وكاشف، فكيف وإن هؤلاء سادات أهل البيت أهل اليقظة والوظيفة الدينية، والعفاف، وإن كانوا جميعهم من آل بيت النبوة المشتركون في حرمة الأشراف، ولقد قال الحافظ بن حجر الهيثمي، كل علوي بمصر شريف، أي ومن نسل، وكل عباسي ببغداد شريف نسله كما هو ظاهر، فالشريف يتناول النسل من هؤلاء وغيره من الأشراف في أي مسكن كان، فالمسكن والمصاهرة لا تضيع سلالة الشريف، إن اسم سوداني مثلا لا يضيع أصالة العرب أهـ كلام النبري مع تصرف قليل.

وقال أيضا "ممن تفرس على صحة نسب بني العباس بصحيح الفراسة الشيخ المشهور بالمكاشفي تلميذ أحمد بن الطريفي" المشهور بأبوفلج، وقال النبري قدس الله سره "دعاني بعض الاخوان إلى زيارته ولم أكن رأيته قبل ذلك، فقلت له إني لم أر هذا الرجل قط، والآن قصدناه بالزيارة لعلنا ننتفع بقول نسمعه منه، من بركة سره الذي أشتهر به في الكشف بالعبارة، ونحن إذ كلنا جمعنا الله بمدينة سنار، كل أحد بقصده كما جرت منه سبحانه علي عباده الاقدار، فقلت يا أخي أتدري منزله قريب أم بعيد فقال: لا، إلا أنه قيل أنه قريب من هذا المنزل قربا أكيد، فسألنا عن منزله رجلا أميا كان يحضر معنا المجالس سنين، فقال نعم أنا أخبر منزله وأوصلكم إليه في هذا الحين،

فقمنا معه، فلما وصلناه ابتدرته قبل الفقراء الذين معي بالسلام، وأردت أن أقبل يده تبركا به لكبره وسنه في الإسلام، فمنعني السلام على يديه، وقبلت رأسه بالوداد، وقال لي: مرحبا بك يا فقه أحمد بن محمد بن الأسياد أأنت عباسي أم رباطابي فقلت: إن صح النسب عباسي، ومسك يدي وقبلها، ثم شرع في الكلام ولم يطلقها، وقال لي: أنتم ساداتنا يا فقه أحمد، قلت وبم ذلك؟، قال إن أجدادنا كبار جعل لما أرادوا الخروج إلى أرض المغرب، قالوا لجدكم الخليفة هارون الرشيد، اعطنا من يعلمنا دين الله من علماء بني العباس، ونعطي أهلهم المال الجزيل، فأعطاهم سبعة من أهل العلم، فهم أجدادكم وأنتم من نسلهم، وكل عباسي في السودان من نسلهم، ثم إنه نطق بأمور وأسرار غريبة حتى تكلم بأقوال عجيبة، ثم أطلق يدي وكان ماسكا بها حتى أتم القصة، ثم سلم عليه الأخ الذي دعانا إلى زيارته، ثم سلم على الرجل الذي دلنا على منزله، ثم أمر ابنا له أن يأتينا بالفراش والطعام، وعبارته التي يسرها الله أشد فكرا، فتعجبت من معرفته لاسمي واسم أبي من غير معرفة سابقة، ولا إخبار أحد له بذلك، فياله من رجل كامل أديب، لأنه راعي سيادة مات أهلها وفات زمانها". وقد استفدنا من عبارة هذا الولي الكامل فائدتين: صحة النسب، وثبوت تردد بني العباس إلى أرض المغرب، ومنها إلى أراضي السودان بطريق مصر وغيرها كما مر".

وقال أيضاً شافعا لعبارته في الكشف: " ومما عثرت عليه من أولياء الله تعالى على صحة نسب بني العباس إلى جدهم العباس بالكشف الصحيح، الذي تطمئن له القلوب المضطربة وللعقل والبال تريح، فأول من سمعته تفرس على صحة نسب بني العباس الشيخ محمد بن الطريفي، أخ الشيخ أحمد أبو فلج، شيخ الشيخ حمد المكاشفي الذي قدمنا مكاشفته، قال: ونحن إذ نقرأ عنده في المجلس في مصرف الزكاة من مختصر

الشيخ خليل، وفي ذلك معي من الفقراء في المجلس جمع كثير من أهل القرن في الجيل، عند قول المصنف وعدم بنوة لهاشم والمطلب، وذلك لما فهمت أنه لا تجوز شرعا صرف الزكاة على بني هاشم ولا قبولها، لحرمة مطلق الصدقة عليهم كما سيقول المصنف في باب الخصايص: " وحرمت الصدقتين عليه وعلى آله"، وكلام المصنف فيه تسامح فإن أهله صلى الله عليه وسلم هم بنو هاشم فقط دون بنو المطلب، وكان حق المصنف أن يقول و"عدم بنوة لهاشم لا المطلب" كما صوبه الأشياخ.

فلما علمت حرمة الزكاة على بني هاشم قلت في سري: " كيف أصنع في هذه المسألة التي لا محيص عنها لأحد إلا بفضل الله تعالى، إن صحت نسبتنا لبني هاشم، كيف وآباؤنا يقبلون الزكاة وهم علماء أمناء، فهل يقبلونها بقول في العلم شاذ ضعيف، أو يقبلونها تعديا لحدود الله تعالى بالجراءة والتحريف، أو هم يعلمون أن نسبتهم غير صحيحة للعباس بن عبد المطلب، أم كيف أصنع في هذه المسألة، وقلبي في ذلك مضطرب حتى إنه إذا كاد ينقضي ذلك المجلس، وأبى هذا الخاطر يندفع في كل حين بالاضطراب يهجس.

فرأيت الشيخ نظر إلي وتبسم حتى ظهرت ثغور أسنانه المليحة فقال: " يا إبني إن نسبتكم إلى جدكم العباس صحيحة، ولكن شرط حرمة الزكاة على بني هاشم إن كانوا يعطون من بيت المال، وإلا جازت لهم كما جازت لغيرهم في الشرع بلا إشكال".

ومن ذلك المجلس استراح عقلي بكشفه الصحيح بصحة النسب والجواز، بعد جولانه وتردده كتردد الخيل في البراز". اهـ كلامه مع تصرف. أقول وللشيخ الطريفي مكاشفات كثيرة في مجلس درسه. ذكر الخليفة ابن إدريس في رسالته " الإبانة النورية

في شأن صاحب الطريقة الختمية" أن واحدا من تلامذة ابن الطريفى عرض قصيدة للشيخ هجو أبو قرن اليعقوبابي، يتوسل بأولياء الله الذين يأتون في مستقبل الزمان، في أصلاب الآباء وأرحام الامهات، من باب الكشف أيضاً، منها قوله:

أيا جاكير الواقف على الحد   يا محمد عثمان الأرشد

قال من بعض تفسيره لها أما جاكير الواقف على الحد رجل شريفي مغربي واقف على السنة والكتاب، لا يتعداهما طرفة عين، وأما محمد عثمان الأرشد فهو رجل شريف من أهل مكة حسني حسيني صاحب طريقة، تعم طريقته الأرض شرقا وغربا، يأتى إلى بلادنا هذه وعمره خمسة وعشرون سنة، قال لبعض تلامذته إذا حضرته فخذ عنه الطريق، وقال لبعضهم خاوه في الله، وهذا الرجل وسابقه حضروا في مجلس الأستاذ لينظروا هل يوجد وصف شيخهم في هذا الشريف. فبعد أن أخذ الرجل الأول عنه الطريق، التفت إلى الرجل الثاني وقال كشفا منه: أمدد يدك نتخاوى فى الله كما قال لك شيخك سابقا. وقال الشيخ محمد بن الطريفي لوالد الخليفة النصيح أو والده حين سأله، سيحضر واحد من ذريتك يكون من أكابر أتباعه فحصل كما قال. نفعنا الله ببركات الجميع أمين[١].

وفي مسألة حرمة الصدقة على بني هاشم يعجبني ما يأخذه خلفاء ساداتنا المراغنة ويسمونه بالهدية "إدرأوا الحدود بالشبهات" - الحديث - ولا يعجبني تكليف الناس بما لا يطيقون، مع عدم احتياج السادة، وتوفر الدنيا عندهم بفضل الله - وليترفق الخلفاء بالمريدين، ويتركونهم وما تسمح به نفوسهم، لإعانة إخوانهم الملازمين لساداتهم،

([1]) يتوسع المؤلف هنا في حرمة الزكاة على بني هاشم ويأتي بأدلة فقهية.

العاكفين على العبادة وإرشاد الناس، والإعانة على نفقتهم. وفقنا الله لصالح الأعمال. آمين.

ولنزيدك علما ليطمئن قلبك بشهرة هذا النسب في السودان، واتفاق العلماء وغيرهم على شهرته وعظمته. حكى الشيخ أحمد النبري - قدس الله سره - أن رجلا من ذرية العالم المشهور في التصانيف مكي بن فريعة - وهو الذي سمي عليه مكي بن فريعة العباسي الذي هو من ذرية ود صالح المدفون برأس الجزيرة مقرات، وبعض ذريته مشهورين اليوم بالفريعاب وهو اسم على مسمى.

أما الذي نحن بصدده بأرض الصعيد، قال" إن جنب الفقه المشهور عشير لبني العباس، ولذلك العشير دين على ابن الفقه المذكور، فتمطل عليه حتى آل المطل إلى تطاول الأنساب بينها، فتكلم العشير صاحب الدين بكلام على صاحبه حتى أغضبه، فقال له إن مثلك كيف يتجاسر على بمثل هذا المقال، وأنت وضيع ين وضيع وأنا اشرف منك، فقال له نعم إنك أشرف مني بدين الله، أنت فقيه بن فقيه، فقال له: شرفي عليك لا بدين الله وحده، بل أنا أشرف منك اصلا وفرعا، فقال: لو كان أصلك يكون أشرف من أصلي ربط كذا وكذا من المال، فوافقه على ذلك. وسمع بهما في حينه جندي الحلة في نواحي مدينة أربجي[1]. فحبسهما ذلك الجندي في بيت واحد، وأرسل أمينه إلى علماء أربجي فاشاروا جميعهم إلى عالم يقال له بلال المصيقيع بتشديد اللام الأول، فلما جاءه وسلم عليه قال له الشيخ فلان يقرئك السلام ويقول لك أفصل ببرهان بين هذين بينهما رباط في شرف النسب، فسأل عن نسبهما فقال احدهما عباسي والآخر رباطابي فقال: من أي الرباطاب في القبائل، فقال من قبيلة جعل المشهورة فقال له: أشرف العباسي - فلما

---

(1) أربجي هي مدينة قديمة آثارها باقية إلى الآن في مقابلة رفاعة بجزيرة الهوي وانتقلت العمارة إلى رفاعة

قدم السائل على الجندي وأخبرهم بما قال العالم تنصر العباسي على صاحبه كما هي عادة الرباط، فقال له ابن الفقه: من يعرفك أنك عباسي، فصغى الجندي إلى قوله فقال: "يعرفوني بني العباس الذين هم في المحل الفلاني على مسافة يوم"، فأرسل الجندي راحلته إليهم مع الرسول السابق وقال له: " أحضر أكابر الفقهاء واسألهم عنه هل يعرفون نسبه أنه منهم"، فأغاثوه بمجرد العشرة، لخبر "من أحب قوما فهو منهم"، فقالوا بحضرة أكابر الفقهاء الذين هم شيوخ البلد: " نعم إنه ابن عمنا عباسي"، وكتبوا مكتوبهم إلى الجندي، وانتصر العشير حينئذ بعد ما كاد ينكسر. والعجيب من هذا الفقيه أن يقر له صاحبه بشرف دين الله ويطلب شرفا سواه، حتى أتته مضرة المالين مال الدين ومال الرباط، والله در من قال:

لعمرك ما الإنسان إلا بدينه	فلا تترك التقوى اتكالا على النسب
فقد رفع الإسلام سلمان فارس	وقد وضع الشرك الشريف أبي لهب

ثم قال: "ثم لولا استخفاف الجهال بهذا النسب الأصيل، لما ذكرت من هذه العبارة كثيرا ولا قليل، فإن الله أكرم بتقواه ذوي الألباب، ومرجع الكل بعد الموت إلى التراب، والتميز إنما يكون بعد العرض للمتقين بالكرامة، والمتكبرين يومئذ بتشديد العقوبة والحسرة والندامة". قال "وقد ذكر لي بعض أهل العلم ممن كان يحب المزاج حكاية قال: اجتمعت في جمع كثير من المسلمين، فقال لي بعض أهل العلم ممن يحب المزاح من أين أنتم عباسيين، فقلت له من أين نحن أم من أين أنتم يا جعليين، فقال نحن من بني العباس وأنتم ذرية عنتر عبس الكافر، فقلت: هل هذا يصح في عقل عاقل؟ أتكونون أنتم أهل بيت النبوة، ويكون غالبكم شراريب خمر وزناة وسراريق وظلمة وأهل فسوق وقطاع طريق، ونحن ذرية الكافر يكون غالبنا يتصف بالديانة والأمانة والمروءة، وأنتم

مع ما لكم من المكانة يتصف غالبكم بفعل هذه الخبائث، وتنتسبون لأهل بيت النبوة؛ ثم قال: والله إنك أقمت علينا حجة بالغة، وإنما نمزح عليك بهذه المقالة، وليس لنا عليكم حجة إلا بالمغالبة، وماقلته من الفضائل هو والله فيكم وأنتم أهل المفاخر والدين بغير شك ولا إبهام، ولا شك أنكم من ذراري أبهة الدين وخلفاء الإسلام، وأنتم أهل الفضل والأصالة"[1].

وذكر الشيخ أحمد النبري أنه قال : لما حج جدنا الحاج الكبير، الذي هو جد جدنا الشيخ أحمد البولادي رضى الله عنهم أجمعين، اجتمع بوفد من أشراف المغرب من أهل فاس، وجدنا المذكور في وفد من أهل العلم من بني العباس، فغبطهم الفاسي في العلم والكرم وتواضعهم، ولين الجناب للعباد، فاقبل عليهم بالتآلف والتعرف، ولاحظهم بعين الحرمة والوداد، فقال لجدنا المذكور من أين أنتم، ما رأيت مثلكم سيمة قط في مكارم الأخلاق والمروءة وتقوى الله، إني أراكم في الديانة كلكم سادات على الإطلاق، ومن القديم هذه السيادة الكاملة في العلم وتقوى الله والمروءة، لا تخرج أبدا إلا من بيت النبوة الذين هم حازوا سيادة الدنيا، وما لهم عند الله أعظم، وما ذاك إلا لأنهم غرفوا من فيض نوره صلى الله عليه وسلم، وفاق حسبهم ونسبهم على كل حسب ونسب، وكانوا واسطة لغيرهم في نيل كل مطلب وأرب، وحازوا جميع المحامد والأخلاق الطاهرة الكريمة، وخصهم الله بالنفوس الزكية المطمئنة والقلوب السليمة، فأجل في الدارين مقدارهم وزاد ذكاءهم على ذكاء الناس.

وأنشد الحاج الكبير قصيدة طويلة، وهو الحاج الكبير بن الولي محمد الجمة بن الولي الشيخ عبد الرحمن بن الولي الشيخ شرف الدين الذي ضريحه بالكاسنجر في بلاد

---

(1) يستطرد المؤلف هنا في حكاية حصلت في مجلس أبو العباس السفاح.

الشايقية الآن، واتصال النسب بالشيخ شرف الدين رأيناه منصوصا بخط الآباء والأجداد والثقات، وتواتر الخبر المنقول عن صالحي بني العباس باسناد صحيح عن الأكابر في المقالات، فنقول هؤلاء قوم تحروا الصدق في جميع المعاملات الدنيوية، مع توافر الصدق وتوفر شروط الأمانة والتقوى وتأييدهم بالكرامات التي تكاد أن تكون معجزات، وذلك من ثمرة الإتباع، وبالجملة فيهم الشروط التي يعتمدون عليها أهل مصطلح الحديث، فلا يصح تواطؤهم على الكذب، وإن لهم من شرف العلم والتقوى والإرشاد جاهاً كبيراً لا يخرجهم إلى ادعاء الشرف دون حل، مع معرفتهم الوعيد الشديد للداخل بلا نسب، والخارج بلا سبب، ولم يفارقهم اسم العباسيين من بغداد إلى مصر والمغرب وصعيد مصر والسودان، بل إلى يومنا هذا يدعون بين قبائل الجعليين والرباطاب في محلاتهم المشهورة مقرات، ونادى، ووهيب وود العباس، يدعون في جميع ذلك بالعباسيين إلى اليوم، وقد قدمنا لك كثيراً من الشهود العدول، ولم يكن فيهم متهم في دينه ولا مجهول، مع تواتر الأخبار والدلائل القطعية، وظاهر البراهين، وهذه حقائق لا يمكن مجابهتها لمن اتصف بالعلم والتقوى والإنصاف، الا متعسفا يحب المشاجرة والخلاف، ولعمري لا يجد المبطل دليلا يرفعه إلى المتقدمين، ولا عباد الله الصالحين.

وكان قدوم جدنا الشيخ شرف الدين، كما قدمنا، في زمن ملك العنج، ثم لما مات قدم إبنه عبد الرحمن إلى دار التكاكي، فأحيا بها مواتا كثيرا ومعه ابنه محمد الجمة، وأعطوا كبار العنج أجرة على أن يخبرونهم بعين الماء، أي المحل الذي به الماء صيفا وشتاءا كما يظهر، لأن هناك محلات كثيره يمكث بها الماء، ولا تصلح للسواقي في الصيف، وزمن نزول البحر، فينتج من ذلك تلف الزرع، وقد سمعت متواترا عن الآباء والثقات

أن جدنا الشيخ شرف الدين دعى وقال: اللهم لا تجعل رزق ذريتي متسعا إلا في ثلاثة: الحراثة، والديانة، والفقاية. وقدم رضى الله عنه الحراثة لأنها أفضل المكاسب، وفي الحديث "اطلبوا الرزق في خبايا الأرض". وثنى الشيخ بالديانة لأنها أصل لتيسير الأزراق في كل الاكتساب" ومن يتقى الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب" وثلث الشيخ بالفقاية، يعني اقتناء البهائم ورعيها والانتفاع بألبانها، والفقاية تطلق على الإبل والبقر والغنم. ولقد قال الشيخ فرح ود تكتوك حاثا على القناعة أيضاً واقتناء المواشي " العندو سبعة بنات ضان، وتامنهم العنان، وتاسعهم المحجان، وعاشرهم الصدق والإيمان، إن قال أنا فقران، نشكيه على الديان"، والمعنى الذي يمتلك سبعة من الضأن وثامنهم الفحل، فإنهم ينتجون في السنة مرتين، مع منافع اللبن والسمن إذا كانوا مرشودين ولذا قال تاسعهم المحجان، وهو عود طويل محنى كهيئة الحرف الحاء يحتون به العلف والبرم، واشترط أن يكون عاشرهم الصدق والإيمان، لأن المؤمن الصادق يثاب على جميع أعماله بنيته الصالحة في رعي أغنامه، والصدق مع الله في العبادة، والتصدق بما ينتج من أغنامه، كسمنها ولبنها، بعد النفقة على عياله، والفرار بدينه، والاعتزال من الفتن ومخالطة الفساق، وأكل الحلال[١].

ولنرجع لما نحن بسبيله من كلام الشيخ أحمد النبري اذ قال "أعطوا أجدادنا من بني العباس العنج أجرة على أن يخبرونهم بعين الماء، وكاد العنج أن يجعلونها عليهم وظيفة[٢] كل عام، فقطعوا نزاع العنج إلى أن أتتهم قبيلة جعل المشهورة، وتغلبوا على ملك العنج بالظفر، واستظهروا على جميع قبائل العرب وطردوهم عن تلك الديار، حتى أسكنوهم محل البحر، الفيافي الواسعة والقفار، ثم سكنوا ماشاء الله حتى أتتهم

([1]) يدخل المؤلف هنا في استطراد طويل عن آراء الفقهاء والمتصوفة في الغنى والزهد.
([2]) وظيفة: أجرة سنوية.

الفونج واستولوا على جميع البلاد، وأذعنت لهم القبائل بالطاعة، وصارت جعل عندهم من جملة الرعية، ولكن لهم المزية على غيرهم فقدموهم على من سواهم في البلاد، وقطعوا عليهم مهر كل بلدة يوصلونه إليهم، أي إلى عامل بينهم وبين السلطان الأعظم قربوا أم بعدوا، كل ذلك وقع لهم ببذل الطاعة والتذلل والعهد والميثاق المأخوذ عليهم، وما أحيوه أجدادنا كان خارجا عن واسطة سلطان جعل، لقدومهم قبلهم وإحيائهم لذلك الموات في زمن ملك العنج. فلما استولى الفونج واجهوا بني العباس في أن يجعلوا لما بأيديهم مهرا لا يزيد ولا ينقص تسمية فقط مراعاة لجاههم، إذ لم يكن من العادة دفعهم فيما سبق، وكانوا يدفعون ذلك إلى نائب السلطان الأعظم مباشرة. فبذل سلطان جعل غزير المال لناـب سلطان الفونج أن يجعل خدمة بني العباس تحته لأنه يخدم يمينهم وشمالهم، فأجابه بشرط أن لا يغير عليهم شيئا من المهر المعلوم الذي جعله السلطان الأعظم مراعاة لجاههم، وأن لا يدخل دارهم إلا بإذنهم، وينصب لهم الجاه على ما كان لهم من الحرمة مرسوم" ذكر كل ذلك الشيخ أحمد النبري في كراسة النسب. وما أحيوه الأجداد في الجزيرة مقرات ونواحيها كالكرو وأم عقارب والحجير والطوينة وبقية النواحي خمسمائة ساقية، وفي أراضي التكاكي خمسمائة أيضا، وجملة ذلك ألف ساقية من إحيائهم.

ولنسوق لك حكاية قريبة من عصرنا تبرز هذا القول، أن جدنا محمد بن الفقه مكي بن الخليفة ذهب وقابل والى مصر، وعرفه أنهم من بيت الخلافة العباسية، ولهم مساجد لتلاوة القرآن وتدريسه، وتدريس العلم الشريف، فخيره بين أن يجعل لهم مالا من الأوقاف المصرية، أو يكتب إلى حكومة السودان لأعفائه هو وقبيلته من الضرائب، فاختار الإعفاء من الضرائب لأنها كانت ثقيلة جدا على الناس وكتب له بذلك كتابة،

سألت عنها والدنا المرحوم المدني الفقه مكي لأنه كان معه، فقال ستوجد في كتبه فوجدنا الكتب اكلتها الأرضة، ومحيت من كثرة الأمطار لقلة الاعتناء بها من ذريته بذلك، وقل معرفتهم لمزية الكتب العلمية . "فإنا لله وإنا إليه راجعون".

ولما عرضت هذه الكتابة وفيرمان الملك على حكومة السودان، عرضت ذلك على الملك محمد أبو حجل لأنه كان ملكا في ذلك الوقت، فقال إن جميع الناس في الرباطاب ينتسبون إلى العباس، وأموال العبابسة الشهيرين بأولاد الخلفاء تكون ثلث مالية الرباطاب، فاذا أعفيناهم يحصل اضطراب من جميع القبائل المصاهرة لهم والمجاورة، وتلفظوا به ولم ينفذو " الفيرمان" وهو لم يرجع ثانيا.

ولنرجع لما نحن بسبيله، قال الشيخ النبري قدس الله سره "مما بلغنا من السمع لما مات جدنا الشيخ محمد الجمة، بقى بنيه بعده وهم ستة رجال ستة أشقاء والسابع أخوهم لأبيهم، وكان أكبرهم سناً ويقال للأشقاء الأواناب اشتهاراً باسم أمهم، أوانة بنت عبد الرحيم وهي بنت عم أبيهم، لم يبق من نسله إلا هي فتزوجها ابن عمها وأولدها أولئك الأولاد، وهم حمدنا الله، سرحان، مسلم، جريس، حسين، وعبد الله، واسم أخيهم لأبيهم جمل الدين وقد وضع يده مع أبيه في بعض إحياء الأرض، ثم إنه أراد أن يبقى له نصف الإحياء، والنصف الثاني لإخوته، وخاصمه في ذلك أكبر إخوانه الحاج حمدت الله فأصلحوا إخوتهم بينهم وقسموا الدار ثلاثاً ، ثلثين للحاج حمدت الله وإخوته وثلث لجمل الدين، إلا سرحان وحده أبي أن يترك تصيبه، وأختص منها ترعة سرار وجزيرة وهي المشهورة اليوم بالكرمل"، وذلك بجزيرة مقرات الشهيرة وهي أعمر بلاد الرباطاب الآن. وسمعت أن سيدي محمد الحسن الميرغني رضي الله عنه كان يسميها " مقرات" (بفتح الميم والقاف وتشديد الراء) وعبر عنها بأنها مقرات الصالحين.

اشترط جمل الدين أن النقارة تبقى عنده إلى أن يموت، والنقارة عبارة عن مصنوع من النحاس، كبير داوي الصوت، تسمعه الخيل فتركب، والرجال فتسعى بحماسة، مظهرين للثورة، والشجاعة في الحروب، وتكون النقارة عند كبير القوم ورئيسهم، يأمر بضربها إذا أراد أن يجمعهم، واستبدلها أهل الطرق بالنوبات والطبول، ولم تزل نقارة بني العباس موجودة عند المحمداب مع الأمير مدثر، إلى أن فقدت في أبو حمد سنة ١٣٤١هـ، في الواقعة التي قتل فيها الأمير مدثر ومن معه من بني العباس، وقد ثبتوا ثباتاً باهراً يحفظه لهم التاريخ، وقتل منهم نحو المائتين وأكثر، وهرب البقارة، وأسر الأمير محمد زين ومن معه.

ولنرجع لما نحن بسبيله، ولقد ذكر السمرقندي في تصحيح أنساب القبائل، كما ذكره الشيخ النبري: "قال ومن آل بيت النبوة في بر السودان ثلاثة: الفادنية وحرر نسبهم إلى الإمام محمد بن الحنفية بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وذكر الركابية وحرر نسبهم إلى الإمام أحمد بن عمر الزيلعي ويتصل نسبه بالعقيل بن أبي طالب علي الصحيح، وذكر العباسيون وحرر اتصال نسبهم بالخليفة أبو جعفر المنصور بن محمد بن علي السجاد بن عبد الله الحبر بن العباس، فهذه الأنساب الثلاثة في بر السودان موصوفون بالدين وبمكارم الأخلاق متصفين، وهذا أيضا يدل على سابقيتهم في أراضي السودان ".

ثم إن قال قائل أين بني العباس الذين صحت نسبتهم في العلوم؟ قلت من اشتهروا باسم جدهم عند الخصوص والعموم، وثم لهم علم يمتازون به عن غيرهم، مكارم الأخلاق والمساجد، وعلم يضعونه على الدواب والمواشي والأنعام، وهو وسم الخلفاء القديم كما ذكره النبري، ومما يدل ويؤيد كلام النبري بأن لهم وسم معروف، ما حكاه الفخري في

تاريخه عن الدويدار الصغير، قال خرجنا في خدمة للخليفة المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس ببغداد، ثم خرجنا للصيد والقنص، فخرج في الوحش حمار كبير الجثة، عليه وسم المعتصم بالله، الخليفة الثامن من خلفاء بني العباس، وكان بين المعتصم والمستعصم حدود خمسمائة سنة، وهذا يدل دلالة واضحة على أن لهم وسم معروف. قال الشيخ النبري " قدس الله سره" بعد وضعه الوسم بهذه الصفة (╒═╕) إني وضعته للتعريف بواضح العبارة. وكل عباسي صحيح النسب عنده هذا الوسم غاية ما يكون من الكرامة. وقال هذا الوسم يسمى بالباب والشاهد، فغالب بني العباس يجمعون الباب والشاهد على الدواب هكذا (╒═╕) والأقل يفرقون بين الباب والشاهد، بعضهم يجعلون الباب (┌─┐) والبعض يجعلون الشاهد (──) لتمييز الفروع بعضها عن بعض عند اختلاط الماشية، وقال قدس الله سره: "معنى الباب إشارة إلى أنهم باب لكل خير في الدنيا والدين، بالخلافة والسلطنة، والقوة والعلم والدين، وهم باب لكل كرامة وصلت إلى آل بيت النبوة، فمن سلطنتهم شاع في الأقطار شرف آل البيت وشاع الدين في واسع الأقطار بانتشار الصيت. حتى صار الدين في عصور الخلفاء كأنه شمس النهار"(١).

ومعنى وضع الشاهد مع الباب استعانتهم بالله في تسبيب الأمور، فإنه لاحول ولا قوة إلا بالله، ألا إلى الله تصير الأمور. أقول وفرعنا المسمى بالحديداب، نسبة منهم إلى جدنا إدريس الحديد، ومنهم الولي الكامل جدنا الحاج سعد بن محمد العباسي، وتبعه جل الفروع بجهته، من بني عمه وتلامذته، وتلامذة ابنه الفقه محمد، كذرية الشيخ حسن أبو خير، وأهلنا قلوباب المكيسر ومن تبعهم يمدون الباب (┌─┐) ويجعلونه كهيئة

(1) يستطرد هنا عن انتشار الإسلام في زمن الدولة العباسية.

البسلمة على الدواب والماشية، وهذه صفته (N) ويسمونه العكاز، وهذا الوسم هو أيضاً وسم الأشراف في البحر الأحمر. وقال بعضهم هو إشارة إلى العين من اسم عباس، وإشارة إلى إعانتهم بالله أيضاً، أو إشارة إلى اسم كن الذي يوافق عدد ٧٠ العين بالجمل الكبير، أو لهم سر في الحرف الذي ابتدأ الله به كتابه العزيز، واستحضار البسمله وتمسكهم بأسرارها واستحضارا لمعانيها.

حكي أن أحد العارفين قرأ البسملة فقالت له نفسه: ما معناها؟ فقالت: الباء بر والسين ستر والميم مغفرة فقالت نفسه: ممن ترجو الثلاثة (البر والستر والمغفرة) فقال لها: أما علمت ما بعد الميم هو (الله) فقالت: ترجو الثلاثة مع كثرة ذنوبك؟.فقال:يا ضعيفة اليقين ،أما سمعت قوله تعالى (الرحمن الرحيم).

والى اليوم وسم الحديداب الذي ذكرناه، ولكل قبيلة من قبائل العرب في السودان وسم معلوم، وللجعليين والميرفاب والرباطاب وسم يسمى الحلقة وهو هكذا (O) يوضع على الدواب من جهة اليمين، وفي حرف الهاء اسم من اسماء الله يجب صيانته عن الجهلاء والمتهتكين.

فكثرة الصلاح في بني العباس تدل دلالة واضحة على صحة النسب "والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا" ولا تخرج هذه الثمرة إلا من تلك الشجرة الشريفة.

وقد قال كثير من الفقهاء قد كان اسم الشرف قديما لا يطلق إلا على آل عباس، وأخرج مسلم والنسائي عن زيد بن أرقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا وقال: "اذكركم الله في أهل بيتي ثلاثا، قيل له: من هم قال من حرم عليهم الصدقة، آل

علي وعقيل وجعفر وعباس" وكذا قال الشيخ أحمد الأزهري بن الولي إسماعيل في كتابه "خلاصة الاقتباس" ناقلا عن جملة من العلماء، كان الشرف قديما خاصا ببني العباس لأنهم مقدمون على غيرهم في الإمامة والرئاسة والسيادة. ورحم الله القائل شعراً

لآل البيت عز لا يزول وفضل لا تحيط به العقول
وإجلال ومجد قد تسامى وقدر ما لغايته وصول
وفي التنزيل بالتطهير خصوا ومدحهم بها شهد الرسول
لهم عز وسلطنة وجاه ودام لهم من الله القبول
سيوف في الأعادي فاتكات وسطوتهم لها رعب مهول

قال الشيخ النبري، قدس الله سره، : " إن مطلق آل البيت أشرف الناس في الحسب والنسب، والحال أن ذرية العباس أشرف آل البيت بعد ذرية الحسن والحسين في الآل، ومن ثم جعلهم الله لأخذ ثار الإمام الحسين وغيره، ومن ذلك بشر النبي صلى الله عليه وسلم بملكهم وهم في عالم الغيب، وقد كان ذلك في الوقت الذي أشار إليه بلا ريب، ودعى لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالمغفرة واصلاح الحال في أثناء الجواب، ودعاءه عند الله مقطوع بأنه مستجاب، وقد فخم النبي صلى الله عليه وسلم قدرهم، وذم من قبلهم من فجار بني أمية، ومن الأحاديث الصحيحة الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " أوصاني الله بذي القربى ثم أمرني أن أبدأ بالعباس بن عبد المطلب" وقال صلى الله عليه وسلم "يا عباس إن الله غير معذبك ولا أحد من ولدك" وأخرج ابن عساكر بسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "اللهم أغفر للعباس ما أسر وما أعلن وما أخفى وما أبدى، وما كان وما يكون منه ومن ذريته إلى يوم القيامة" وأخرج الخطيب وابن عساكر بسنديهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " اللهم أغفر للعباس وولد العباس ومن أحبهم" وأيضاً أخرج بن عساكر بسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال "اللهم أغفر للعباس ذنبه وتقبل منه أحسن ما عمل وتجاوز عن سيء ما عمل، اللهم أخلفه في ولده، وأصلح له في ذريته، ولا تؤذوا العباس فتؤذوني، ومن سب العباس فقد سبني" وأخرج الدارقطني بسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال" يكون من ولد العباس ملوك تكون أمراء أمتي يعز الله بهم الدين" كما تقدم. وأخرج الخطيب في سنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "يا عباس أنت عمي، وصنو أبي، وخير من أخلف من بعدي من أهلى، إذا كانت سنة ١٣٥ خمسة وثلاثين ومائة فهي لك ولولدك، منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدي" وأخرج الرفاعي بسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "ألا أبشرك يا عم أن من ذريتك الأصفياء " يعني الأولياء الأكابر، "ومن عترتك الخلفاء " يعني السلاطين الأكابر" ومنك المهدي في آخر الزمان، به ينشر الله الهدي و به تطفي نيران الضلالة، إن الله أفتتح بي هذا الأمر وبذريتك يختم" وقد ساوى صلي الله عليه وسلم بينهم في الدعاء، فالأحاديث التي وردت في ذرية السيدة فاطمة الزهراء ورد مثلها في ذرية العباس.

ووردت كثير من الأحاديث في فضل بني العباس وشرفهم، فإذا علمت هذه الأحاديث في فضلهم وشرفهم في الدنيا والآخرة، ونيل كل مأمول بمحبتهم، فالواجب على كل مؤمن محبتهم وموالاتهم بالاقبال والقبول، ومن ثم ثبت لهم صفات الشرف، ولم ينكره أحد من الأوائل من السلف إلي الخلف، وكان فى القرون الأولى لا يتقدمهم أحد في الترويس في المحافل، ولا تقوم للدين قائمة إلا بأمرهم ونهيهم في واسع الأقطار، وقد بينا شرفهم مع قصور لمن أراد أن يكتسب بحبهم القيمة، ويسلم مما وقع فيه الناس من الخسران والصفات الذميمة.

وقد قال بعض الجهال بتفضيل ذرية سيدي بكر الصديق علي ذرية العباس، قال بعضهم "فضل الإمام أبو بكر الصديق في الخبر منصوص عليه بأنه مَا طَلَعَتِ شَّمْسُ وَلاَ غَرَبَتْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ والمُرْسَلِينَ عَلَى أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ " . أما فضل ذريته على ذرية العباس لا نص فيها حتى يجب الرجوع إليه، والمعلوم في شئ أولى في الشرع من المجهول.

وقد كاد الناس في هذا الزمان يعدونهم - أي بني العباس - من أراذل العرب مع مالهم من المكانة بالنبي صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم في شرف الحسب والنسب، كما اتصف غالبهم بتقوى الله تعالى والعفة والنزاهة، والتباعد من مجالسة كل ظالم، وسلامة الصدر عما لا يرضي الله ورسوله، فصار الناس يتمالون على أخذ أموالهم بالباطل، ولو أنهم يتعصبون على غيرهم كتعصب القبائل لملأوا العيون بالكيل، ولكن يمنعهم تقوى الله تعالى، فالحاصل أن كل من أمن الناس شره في هذا الزمان، كان له ذلة عند عامتهم وخاصتهم وحط مقداره، حتى أنه ليستعين الطامع فيهم على العوام، بالصالحين منهم أن يمنعوهم من أخذ حقهم، ويخذلونهم عن الإنتقام[1].

وبالجملة إن الانسان من حيث أصله واحد، لا شرف على غيره إلا بمكارم الأخلاق والمحامد، ولقد قال الإمام علي بن أبي طالب " سادات الناس في الدنيا الأسخياء، وسادات الناس في الآخرة الأتقياء " إنتهى كلام الشيخ النبري مع تصرف وزيادة في المناسبات، والله المسئول أن يرزقنا الثبات على الحق في الحياة وبعد الممات، فما أنور كلام المتقدمين وأحلاه في مسامع السامعين.

([1]) يستطرد المؤلف هنا في محبة آل البيت والأحاديث الواردة فيها.

فصل في فروع بني العباس في السودان

قال الشيخ أحمد النبري قدس الله سره "ولقد أودع الله شرف بني العباس بالولاية الكاملة والصلاح، وما ذلك إلا من دعوته صلى الله عليه وسلم، كما أسنده أهل العلم والصلاح".

ومن ذلك قل أن يخلو كل فرع منهم من مرتبة في التدريس أو مرتبتين أو ثلاث مراتب، وكلها مؤسسة على تقوى الله وصدق الالتجاء إليه في النوائب، ثم قال: "هم فيما أعلم تنقسم فروعهم على سبعة عشر فرعا نسبه للعباس محقق أصيل" - هذا في زمانه الذي هو في القرن الثاني عشر، أما في زمننا الذي علينا فحسب ما نتوخاه من الإجتهاد، ونقف عليه من الفروع القريبة من بلادنا.

وغالبهم يجتمعون في الشيخ شرف الدين الذي ضريحه بالكاسنجر من بلاد الشايقية الآن، ويسمى الشريف شرف الدين، ومعظم ذريته استقروا ببلاد التكاكي في الإستيطان، وتشتت باقيهم إلي واسع الأقطار في بلاد السودان.

(تنبيه): التكاكي في اصطلاحهم من طرف عتمور الجنوبي أو من الجريف، إلي حدود بربر، بالغرب السنقير، وبالشرق الكربة، وسميت بالتكاكي تشبيها لها بالدجاجة، كما يقولون "صعيد أم بله الراضه العنده ديك وجدادة، في خيرين وزيادة " هذا المثل الساير عند العامة، شبهت أرض التكاكي بالجدادة لكثرة ثمارها، ومصالحهم المقترنة ببعضها، من التمر ومن مصالحه غير الثمار الجريد لسقف المنازل، والحطب أيضا وليف للحبال والسلب، والقرض ومنافعه كثيرة، والسعف منه الحبال والبروش والمقاطف والزنابيل، والدوم ومنه حب الدومـ دخل في التجارة، وأثمانه الآن قريبة من أثمان الصمغ بكردفان، وفي أرضها الجردقة، والتريبة المسماة بالنويفعة، وهي قريبة من العشبة في

منافعها، وكل هذه الأشياء تؤخذ بالثمن الغالي، بعد أن كانت تبدل بالعيش. وأرض الرباطاب، وإن كانت ضيقة وحجرية، فمنافعها كثيرة جدا، والمسكين فيها لا يحتاج إلي أحد، وأهلها أكرم الناس، وكثير من العربان والذين لا أملاك لهم يعيشون في أطرافهم، ويقصدونهم في المواسم، خصوصا موسم التمر، يكتسب فيه المسكين الغريب أكثر من صاحب الأصل الحقيقي، ولا حصون لأكثر الجناين ليتمكن الغريب والمسكين من الأكل، بل إن أحدهم عند الزراعة يقول "بسم الله زرعنا للغاشي والماشي والدانع والسارق والعاشم".

وإذا رأى أحدهم من يسرق من نخيله، يتوارى لئلا يزعج السارق، ويأخذ في نفسه شئ من الإستحياء، ورأيت أحدهم لا يبيع التمر أصلا، فإذا قيل له لم ذلك، قال لا أبيع الطعام النجيض يعني به الثمر، وقلما ضافهم أحد إلا وقدم التمر العظيم، بل رأيت الضيف الذي يمكث أياما ينظف التمر من الغبار، ويوضع معه في بيت الضيافة، فلربما تأخر الطعام فيأكل من التمر المجهز لأجله، وهذه عوائد متأصلة في أرض الرباطاب.

وهذه هي الفروع السبعة عشر التي تتفرع منها فروع كثيرة وهي :-

الأوناب ومنهم الصالحاب، والجمولة، والمخولاب، والحسيناب، والحديداب والعفوشة، والعالياب، والمحمداب، والساكاب، والجملديناب، والشتياب، والضحياب، والبعوياب، والجريساب، والفرجاب، والحراديد والعناقريب، وكل من اتصل بهذه الفروع اتصل بالشيخ شرف الدين. وسنبين ذلك على سبيل الإختصار، مجملين في الكل إلا من وقفنا على سيرته، فإنا كثيرا ما نبهنا الفروع بأن تأتينا بتفصيلها ولم يأتينا منها إلا النادر

القليل، وكل منها يقول أنتم الذين إذا أشكل علينا شئ نأتيكم، ونحن لم نألوا جهدا فيما علمنا، فلا يظن أحد أنا تركنا ذكره وذكر آبائه إمتهانا، لا والله، ذلك إما جهلا أو نسيانا.

وقد تقدم لك أن الأواناب هم الذين ينسبون ألي أوانة بنت عبد الرحيم التي تزوجها محمد الجمة بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ شرف الدين، ومحمد الجمة أولا تزوج بأم إبنه جمل الدين، وطمحته وطلقها لكونه رجلا مسكينا ومعه جذبة في العقل، ومن ذلك سموه الجمة أي جمجمة لقل نطقه ومعرفته لأمور الدنيا، ولذلك اختار العزوبة زمنا طويلا، وأن أوانة بنت عمه عبد الرحيم يخطبونها الرجال الكبار أهل المكانات فتأبى، لأن مال أبيها عندها وكله ذهبا كثيرا يتهمونها به، يترددون عليها وهي تأبى التزوج، فألحت عليها النساء، يقلن ما تقصدين في إمتناعك عن الزواج، فلما كثر عليها الكلام قالت لهن، أنا ما بأخذ إلا هذا الجمة، إياه هو الذي يشيل عقاب أبواتي، فحينئذ دخلت نفس محمد الجمة الزواج مع ما هو فيه من الحال، فتزوجها فولدت منه سبعة ذكور ما ولدت معهم أنثى، وهم الحاج رحمة الله المكنى بالحاج الكبير، أما الصغير يسمى حمدت الله بن عون الله بن الحاج رحمت الله المكني بالكبير، ثم أولاد الجمة جود الله الثاني، وعبد الله الثالث، والرابع جريس، والخامس حسين، والسادس سرير، والسابع سرحان، وثامنهم أخيهم لأبيهم الذي يسمي جمل الدين. ثم فيما تقدم من الزمن لقبوا من نسلوا كلهم بالاواناب، ثم قصروا هذا الاسم على ذرية الحاج رحمة الله، ثم قصروه على ذرية الحاج حمدت الله الصغير، ولقبوا ذرية ابنه أبوبكر بالدراملة لأن أبوبكر كان يلقب بدرملي.

أما جود الله ثاني أولاد الجمة هو جد العفوشة، وهم يسكنون جزيرة شري في ارض المناصير. وجريس هو جد الجريساب، وحسين جد الحسيناب، وفي قديم الزمان كانوا

يسكنون جزيرة كرقس، وأم عقارب كالولي الحاج حسين، وقبره اليوم مزار، وتنسب ساقيته من تحته بالعباسية، وكان البدرناب داخل كرقس، منهم الولى الكامل الفقه عيسى ود قيزان بن بدران، وكان الفقه عيسى عالما عاملا، ولیا کاملا، وقبته اليوم قبالة كرقس بالغرب.

أما ذرية سرير تفرعت على فرعين عظيمين، الحديداب والصالحاب، أما الحديداب نسبة إلى جدهم إدريس الحديد بن طاه بن مسلم بن سرير بن محمد الجمة بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ شرف الدين بن محمد بن عيسى بن موسى بن السلطان أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن السلطان أبو اسحق محمد المعتصم بالله بن السلطان هارون الرشيد بن المهدي بن أبي جعفر المنصور بن محمد أبي الخلائف بن على السجاد بن عبد الله حبر الامة بن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسياتي التكلم في اتصال الفروع فيما بعد. أما الصالحاب تفرعوا من صالح بن شع الدين بن مسلم بن سرير بن محمد الجمة بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ شرف الدين. وفرع الحديداب في الجملة غالبهم مشهور بالدين والصلاح، هكذا قاله الشيخ النبري - أما الآن فياساتر، إني لأشفق على أغلبهم من ضياع الإيمان، لشرارة نفوسهم وضعف الدين، والعياذ بالله، ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم.

قال الشيخ أحمد النبرى قدس الله سره "ثم إني سأضع بعض نسبهم على وجه التبرك بذكر أهل الاسرار، وماقيل عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، وعند نزول الغيث في الامطار". ووضع جدولا ووصفه طولا وعرضا، وكل جدول على عدة من أولياء كمل، ومتفرع من كل ولي أولياء كثيرون وحفاظ وعلماء وغيرهما، والمذكورون في الجدول الأعاظم، أما عامة الفروع فسنجرى تفصيلها ان شاء الله، حسب الإمكان، والله

ولى الهداية والتوفيق. (الجدول بالصفحة المقابلة. وكل مافي الخاتم-الجدول- من أولياء يتصلون بالشيخ شرف الدين الذي ضريحه بالكاسنجر من بلاد الشايقية الآن).

وقد ذكر الشيخ النبر أنه من الأبدال، وأن من ذريته ألف ولي كامل، وقد علمت في ما سبق اتصال النسب بالشيخ شرف الدين، والمتفق عليه من عامة الناس أنه من بيت الخلافة العباسية.

الولي محمد الفقه النبري	الولي الكامل الحاج سعد	الولي محمد الدقير	الولي الشيخ مكي	الولي الحاج إبراهيم القلوباوي	الولي الفقيه محمد	الولي سعد المشهور بحمار بن صلاح	الولي محمد	الولي إبراهيم	الولي الفقيه محمد	الولي الكامل عبد الرحمن
بن الفقيه إبراهيم	ابن القاضي محمد	بن الولي الفيه محمد	بن سراج ابن حمادي	ابن عبد القادر بن محمد	بن الولي الفقه بدوي	بن محمد البيروني	بن سعد	بن الولي موسى	ابن الولي الشيخ حمد	ابن حمد
بن الولي الشيخ أحمد	ابن الولي الشيخ مكي	بن الولي الفقيه مكي	ابن حسين	ابن محمود العميان	ابن الولي الشيخ عثمان	ابن علي	ابن الولي خطاب	بن إبراهيم حردود	بن شاتاوي	بن جاولي
بن الولي الشيخ عثمان	ابن القفيه عيسى بن عبد النبي	بن الولي الكامل الشيخ محمد	ابن الخبير	بن محمد الشامي	بن الولي محمد	بن أحمد الشفيع	بن محمد	بن محمد	ابن موسى	ابن علي
بن الولي محمد بن الولي أبي بكر	ابن أبو العاص بن سعد	بن الولي صالح	ابن الولي صالح	ابن إدريس ابن إبراهيم	ابن الولي أبي بكر	بن بشير	بن جميع	بن حسين	بن الولي حمد	ابن آدم
بن الولي عون الله	ابن محمد المشهور بتكم بن إدريس الحديد	بن شعدين	ابن شعدين	ابن محمد المشهور بتكم بن إدريس الحديد	بن الولي عون الله	ابن عبد الخالق	ابن ضحي	بن أرباب	بن الولي علي	ابن عبد الله
بن الحاج حمدت الله بن الولي عون الله الكبير	بن طه بن مسلم	بن مسلم	ابن مسلم	بن مسلم	بن الحاج حمدت الله بن الولي عون الله الكبير	ابن عبد المعبود	بن هنبوك	بن مصطفى	ابن محمد بن هنبوك	ابن محمد أبو جلال
بن الولي الحاج رحمة الله	بن سرير	بن سرير	ابن سرير	ابن سرير	ابن الولي الحاج رحمة الله	بن جريس	بن جمل الدين	بن جمل الدين	ابن جمل الدين	ابن جمل الدين
بن محمد الجمة	بن محمد الجمة	بن محمد الجمة	بن محمد الجمة	بن محمد الجمة	بن محمد الجمة	بن محمد الجمة	بن محمد الجمة	بن محمد الجمة	بن محمد الجمة	بن محمد الجمة
بن الشيخ عبد الرحمن	بن الشيخ عبد الرحمن	بن الشيخ عبد الرحمن	بن الشيخ عبد الرحمن	بن الشيخ عبد الرحمن	بن الشيخ عبد الرحمن	بن الشيخ عبد الرحمن	بن الشيخ عبد الرحمن	بن الشيخ عبد الرحمن	بن الشيخ عبد الرحمن	بن الشيخ عبد الرحمن
ابن الشيخ شرف الدين	ابن الشيخ شرف الدين	ابن الشيخ شرف الدين	ابن الشيخ شرف الدين	ابن الشيخ شرف الدين	ابن الشيخ شرف الدين	ابن الشيخ شرف الدين	ابن الشيخ شرف الدين	ابن الشيخ شرف الدين	ابن الشيخ شرف الدين	ابن الشيخ شرف الدين

أما اتصال نسبي بالشيخ شرف الدين، بخطوط الآباء والأجداد، وتواتر الخبر المنقول عن صالحي بني العباس فإني:

أحمد الأمين بن الشيخ محمد بن الحاج محمد بن الحاج الحسين بن الخليفة الأزرق بن الولي الكامل محمد بن الحاج سعد (الذي ذكره ود ضيف الله في حرف السين بقوله الحاج سعد بن محمد العباسي) بن القاضي محمد بن الولي الشيخ مكي بن الولي الشيخ عيسى بن الولي عبد النبي بن أبي العاص بن الولي سعد بن الولي محمد المشهور بتكم بن الولي إدريس المشهور بالحديد بن الولي طه بن الولي مسلم، بن الولي سرير بن الولي محمد الجمة بن الولي الشيخ عبد الرحمن بن الولي الشيخ شرف الدين (من عندنا إلى الشيخ شرف الدين عشرون جدا بالضبط والتحقيق) بن يعقوب بن سعد الدين بن عز الدين بن يعقوب بن عبد الرحمن بن عيسى بن موسى بن محمد بن الخليفة جعفر المتوكل على الله بن الخليفة أبو اسحق المعتصم بالله بن الخليفة هارون الرشيد بن الخليفة محمد المهدي بن الخليفة أبو جعفر المنصور بن محمد أبو الخلائف بن علي السجاد بن الإمام عبد الله حبر الأمة بن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن شرف الدين إلى المتوكل على الله تسعة آباء، وإلى العباس سبعة عشر، ومن عندنا إلى العباس سبعة وثلاثين بالضبط والتحقيق.

وكانت جرت مناظرة بين أخي محمد الشيخ محمد، وبين الأخ وابن العم الفقه أحمد الإمام المشهور بتكرون، وهذه المناظرة أثارها تكرار اسم يعقوب في السلسلة القديمة التي بيد أهل المساجد من أسلافنا، وتكرار اسم موسى، فقد ذكر في عدة من التواريخ خصوصاً في شرح القصيدة العبدونية لعبد الملك بن عبد المجيد الحضرمي، وجملة من التواريخ، أن للخليفة المتوكل على الله ابن الخليفة المعتصم بالله من الأولاد طلحة،

ومحمد والزبير وإبراهيم وموسى. وإسماعيل وأحمد، وللخليفة المتوكل الذي تولى الخلافة بمصر بعهد من أبيه، وهو المتوكل بن المعتضد بالله بويع له سنة ٧٦٣هـ، وله أولاد كثيرون كما ذكره السيوطي، قيل إنه جاء بمائة مولود، "وتولى الخلافة بمصر منهم خمسة، ولا نظير لذلك، وهم المستعين، والمعتضد داؤود، والمستكفي سليمان، والقائم حمزة، والمستنجد يونس، وبقى من أولاده واحد يسمى موسى، ما أشبهه بإبراهيم بن المستكفي"، ثم قال "والموجود الآن من ذرية العباسيين كلهم من ذرية المتوكل على الله هذا، أكثر الله عددهم وزاد مددهم" أهـ السيوطي باختصار.

ثم الخليفة الثالث الذي يسمى المتوكل على الله، واسمه عبد العزيز بن يعقوب بن المتوكل على الله، وهذا ولد في سنة ٨١٩هـ ومات سنة ٩٠٣هـ وعهد بالخلافة لابنه يعقوب. والخلفاء المصريين ١٧ خليفة، كما أنه من الشيخ شرف الدين إلى المتوكل في السلسلة القديمة ثمانية أي إنما هو المتوكل الخليفة ببغداد. قال مغلاطاوي العلامة الذي ألف الخصايص النبوية: ألفت شجرة في نسل السيد عبد الله بن العباس لم يؤلف مثلها في الإسلام. ومما أثار البحث أيضاً وجدنا اختلاف في نسبة قديمة لفرع الحطاطيب الذي يتصل بالشيخ شرف الدين أيضاً. وجهلنا تاريخ إتيان الشيخ شرف الدين بالضبط، فمن وقف على ذلك فليلحقه بهذا المحل. هذا وقد أجاب الله دعوة الإمام السيوطي في قوله: أكثر الله عددهم وزاد مددهم، فقد ذكر الشيخ أحمد النبري أن من ذرية الشيخ شرف الدين ألف ولي الله كامل، هذا ما علمناه والذي لم نعلمه كثير.

وأول من تسمى بالإضافة للدين كما ذكره سيدي جلال الدين السيوطي قال: أول من تسمى بالإضافة للدين ظهير الدين، لقب لوزير الخليفة المقتدي بأمر الله في سنة ٤٦٨هـ وولع الناس بعد ذلك بهذه التسمية لكل من رأوه لائقا، حتى سمي محي الدين وجلال

الدين، وتسمية الشيخ شرف الدين تشهد بروح الزمن ونشأته فيه، أو بقربه، وولوع الناس بالدين.

وكان قدوم الشيخ شرف الدين كما ذكره العلامة النبري هو في زمن ملك العنج، والعنج هم النوبة أم نواب لهم، وسلطان النوبة كما قدمنا كان مذعنا للعباسيين ببغداد، ولكن بعد تشتيت الدولة ببغداد، وصارت مصر مملكة والملك الظاهر بيبرس بايع الخليفة العباسي بمصر، أما تبركا ببني العباس أو لغرض سياسي، ووجه جيشا إلى دنقلة فى سنة ٦٧٤هـ إلى والي النوبة الذي نقض الصلح بعد ذهاب دولة بني العباس، فانتصروا وأسر ملك النوبة ثانيا وأرسل به إلى الملك الظاهر، ووضعت الجزية على أهل دنقلة كالعادة، وذلك ببركة الخليفة، وكم غزوها غيرهم فلم تفتح إلا هذا العام. هذا ما أدى إليه البحث والتنقيب، فمن وجد أصح من ذلك وأيده بالبراهين، فله الأذن منا بأن يلحقه بهذا المحل وأجره على الله.

ونحن بمشيئة الله سنسجل كل ضلع من أضلاع الخاتم المسطر (الجدول) آنفا ونفصله تفصيلا، متحرين في ذلك حقائق الأمور، ومعاظم الكرامات من الفروع الشهيرة، ونفصل الفروع الصغيرة المتفرعة من الفروع الكبيرة، وعلى الله تيسير الأمور، وهو المعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الشيخ أحمد النبري:

نبتدي في أول الجدول بالشيخ أحمد النبري لسابقيته في التأليف، وهو العمدة والأساس لنا فيما ألفنا وجمعنا في الجزء الثاني من سيرة أولاد الخلفاء من بني العباس في السودان، وكما قال بن مالك في ألفيته:

وهو بسبق حايز تفضيلا   مستوجبا ثنائي الجميلا

والله يقضي بما وفره وهيأه لي وله في درجات الآخرة.

وأقول: هو الشيخ أحمد النبري بن الفقه محمد بن الفقه إبراهيم بن الولي الشيخ أحمد البولادي بن الولي الشيخ عثمان بن الولي محمد بن الولي أبو بكر بن الولي عون الله بن الولي الحاج حمدت الله بن الولي عون الله ابن الولي الحاج الكبير بن الولي محمد الجمة بن الولي الشيخ عبد الرحمن ابن الولي الشيخ شرف الدين الذي ضريحه بالكاسنجر.

وكان الشيخ أحمد النبري رضى الله عنه عالما عاملا صالحا تقيا ورعا، ذو فتوحات وتآليف عديدة، تشهد له مؤلفاته بسعة علمه، وكثرة إطلاعه على دقائق الأمور، قرأ القرآن بمحله بمسجدهم المعلوم، وهاجر لطلب العلم، وتشرف بالانتساب إلى الشيخ محمد بن الطريفي في علم الظاهر والباطن والتصوف، وله طبقات في مشايخه العركيين قيل أنها من أثمن المؤلفات، وأعلمني من أثق بدينه وأمانته من ذريته، أنه لقب بالنبري لكثرة نكباته لكل من تعدى عليه. وقيل أن شيخه محمد بن الطريفى، لما لاحظ عليه الكمال، قال له أنت ويوسف ولدي أظهروا لنا كرامة تدل على صدق المعاملة، وكانوا على شاطئ البحر بحلة أبو حراز نواحي ود مدني، فغطس الشيخ يوسف أبو شرا وأتى بعرجون فيه رطب، وقال هذا الرطب أتيت به من الجزيرة نيش بدار المغاربة. وغطس الشيخ أحمد النبري، وأتى بعرجون فيه تمر طري، وقال أتيت به من الطائف محل جدي عبد الله بن العباس هكذا سمعته.

وكان محمد بن الطريفي يحب هذا التلميذ محبة خاصة حتى زوجه ابنته، وكانت من الصالحات، وكانت تحى الليل كله هو وهي، ولم تتحرك عليها طبيعته ورأها كأخته، ولكن وافق الشرع في العقد عليها، ولكن عليت روحانيته الجسمانية، كأنها في الحقيقة نسبة الأرواح أكد من نسبة الأشباح، ولقد قال العلماء في مثل هذا المعنى بقبول توبة العاق لوالديه بشروطها، الندم على ما فات، والإقلاع في الحال، والعزم على أن لا يعود إلى مثل ما مضى من عمره، وغير ذلك من الشروط المعروفة، وخلاف العاق لشيخه فإنها لا تقبل توبته، لأن تربية الوالد لجسم فاني، وتربية الشيخ لروح باقية، وقد قيل في ذلك شعر

انهض إلى الروح واستكمل فضائلها   فأنت بالروح لا بالجسم إنسانً

وقد قيل لمن قال لشيخه لم ؟ لا يفلح.

ولنرجع لما نحن بسبيله. لما رجع الشيخ لمحله، كلفوه بنو عمه بأن يتزوج من بنات عمه. والناس في جهاز العقد، قام منزعجا وقال لهم "شممت رائحة شيخنا محمد بن الطريفي"، قيل أن بعض الناس رآه يتكلم مع تلميذه بعد أن نزل. وقيل قال له " لما أرادوا أن يزوجوك بابنة عمك، طلق أختك" فطلقها. يعني إبنته التي كان يعلم حالها وحاله أمره بطلاقها، حسما لمادة الغيرة الطبيعية التى لايريدها بينه وبين تلميذه. نفعنا الله ببركات الجميع، وإلى الآن بيان الشيخ محمد بن الطريفي ظاهر يزار بجبانة الحجير.

وكان الشيخ أحمد النبري نسبة لمهاجرته الطويلة في صحبة المشايخ وقراءة العلم، تغلبوا أقاربه على أرضه، وحصل بينهم نزاع في ذلك، والمتولى عمه الشيخ عبد الماجد

قرشي، خليفة المسجد وكبير جماعته، وطال النزاع بينهم حتى أن بنى عمهم هنا في التكاكى توجهوا لإصلاحهم، منهم جدنا الفقه محمد بن الحاج سعد، وفي معيته تلامذته، وبعض من جماعته، وتلامذة والده، وبني عمهم، منهم الشيخ إبراهيم القلوباوي، والفقه الشافعي، والفقه أحمد سكوتى، والفقه محمد خير، وغيرهم من الصلحاء من بني العباس، وشق عليهم تنازع هذين الرجلين العظيمين. وكان الفقه عبد الماجد عم النبر، وأكبر منه سنا، والخليفة الجالس على الفراش في محلهم، وعادة الخليفة عندهم أن يميز على غيره بأن يكون في محله على فراشه المعلوم، وإن كان هناك من هو أعظم منه. ولما حضر الشيخ أحمد النبري لفصل الخصام بينهم نزل الشيخ عبد الماجد عن الفراش، وهم في أشد خصام، ولما سئل عن ذلك قال: عاملته لذلك إجلالا لعلمه، ولا تدخل آداب الدين في التنازع. فقسموا جماعتهم الساقية أثلاثا، الصغرى، وداخلها المسجد الذي كلا منهم يريده، وكبرى في مقابلتها، وثالثة بينهم، وجعلوا الخيار للشيخ أحمد النبري، فاختار الحصة الصغرى وداخلها المسجد، فغضب الشيخ عبد الماجد، وقال ما اخترت المسجد إلا لترشد ذريتك وتحرم ذريتي، لا أعاش الله لك في هذا المسجد من يحفظ القرآن، وقال الشيخ النبري ومنع الله ذريتك من حفظ القرآن، الجزاء من جنس العمل. وتحقق جدنا الفقه محمد بن الحاج سعد، لكشفه وصلاحه نفاذ دعواتهم، لأنها خرجت من أفواه ملئت بنور الذكر وتلاوة القرآن، ووثب مهرولا وقال للحاضرين: هرولوا لئلا يصيبكم شرار دعائهم، هكذا حكى لنا متواترا، وإلى وقتنا هذا لا يحفظ القرآن أحد من ذرية الشيخ أحمد النبري في هذا المسجد إلا ويموت حالاً. ذلك مشهور فانتقل اكثرهم إلى جهة الحصا والدانقيل نواحي بربر وغير ذلك من البلدان فيحفظون القرآن هناك، ومنع مسجد الحجير من إرشادهم. أما ذرية عبد الماجد فلو قرأ أحدهم طول حياته لم يحفظ القرآن إلا ما يؤدي به الفرايض قال تعالى " ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب

ريحكم" صدق الله العظيم، وكثيرا ما حصل ذلك لكبار الصالحين، وفي الحقيقة هذه منافسة في الدين. حكى أن الإمام الشافعي كل ما أخذه في المذهب القديم كان عن الإمام مالك. ولما حضر مصر أحيا مذهبه الجديد، وكانوا جل العلماء من المصريين مالكية، فدعى بعض تلامذة الإمام مالك وقال: اللهم أمت الشافعي فإن لم تمت الشافعي فقد ضاع مذهب مالك، فلم يمكث كثيرا حتى توفاه الله، وتلاه الداعي من تلامذة الإمام مالك.

ولنرجع لما نحن بسبيله من ترجمة الشيخ أحمد النبري. قرأ القرآن عليه خلق كثيرون ومن أهل بيته كانوا أربعين من يحفظون مختصر الشيخ خليل، ومن تآليفه التي حزناها " كراسة النسب الصغير والكبير" وجعلناها كالأساس الذي نبني عليه كما تقدم. ولا نعيب منها شيئاً غير أنهم لم يسجلوا تاريخ السنين. فمثل هذه الأحوال جعلت تاريخ السودان أكثره مجهولا، حتى عاني كل مؤلف في زماننا ما عاني. ولا ندرى علة العلماء منهم في تعمية التاريخ، ذلك شيء فعلوه ليتعبوا غيرهم، ورأينا كثيرا منهم يؤلفون ولا يذكرون اسماءهم.

ولنذكر خطبة الشيخ في كراسة النسب، لتدلك على فضله، وإحكام سبكه، ومقدرته على التأليف. قال بن عطاء الله في حكمه " كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي عنه برز" وهي كلها براعة استهلال فيما أراد قال:

"الحمد لله الذي أنار قلوب العارفين بالصواب، وخلق من الماء بشرا وجعل منهم أولو الألباب، وفرعهم شعوبا وقبائل منهم الشريف والوضيع في الأنساب، وشرفهم فيما لديهم بالعوايد والوسايط والأسباب، حتى يفتخر الجاهل وينسى الله تعالى بإرخاء

الحجاب " وقد تكلمنا فى ذلك ونقلنا كلام الشيخ برمته فلا فائدة أكثر من ذلك فلنعد لسيرة الشيخ.

وقد كان الشيخ أحمد النبري محسودا من أقاربه، قال في الكراسة الكبيرة "إني مظلوم من جميعهم، تمالوا على الصالحون منهم والطالحون، واستخفوا بملاقاة رب العالمين، فكانوا سبب الإلجاء لله في البواعث، حسب ما قدره الله تعالى من المباحث، وتعصبوا على أخذ مالى من العقار، حتى منعوني سكنة البيت والجوار، ولم أجد سوى الله ورسوله مجيرا، وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا، ولو وجدت بقعة البيت ما قللت ولا كثرت معهم، ولكن أكثروا على الحقد، وافرطوا في تشعب الفتن والخصام، وصبت على مصايب لا تحملها الجبال الراوسي، فلما علمت إصرارهم على ما فيه من سوء الحال، فزعت إلى الله تعالى بالالتجاء وصدق الابتهال، وصرت على الدوام واقفا بين يديه، وكذب من يقول أقبلت على الله تعالى ولم يفرج عليه، ولقد عصمني الله من أذيتهم وأذية كل متكبر غشيم، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى سراط مستقيم"، إلى أن قال "وصار منهم من يموت موت الفجاءة على صحة الأبدان، ومنهم من يأخذه في الحين مرض القولنج بالتعاون على العدوان، وصاروا يرمونني لأزدرائهم وجهلهم بعمل الأسحار، وعلى رؤوس الأشهاد يتهددونني بالقصاص وأخذ الثأر، وأكثروا من ذلك حتى أفرطوا، ووالله العظيم إني لا علم لي بشيء في السحر قط، حتى تطير من مساعدتهم على كل ذي شوكة وكل جبار عنيد، وكل ذي ظلم وكل صاحب عدوان شديد، وما أدى إلى هذا إلا موت السنة المحمدية، وتطاول أهل الجهل بما هم فيه من الصفات الردية، استبدل كل منهم سعادة الآخرة بما يشقيه، وتكلم بالجهل فيما لا يعلم بحكم الله فيه، وقل من يتصف من الناس في هذا الزمان بالصفات الكريمة، التي كان

عليها سلف الأمة أهل القلوب السليمة، فلقد عزلوا أهل هذا الزمان من داير الكمال، وإنما نرى منهم فقد العقل وفقد رأس المال، وإيمانهم في اللسان وفقدت حقيقته من داخل الجنان، مع المظاهرة بالمخالفات، وأحلوا الحرام وحرموا المحللات، ومع اتصافهم بهذه الصفات هيهات لهم من الإيمان هيهات، فالتقرب إلى الله ورسوله، إنما هو بالشرع المنقول، وليس بمناسبات العقول، ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون، رتعوا في أودية الباطل، واغتروا بهذا العرض الزائل، وما بقى عليهم إلا أن يقولوا حكم الشرع قد زال، فمن أظلم من هؤلاء في المثال، قال تعالى: " فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم" إلى أن قال: "فنعوذ بالله العلي العظيم من كل وصف ذميم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" وأنشد في ذلك شعرا هذا مطلعه.

وبعد إني بالنصيحة صادح بأمر ربي للشريعة ناصرا

ثم قال: "إنما أورد هذا من باب النصيحة، شفقة على المسلمين من البدع القبيحة، فيمتثل للأمر من كانت له قريحة، ويعمل بما أرشدت إليه الأدلة الصريحة، ويقف عند ما شكل عليه ولا يتبع التباطيل الطريحة، ويتبع الآيات الصريحة، والأحاديث الصحيحة، فلقد كثرت المظالم ، واشتدت المآثم، واستخفت المحارم، وكثر الغاصب وقل السالم، وتراكمت المصائب على العالم، إن تكلم ما بين واشي وشاتم، وإن سكت عن مكرهم فهو آثم"، إلى آخر قوله المشفوع بنظمه إلى أن قال: "ومن الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من العباد، ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم فيتخذ الناس رؤساء جهالا إذا سئلوا أفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا". انتهى نقله من الشيخ زروق في شرحه على المباحث الأصلية. فالاقتداء بالصحابة

والتابعين ومن بعدهم من الأئمة أصل في الدين. وتكلم بمناجاة طويلة أشبه بالحزب في التضرع والابتهال وأعقبها بقصيدة على هذا المنوال محفوظة لمن أرادها، وقصيدة ثانية لامية نحو ٧١ بيتا من الشعر مشبعة بالمعاني والضراعة إلى الله.

وقال: "إني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام رؤية كانها عيان، وفي طي ضمنها أسرار فاخرة، رأيت رجلا من أولياء الله ينبهني لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقمت بالنهوض معهم، وفي ذلك الحين والساعة طويت مسافة الطريق برا وبحرا فاذا نحن في حجرته الشريفة، فسطع علينا نور منه صلى الله عليه وسلم حتى أنه لا يبصر بعضنا بعضا ساعة زمانية، ثم انكشف ذلك النور فظهرت لنا ذاته الشريفة، صلى الله عليه وسلم، فارتكضت الأعضاء حتى أننا لا نستطيع السلام عليه ساعة قدر الساعة الأولى، ثم أنها قويت الأعضاء من ذلك الرجيف بالقوة، وشاهد البصر جمال هيبة النبوة، ورأيت نفسي سبقت الرجلين على سلامه صلى الله عليه وسلم، فقبلت رأسه الشريف من الرأس وبقية أعضائه إلى الأقدام، ثم سلما عليه الرجلان، وجلسا متأخرين في المجلس خلفي، ثم صغى إلي أحدهما وقال لي: أما تشتكي على النبي صلى الله عليه وسلم فعل أقاربك بك، فتغافلت كأني لم أسمع مقالته، ثم إنه رددها على ثانيا وكأنه كواني في قلبي كلامه مثل الجمر، فقلت له يا أخي وأي قدر الدنيا حتى تذكر في هذه الحضرة، ثم إنه اشتكى على النبي صلى الله عليه وسلم ما جرى لي من فعل أقاربي وكيدهم، ولم يرد صلى الله عليه وسلم جوابا سمعته من شريف الجناب، والذي فهمته أنه أراد أن اشكو إليه بالسر في النجوى، وتحيرت في ذلك الحين في الذي أقوله في الشكوى، فرأيت وسيلة عرضت على مخمسة مكتوبة بمداد من النور وتخميسها،

مكتوب بمداد من الذهب الأحمر مسطور، قال ووضعتها كما هي في الوارد الشريف، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

ثم إني رأيته، صلى الله عليه وسلم، مرة ثانية في قرب بيت الله العتيق، داخل المسجد الحرام، حتى كدت أذوب من رؤيته تلك عليه أفضل الصلاة والسلام، فصرت أغيب تارة وأحضر تارة، وقلبي يفهم ما قاله لي في البشارة، وأمر شخصا يخدمني فيما فهمت منه بالإشارة، وقال له صر هذه الدراهم في ردائه للتصريف، ولحظتها فرأيتها كلها محمدية خالية من التزييف، مكتوب على كل واحدة منها محمدن محمد، ولا دريت بالشخص الذي أمره بالخدمة صباحا وعشية.

ثم إني رأيته، صلى الله عليه وسلم، رؤيا عظيمة كأنها شمس النهار، ومعه جمع كثير يجاهدون في موطن معلوم قوما من الكفار، فأردت أن أسلم عليه صلى الله عليه وسلم ، وما استطعت من شدة التحام القتال، وأنا حينئذ من شدة الشوق أتاني حال يغيب البال، حتى زهقت روحي وأحببت أن لو خرجت الروح مما أنا فيه، وبينما أنا في تلك المعاناة حتى رفع الجمع رايات بيض تكاد أن تخطف البصر، وأخبرت بأن النبي صلى الله عليه وسلم حصل له النصرة على الكفرة فانتصر، ثم إنهم بعد ذلك مشوا متيامنين، ولحقتهم في محل وقفوا فيه هو ومن معه من أصحابه وحزبه الأكرمين، فحينئذ سلمت عليه صلى الله عليه وسلم، ودعا لي بالخير مرة بعد مرة، وأمرني بعد أن مسك يدي بالرجوع منه صلى الله عليه وسلم بعد أن كنت في حال من الشوق، ومتولعاً بشديد من الولوع"، ثم قال إن هذه الوسيلة مقبولة الدعاء في التوسل إلى الله تعالى، وقد ذكر أنه رءاها مرغومة بالنور تحميلها سطر من الذهب الأحمر، وقال وضعتها كما في الوارد

ونحن نضعها تبركا بآثاره، وخدمة لأحفاده، ونرجو من الله أن يوفينا القبول، لأنه أكرم مسئول، وقصيدة التوسل تبدأ:

الحمد لله صح القصد في الهمم

الحمد لله راح الريب من تهم

الحمد لله حق الشكر للنعم

الحمد لله وصف الحق في القدم[1].

ولها بقية لم أعثر عليها، وهي كافية في التوسل، فعسى أن نجد من أحفاده من يحفظها ويتوسل بها، بما رغمناه عنه فإن ذلك متعجز في بحر الفتح.

ثم بعد ذلك مدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة لامية طويلة، وقال بعدها ومن فضل الله سبحانه أني رأيته صلى الله عليه وسلم قبل مراهقة البلوغ بمدة طويلة، وأراني منزلي بجواره عليه الصلاة والسلام، وأمرني أن اسقى الناس الذين معه في حضرته، فقمت ناهضا إلى ما أمرني به بسرعة والله ورسوله أعلم، اللهم حقق الرجاء.

وذكر رؤى كثيرة للنبي صلى الله عليه وسلم، وقال في بعضها دعا لى بالخير وحسن الخاتمة، قال وحصلت القرآن قبل بلوغ الحلم. وقد رأيته بعد ذلك بالصفة التي ذكره عليها الخلفاء الراشدين وجملة الإجماع والجمهور، قال وأمرني بإكثار الصلاة عليه والسلام، وأمر شخصا يخدمني وقال صر هذه الدراهم في ردائه للتصريف، وكلها

(1) القصيدة طويلة – يمكن نظرها في كراس النسب الكبير للشيخ أحمد النبر.

جيدة محمدية كبار عن الدارهم المعلومة، مكتوب عليها اسم محمد بحمرة أو رقية ولا عددت حسابها، ولا سألت عن قلتها أو كثرتها، وإنما هي دراهم شرعية.

وقال وأرى النبي صلى الله عليه وسلم ودمع عينيه يسيل ومعي بعض أولادي، وأرى دمعي يسيل مع دمعه، فعجبت من ذلك قال: وعن قريب مات أولادي، وكاد عقلي أن يطير من موت أولادي ورضيت بحكم ربي والحمد على ذلك.

وأتتني أمراة من الصالحات وقالت رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأراك ملتزم به، فقلت في نفسي لو كان محمد أخي جاء والتزم النبي صلى الله عليه وسلم كالتزام الفقه أحمد، فرأيت أخي جاء والتزم بك وأنت ملتزم بالنبي صلى الله عليه وسلم، فسررت بذلك.

"وقال لي رجل من أخيار العوام إني رأيتك في مواجهة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنت شرعت في كلام موزون، ورأيت النور يسطع علينا كشمس النهار عند شروعك في ذلك الكلام، ثم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ناداك وقال لك أدخل على، فدخلت عليه من داخل الشباك وساررك بكلام، قال وسمعت الحراس يقولون أن النبي صلى الله عليه وسلم يناجي الفقه أحمد بن النبري، ففرحت لك في رؤيتي بذلك، وحققت أنك عند الله وعند رسوله مقبول، ونحن نطلب منك أن تقبلنا، والله ورسوله أعلم"

قال "ثم رأيت سيدي وقرة عيني الشيخ محمد الطريفي رضى الله عنه جالساً على سطح من الذهب الأحمر، وقال لي إن الله يعيطك جميع مرادك، ويرد عليك دارك وتمرك بلا تعب من فضله سبحانه وتعالى، ورأيت الدنيا تأتي في شكل أمراة وهي تأتي راغمة على أنفها، وفي كتاب البركة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " من صلي ليلة

الجمعة، يقرأ بعد الفاتحة آية الكرسي وقل هو الله أحد، خمسة وعشرين مرة، فإذا فرغ من صلاته يقول صلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم ألف مرة، فإنه يرى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فله الجنة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولأبويه، ورفع عنه عذاب القبر وشدة أهوال يوم القيامة، وفرج الله عنه كل هم، وغم، وحزن، وحفظه من إبليس وجنوده، وخفف الله عنه سكرات الموت، ولا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه ويبعث الله له في الدنيا ألف ملك يحفظونه من الشيطان" انتهى.

"وقد سمعت من الشيخ محمد بن الطريفي رضى عنه أنه قال أتاني رجل من أهل السند يقال له الشيخ حبيب السندي، يقال أنه يوصل إلى الله في لحظة واحدة اثنى عشر ألف مريد، فجاءني يطلب قتلي بسره، وأنا أنذاك في جبال بيله، فلما أتاني ناهضاً بالهمة، سمعت جميع الأشجار والأحجار والنباتات يصحن من هذا الرجل وشفقة علي، فلما دنا مني قلت أذكر آبائي لأكون اليوم ولدا ولأكون حوارا، فلم يحضرني منهم أحد، فلما دنا مني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منعه مني، وقال له أتريد أن تميت سنتي، فلما رجع من عندي رأيت آبائى حضروا، وسبقهم شيخ كنت أقرأ عليه القرآن، وأعطاني حجرين كحل، وقال لي: إن لم تكتحل بهذا الكحل نور الرجل بعميك، قال: ومن ذلك اليوم محبة الشيخ حبيب ما خرجت من قلبي إلى الآن وقال:

يا ليلة هبي لعندي هل تأمن جور السندي
الرجل الفي بلده جندي يزحزح يطلب ما عندي

نحو اثنى عشرا بيتا، إلى أن قال:

فأهل الأسرار أمرهم عجيب   وحديثهم في ذلكم غريب

وقال الشيخ أحمد النبري " ومما شاهدته بنفسي أن رجلا من أولياء الله تعالى، اسمه الحاج إبراهيم من أهل مصر، وجاء بطريق سواكن الجزيرة ومر ببلدة التكاكي ومعه والدة له تسمى الحاجة آمنة، وهما الاثنان من أهل المحبة وسكرها. كل واحد منهم يقبل صاحبه في فمه، يقول له أنت سكران عند التقبيل، فدخل في قلبي شيء من الإنكار عليهما، فأتانا الليل وبتنا جميعاً، فلما غمضت عيني وقلبي لم ينم، أرى الفقير قام من مرقده وجاء يطلب مني غارة[1]، فأراه يحوم حولي كما يحوم الدنان، فرأيت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم دارت كالسور، وما وجد وجها يدخل به علي، حتى أني انتبهت ووجدت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في لساني وهي: "اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تحفظنا بها في الأهل والمال والبنين ولا تهلكنا بالسنين" فإني متخذها وردا صباحا ومساء. فلما قمنا منتبهين قالت لي الحاجة آمنة والدة الرجل إن الحاج إبراهيم - تعني ابنها - أصبح كسلان فعلمت وجههما والله ورسوله أعلم.

قال الشيخ النبري " وأيضاً شاهدت بركة هذه الصلاة مرة أخرى من سر أهل الأسرار أن أخا لي في الله خانته نفسه، فأراد مضرتي وأرى هذه الصلاة بعينها تمنعه عني طول الليل كله حتى بزغ الفجر، وأرى أبنا له يضحك مما جرى من أبيه علي، فأخذت من ذلك الوقت حذري منه، وشكوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم. ومن حين أخذت البيعة منه صلى الله عليه وسلم لم أخف من أحد يضرني، والله على ما أقول وكيل، وإنما يحصل لي الفرج منه صلى الله عليه وسلم في جميع الشدايد، حتى صرت في أمن

([1]) الغارة: هي إغارة بين أهل الباطن أو الصوفية سلاحهم فيها الأسرار الباطنية التي يملكونها، وأكثر هذه الإغارات بين الفقراء في وسط السودان، " فقراء الصعيد".

وكرامة من هذا الدار إلى يوم القيامة، وفعله صلى الله عليه وسلم معي ومع أهل الأسرار أجل من أن يذكر، وأعز وأغلى من أن يعد ويحصر، وكل هذا من بركة أسرار القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم، فكيف يشقى بهم محبهم وأنيسهم. وذكر رؤيا له للشيخ عبد القادر الجيلاني رضى الله عنه، وبشايرهم هو وشيخه الشيخ محمد بن الطريفي، رضى الله عنه وعنهم أجمعين وعلينا معهم.

ثم قال قصيدة طويلة في شيخه (محمد بن الطريفي)، وأعقبها بقصيدة طويلة أيضا في سلسلة القوم الذين أخذ عنهم، متوسلا بأسرارهم، وكل ما قاله في السادة العركيين مسطر عندهم معلوم، ولقد تبركنا على حسب ما ورد في عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة وعند نزول الغيث في الأمطار. وقال أيضا قصيدة طويلة يتوسل بأسماء الله الحسنى، ثم قال بعد هذه القصيدة وتوسل برجال السلسلة أهل الطريق إلى أن أتى شيخه والعركيين الصالحين ثم قال، ونحن نقول كقوله ونودعه كتابنا كما أودعه كتابه " اللهم إني أستودعك ديني ونفسي وأهلي وأولادي ومالي وعرضي وأصحابي على الدوام، فاحفظنا بحولك وقوتك يامن لا تضيع لديه الودايع يا حفيظ يا سلام" انتهى كلام الشيخ مع زيادة.

وللشيخ أحمد النبري أربعة من الأولاد، منهم أبو الحسن ونسل ابنين، أحدهم عطا الفضيل، والثاني محمد نور له سبعة أولاد، ولم أميز أسماءهم لكن قيل لي أن واحدا منهم يحفظ كتاب الله، وهم الآن بحلة الضانقيل نواحي بربر، والله ورسوله أعلم. وله ابن آخر يسمى دفع الله، له ابن يسمى محمد ومشهور بود بردي.

وإذا تكلمنا على الشيخ فنتكلم على أقاربه. قال الشيخ عند التكلم على أقاربه "وفيما أدركته في القرون ذرية أبو بكر أكثر من ذرية اخوته، وفيها نحو اربعين حافظا، وخمسة عشر عالما، فهكذا القرن الذي أدركته وهكذا الذي قبله. قال وإني بفضل ربي أقلهم علما، وأحقرهم وأضعفهم فهما، وعدة مجموع ذريته في عصرنا مائة وخمسون رجلا إن قلوا" انتهى كلامه, وقد علمت أيضاً من كلامه السابق أن كل من دخل الجدول فهو من أولياء الله الكمل، وإن لم نطلع على ترجمته وكرامته، فكلام الشيخ الذي هو من كمل الرجال يشهد لهم، ولا شهادة أقوى من شهادة عالم ثقة محقق كأمثاله والله أعلم.

أما أحمد البولادي ابن الفقه إبراهيم المذكور في الجدول له أربعة أولاد عبد القادر، والفقه قرشي، والفقه ادريس، وحمد.

أما عبد القادر خلف الفقيه مضوي فقط، وللفقه مضوي ثلاثة أولاد، اثنين لم يخلفوا، والثالث الذي يسمى الحاج، خلف اربعة وابنة، وهم أحمد ومحمد صغير ومحمد أيضاً والرابع لم نميز اسمه.

أما أحمد خلف سبعة أولاد ،حمد، ومضوي، والشفيع، وعبد المحمود، ومحمد، ومحمد صالح، ومحمد الحبيل. حمد الكبير نسل ابنة واحدة، ومضوي ابن وثلاثة اناث، والشفيع خلف ابنان، احمد وحامد، ومحمود لم يخلفوا، أما محمد له الآن بقيد الحياة ابنين وبنتين، يسمى أحد ابنائه أحمد جبور، والثاني أحمد الحاج، أما محمد صالح له أربعة أولاد وأربعة بنات، أكبرهم يسمى عبد المحمود، والثاني الحاج محمد صالح، والثالث حاج أحمد محمد صالح، والرابع السيد محمد صالح. وللحاج محمد محمد صالح ابن يسمى

محمد، ولحاج أحمد محمد صالح ابن وبنت، والسيد محمد صالح لم يخلف، وأما محمد الحبيل له ابن الآن بمصر، وآخر بالجزيرة مقرات، وأما محمد صغير بن الحاج بن الفقه مضوي خلف ثلاثة أولاد وابنة، احدهم توفي ولم يخلف، والاثنين يسمى أحدهم شكرت الله، والثاني قمر الدين. خلف شكرت الله بنت، وقمر الدين ابن ويسمى محمد أحمد، ولا نقدر استقصاء جميع ذراريهم إلا بحسب ما تيسر والله أعلم.

وكان الولي الفقه محمد (المذكور في ثاني الجدول المعشر) صالحا عالما حافظا لكتاب الله عاملا باحكامه تاليا لألفاظه، نسل ثلاثة أولاد أكبرهم يسمى البديوي والثاني مصطفى والثالث الرفاعي، وأيضاً خلف ابنتين.

وثاني أولاد الفقه مقدم الجدول مصطفى نسل أربعة أولاد، أحدهم يسمى المبارك، والثاني سليمان حافظ لكتاب الله وعالم، والثالث مساعد، وهؤلاء بضواحي الريف بمدينة قنا، ولا ندري أخلف هناك أم لا، والرابع يسمى عبد الله، خلف ابن ولم يخلف ابنه، وللمبارك ستة أولاد توفوا ولم يخلف منهم سوى منصور، وله ثلاثة أولاد أحدهم يسمى محمد، والثاني عبد الله، والثالث المبارك. وأما سليمان فلم يخلف سوى ثلاثة بنات و ابن توفي ولم يخلف.

أما الرفاعي ثالث أولاد الفقه محمد مقدم الجدول لم ينسل ابنا. أما الفقه بدوي بن الفقه البدوي بن الفقه محمد مقدم الجدول خلف ابنا يسمى الخليفة، ولم يخلف الخليفة سوى أبنة واحدة، والفقه بدوي هو الذي حصلت المشاجرة بينه وبين أحد الميرفاب في مسألة النسب إلى العباس، وتلك المشاجرة بمحضر السيد محمد الحسن الميرغني، الذي كان

نازلاً بمحل الفقه كوكو أحمد الأزيرق، وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم فلافائدة إلى إعادته والله أعلم.

فصل في ذرية طه بن مسلم والذين اشتهروا باسم "الحديداب" ومنهم ذرية القاضي محمد

وفي خامس الجدول المعشر، قال الشيخ أحمد النبري رحمه الله أما ذرية مسلم تنقسم إلى نسل طه ونسل شع الدين، ونسل طه اشتهروا باسم الحديداب لقبا لهم باسم جدهم إدريس الحديد بن طه بن مسلم، ثم الحديداب ينقسمون إلى أربعة فرق عيسياب، ورحماب ونولاب، وقلوباب. فالعيسياب ذرية الولي مكي بن عيسى وذرية اخيه سعد، ولهما أخان لم أميز من نسل منهما ومن لم ينسل، وذرية سعد هم المشهورون اليوم بالأونساب وهم ذرية يونس بن سعد، وكان القضاء في بيتهم ولذا شهروا اليوم بالقواضي، وقد رأينا منهم عمنا القاضي أحمد الفقه سعد، وكان فقيها يحفظ مختصر الشيخ خليل على ظهر قلبه، وكان يميل إلى استعمال الرخص كثيرا ولا يخلو كلامه عن دليل. فقد رؤى بعض العلماء بعد موته يتبختر في مشيته فسئل عن ذلك، وكان ممن يرخص، فقال: كنا نرخص للناس في الدنيا فرخص لنا في الجنة، وفي الحديث "إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه"، وكان له في الإفتاء مسائل غريبة لا نطيل بذكرها، ومما يؤثر في كرامته أن رجلاً كان يستدينه بريال عمله، قال: بعد موته جلست عند قبره، وقرأت فاتحة الكتاب لروحه، وقلت له الريال عفوته لك. فلما قدمت من عنده طار الريال أمامي. وقد نسل ذرية منها أخونا الطيب أحمد الفقه سعد، قرأ القرآن والرسالة على والدنا، وقد ربى معنا وكأنه أخ شقيق لنا في التنشئة والطبائع رحمه الله، وله ابن الآن يسمى أحمد محمد نسأل الله أن يكون مباركاً. وأخوه ابن عمه، أي اخا القاضي أحمد، محمد نوري كان عالما صالحا صوفياً عابدا كثير التقنع، غاض الطرف، ما رأى أمراة أجنبية قط، ولا حاكما ظالما، مات ولم يخلف.

"أما ذرية القاضي محمد منهم الولي الكامل الحاج سعد وذريته الآن مشهورة بالصلاح، وذرية أخيه عبد الرحمن بن القاضي" أهـ النبري مع تصرف. وسنتكلم إن شاء الله على ذرية الحاج عبد الرحمن فيما بعد.

أما الحاج سعد بن القاضي محمد فهو جدي وصاحب المسجد المعلوم بنادي[1]. وكل ما حصل لنا من بركاته، سنتكلم عليه وعلى الصلحاء من بعض ذريته وسيرهم وكراماتهم وما نقلناه عن الآباء والثقات متواترا عنهم، كل ذلك بإشاءة الله وتوفيقه، إذ لا قوة لنا على هذا الجمع إلا بإرادته وقدره وفتحه وتيسيره. فكلما فتر العزم أو ثبطه بعض الناس وجدت زواعج المقدور، وتيسير ما يعنيه من الأمور، حاثا على إتمامه، فلله الحمد والشكر على نعمه في محبة الصالحين، وجلب سيرهم، والتصديق بكراماتهم، والانتظام في سلك نسبهم، ألحقنا الله بنسبهم وحققنا بحسبهم .آمين.

فنقول أما جدنا الحاج سعد رضى الله عنه وعنا به، فهو القطب الكامل والغوث الواصل الورع الزاهد، قرأ القرآن العظيم، وهاجر مده كبيرة في طلب العلم، وحصل أسرارا لا تقاس بالمقياس، قال ود ضيف الله عند ترجمته[2]:

الحاج سعد بن محمد العباسي قرأ الرسالة على الشيخ المسلمي ولد أبو ونيسة، وتعلم التوحيد على الشيخ المضوي ببربر وشندي ودخل معه سنار، ودرس التوحيد بعد شيوخه، وتعلمت عليه خلائق كثيرون. وقام مقام أبيه محمد ابنه، في التوحيد ونشره وتدريسه والانتفاع به بعده، ثم قام بأمره من بعده أخوه الحاج جلال الدين، وكان بينه

---

[1] من قرى منطقة الرباطاب.
[2] انظر الترجمة ١٦٦ في كتاب الطبقات تحقيق يوسف فضل حسن.

وبين الفقه عبد الرحمن ود أسيد والفقيه أبو الحسن خوة واتحاد.

وسنذكر إن شاء الله ترجمة هؤلاء الرجلين الذين كان يزورهما ويهاديهما ويهادانه، ولقد كان سيدنا الإمام الشافعي يزور سيدنا الإمام أحمد بن حنبل كثيرا فسئل عن ذلك فقال شعراً :

قالوا يزورك أحمد وتزوره قلت الفضائل لا تفارق منزله
إن زارني فبفضله أو زرته فلفضله فالفضل في الحالين له

أما سبب قراءته على الشيخ مضوي كما حكاه صاحب الطبقات عنه قال "خرجت من بلادي مسافرا لقراءة العقايد عند الفقه أرباب، فدخلت على الفقه عبد الماجد بن حمد الأغبش، فسلمت عليه وهو جالس على برش، ومعه رجل قاعد على عنقريب، فاستنكرت ذلك لعظمة الفقه عبد الماجد، وخرجت، فلما ذهب الرجل قلت للفقه عبد الماجد أنا طالب لقراءة التوحيد عند الفقه أرباب، فقال لي الرجل القاعد فوق العنقريب بي تعرفه، فقلت لا، قال: هو المضوي بن المصري[1]. فالحقه أقرأ عنده فإنه عالم وأمين، فلحقته في الشرق وبدأت عنده، وعن قريب جده المصري مات ونازعوه أولاد عمه في الخلافة وعادوه، فرحل ونزل عند الفقه عبد الماجد بفقرائه، فاتوه أولاد الشيخ فايد الشيخ عبد القادر وحموده. وقالوا له أبونا مات قبل أن نتعلم وترك أمنا صغيرة وجميله وغنية أمشاك معنا نزوجك إياها وتقرينا، فقبل منهم الشيخ ذلك وتوجه معهم، وشرع في تدريس الرسالة والنحو وعلم الكلام وعلم الأصول والمنطق. وعمرت الحلقة في زمانه بشندي، واجتمع عليه خلايق كثيرون، ومع ذلك مرجحا التصنيف على التدريس، وألف كتبا شانها أن يكتبوها بماء الذهب منها أربعة شروح على أم البراهين

([1]) انظرترجمته في كتاب طبقات ود ضيف الله تحقيق يوسف فضل حسن

التي عم النفع بها في ساير الأقطار الوسط والصغير والحاشية التي هي أجل مؤلفاته، ومن مشروحاته منظومة يقول العبد في بدء الأمالي في مجلد ضخم نحوا من الستين كراسة، وعليه شرحها الصغير في سبعة كراريس، وشرح الجزري شرحا جيدا، وشرح عقيدة الرسالة، والأجرومية، وغير ذلك. وكان بينه وبين الخطيب عمار خوة واتحاد، وسافر إليه حين بلغه قدومه من الشرق، وسبب ذلك أحد الطلبة سأله عن النعامة هل هي من الحيوانات البرية أو طيره، فتوقف الشيخ فيها وقال: هذه المسألة لا توجد إلا في كتب الخطيب عمار، فإنه أتى بالكتب الغريبة في كل فن. وبعد أيام سافر إليه واجتمع في سفره بالفقه أرباب والشيخ دفع الله، ونزل عند الفقه عمار، وأدخلهم على الملك اونسه بن ناصر، وفرغ له الديوان، وقام إليه وعانقه وقال له: "تقعد نامن تشيب حتى تأتيني، قالو لك ما بيكرم العلماء"، وأعطاه ماية محبوب، وفعل به في اليوم الثاني والثالث مثل ذلك، وفي اليوم الرابع جملين صهب وفرخين رقيق، وأوعده بالرجوع بعد ذهابه من الحج ويعطيه الوقف والجواهر الفي بيته. والحلة أكرمته أكثر من إكرام الملك فرجع إلى بلده، وتأهب لسفر الحج، ودخل سنار ثانيا والممتنع من الدخول انتظره بمدينة أربجي، ثم سافر إلى بيت الله الحرام ،ورجع، وتوفاه الله بقوز رجب في سنة ١٠٩٤هـ اربعة وتسعين وألف".

وأخذ أيضاً جدنا الحاج سعد العلم عن الشيخ المسلمي ولد أبو ونيسة، قرأ عليه الرسالة وغيرها ولم أر في الطبقات أنه أخذ القرآن عن الفقه عبد الماجد، لأن والده محمد المشهور بالقاضي كان حافظا عالماً، ولكن سماع كلام الفقه عبد الماجد في الأخذ عن الشيخ مضوي يقتضي أن هناك صداقة، ولم يعبر عنه بشيخنا الفقه عبد الماجد ، كما أن العادة كل من أخذنا عليه تسمية شخينا والله أعلم.

ولقد حكي لنا أن الشيخ المضوي لما توجه إلى الحج وكان صحبته الشيخ خوجلي، وأفاهم رجل هناك من أهل الطريق، يسمى أحمد التنبكتي، فطلب منه الشيخ مضوي الطريق فلم يعطه، ثم طلب الحاج خوجلي ليعطيه، فتوقف حتى يستشير الشيخ مضوي، فلما أشاره قال له الحقه خذها عنه هذه عناية ربانية، نحن طلبناها فلم نجدها فأخذ عنه، ثم سئل الشيخ التنبكتي، لم منع الشيخ مضوي وأعطى الحاج خوجلي قال: لأن الشيخ المضوي محتاطة به أدلة الشريعة، لا تتركه يميل الميل الكلي للطريقة وأهلها. وطريق الصوفية أنما بني على اصطلاحات، يعرفها أهله يتلبسون بها، وأن خالف ظاهر الشرع. وحقيقة التصوف هو كما قال الشيخ المقدسي شعرا

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه	ولا بكاء إذا غنى المغنونا
ولا صياح ولا رقص ولا طرب	ولا اختباط كأن قد صرت مجنونا
بل التصوف أن تصفو بلا كدر	وتتبع الحق والقرآن والدينا
وأن ترى خاشعا الله مكتئبا	على ذنوبك طول الدهر محزونا

ولعل جدنا الحاج سعد، رضي الله عنه، ورث مكارم شيخه في العلم والعمل وجميع الأحوال، فإنى لم أر في كتبه وفي كتب جميع تلامذته أنه أخذ طريقة ما، وطريقته المشهورة عنه كتاب الله وسنة رسوله، ومؤلفاته في تعلم كتب التوحيد. ولقد قال في شرحه على أم البراهين "إنى أخذتها بالحال والقال عن أستاذي الشيخ المضوي، بسنده المتصل إلى الشيخ السنوسي، الذي تلقاها من اللوح المحفوظ. أوردنا الله مواردهم وسقانا من فيوضاتهم آمين" وشرح الجوهرة أيضاً وعقيدة الرسالة وبدء الأمالي. وكذلك ابنه ووارث مقامه الفقه محمد شرح هذه الكتب شروحاً مفيدة.

ولا أدري ما العلة في قل أخذه الطريق، مع أنه اجتمع بكبار أهل الطريق القادري كالشيخ دفع الله، والمسلمي، والشيخ عبد الرحمن ود اسيد، وغيرهم. ولعله إن أخذها

أخذها سرا، ولم يجهر بها، ولم يتصدى لتسليك، ولقد أكتفى بالعلم والعمل عن ذلك. ولقد نقل الخطاب في شرحه على مختصر العلامة خليل، ناقلا عن الإمام السيوطي في حاشيته على موطأ الإمام مالك رحمه الله، كتب عبد الله العمري إلى الإمام مالك بن أنس رحمه الله يحثه على الانفراد والعمل وترك اجتماع الناس عليه في العلم. فكتب إليه الإمام مالك رضى الله عنه " إنَّ اللَّهَ قَسَّمَ الأَعْمَالَ كَمَا قَسَّمَ الأَرْزَاقَ، فَرُبَّ رَجُلٍ فُتِحَ لَهُ فِي الصَّلاةِ وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ فِي الصَّوْمِ، وَآخَرَ فُتِحَ لَهُ فِي الصَّدَقَةِ، وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ فِي الصَّوْمِ، وَآخَرَ فُتِحَ لَهُ فِي الْجِهَادِ، ولم يفتح له في الصلاة، وَنَشْرِ الْعِلْمِ وتعليمه مِنْ أَفْضَلِ أعْمَالِ البرّ، وَقَدْ رَضِيتُ بمَا فُتِحَ الله لِي فِيهِ من ذلك، وَمَا أَظُنُّ مَا أَنَا فِيهِ بِدُونِ مَا أَنْتَ فِيهِ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ كِلانَا عَلَى خَيْرٍ وَبِرٍّ، ويجب على كلِّ واحدٍ منَّا أن يرضى بما قُسِمَ له، والسَّلام"

وقول جدنا الحاج سعد في عقيدة السنوسي" أخذتها بالقال والحال" أي القال، تلقى الفاظها، والحال اتصال المريد بحال شيخه، وانتقال السر منه إليه، ولكل كامل رقائق من النور متصلة بقلوب تلامذته كجداول من البحر، ويشهد له حديث "ما أفرغ في قلبي شيء إلا وأفرغ في صدر أبو بكر الصديق" وفي رواية "ما فضلكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صوم ولكن بشيء وقر في صدره" والأرواح لا تتناسخ، لكن ينقل السر من رجل إلى رجل، فيقولون ورث مقامه، أي اتصف بجميع هيئته وأخلاقه، ولقد قال بعض العارفين حال رجل في رجل أنفع من وعظ ألف رجل في رجل".

ولعل جدنا كاشف بما سيحصل لأهل الطريق من ادعاء المشيخة والولاية، اللذان يورثان الموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله، ولقد قال الشعراني في رسالته "تبيين الفرق والسعي بين الصادق والمحقق من الكاذب المدعي" قال رضى الله عنه "لا يجوز

للشيخ أن يلقن أحداً من الخلق إلا أن يكون يعرف موارد حركاتهم ومصادرها ويعرف الأنفاس والنظرة ومالهما، ويعرف بالشم أهل الطريق الذين يصلحون من الذين لا يصلحون ويعرف ما قسم لتلميذه من الأعمال حتى يأمره بها على وفق القسمة السابقة، لأن من لم يعرف ذلك يأمر الخلق بأن يفعلوا ما لم يقسم لهم فلا يستطيعون، فشرطه أن يشاهد تصاريف الأقلام في الخلق فيأمرهم بفعل ما أراده الله في كل وقت.

هذا ما أجمع عليه الأولياء، فمن لم يصل إلى ذلك فليدخل في أغمار الناس ولا يتصدر لشيء من صفات الأولياء فيهلك نفسه ومن يتبعه، وقد كثر في هذا الزمان الخبيث التصدر لباب السلوك من القاصرين لقلة من يناقشهم، لأن الأولياء كلهم استتروا لعظيم ما يشاهدون من البلاء، ولو عرفوا أن هؤلاء المدعين لهم قدم في الولاية معهم مقتوهم ومزقوهم لكنهم يعلمون أنهم ليسوا منهم، لأنهم يتخبطون في ظلام.

وقد اجمع أهل الله انه لا يجوز لولي أن يتصدر أو يتظاهر بالولاية في وقت من الأوقات حتى يجتمع بالأولياء أصحاب الدائرة ويبايعونه في اليقظة ويدخلون تحت طاعته، كما وقع لسيدي عبد القادر الجيلي وغيره، رضى الله عنهم. فما بالك بمن لا يعرفه أحد من الأولياء، ولم يعدوه منهم ولم يبايعه أحد، ولا قال له ولي واحد في اليقظة: أعمل شيخا بل استند إلى منام رآه، أو أذن له فقيه من مشايخ هذا الزمان، الذين لا قدم لهم في الطريق. فاعلم ذلك واحذر من تلبيس النفس عليك حتى تستحسن حالك وتقول لك: أبرز للخلق، فان في ذلك هلاكك، ولا ينبئك مثل خبير". انتهى كلام الشعراني باختصار.

وممن أخذ عقائد التوحيد عن جدنا الحاج سعد، الشيخ حمد بن محمد المجذوب الشهير، وكتب للعلامة الشيخ العدوي، محشي كتاب المذهب وشيخ الشيوخ، يتلمس الأذن في

أوراد الشاذلي. ولا باس أن نورد لك جواب الشيخ العدوي لتنظر تنصل كبار العلماء من الدعوى، وننتفع باقتفاء الأثر والتواضع وهذا هو عزمنا

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. من الفقير إلى الله على الصعيدي العدوي إلى أعمدة البلاد وعالم العباد سيدي حمد محمد مجذوب حفظه الله بالطافه الخفية، وعاملنا وإياه بإحساناته الوفية، وسلك بنا وبه السير في احسن طريق، وأطلعنا وإياه على أدلة التحقيق. أما بعد فقد وصلني حروف محبتكم وفهمناها على أنكم ملتمسون مني الأذكار والأوراد، والحال أني لست أهلا لأن أجاز فضلا عن أجيز، ولكن أتمسك بحبله فأقول، أجزتك بذلك، هذا وقد ذهبت يا سيدي البركة من الزمان، وضعف العلم وكثر الحرمان، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فأسألك الدعاء بالتوفيق وأن يحسن الختام على الإيمان والإسلام على التحقيق، وقد سمعت من بعض مشايخنا كلمات، فمنها ما نعلمه عن سيدي محمد بن الشيخ عبد القادر الفاسي أنه قال: ينبغي لكل مؤمن أن يخص نعمة الإيمان بالحمد عليها، فليقل في اليوم والليلة مائة مرة "الحمد لله على لا إله إلا الله" ليقيدها بالشكر ويأمن سلبها. وذكر سيدي محمد العياش، وكان من الأولياء الجامعين بين العلم والعمل، أن من داوم على قوله "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته" مائة مرة كل يوم، ختم الله له بالإيمان، وسهل عليه خروج الروح. وذكر لنا بعض شيوخنا وهو سيدي محمد الخرش مما نص عليه بعض الأكابر، واستعمله فانتفع به انتفاعا عظيما، أن من دعى بهذه الأسماء الأربعة، وأعقبها بكلمة الإخلاص بتمامها وهي "يا فتاح يا كافي، يا مغني ، يا رزاق، لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما" ويكررها ثلاثة أيام، فإنه يجد لها بركة عظيمة. وذكر لنا سيدى محمد المتقدم الذكر أن من لازم على قراءة "سبحان

ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين" عقب كل صلاة ثلاثة مرات، فإن الله يقبل صلاته، ويغفر ذنبه ويستجيب دعاءه، فأسأل الله أن يوفقنا لما يحب ويرضى، ولذلك أطلب منكم ذلك، وأخبركم يا سيدي أني قد صرت من وادي قول القائل:

لعمر ابيك ما نسب المعلى   إلى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد إذا اقشعرت   وصوح نبتها رعى الهشيم

انظر حالة المتقدمين وقارن بينها وبين صوفية زماننا الذين جعلوا الطريق مصيدة. ولقد قال الشيخ محمد دوليب في قصيدته الشهيرة التي نظمها في المغيبات وما يأتي قال:

ومنشأ الفساد من أهل الطرق   فهم معادن البلايا وحمق
لأنهم انتدبوا عبادا   مع جهلهم فزادهم ابعادا
وجمعوا من هؤلاء الجهال   مجامع منها فساد الحال
حتى تشوفوا لكرسي السلطنة   وزهدت أنفسهم بالمسكنة
ونبذوا أحوال أهل الله   ورغبوا في حال ذا الملاهي
فسيرهم يعكس نص الشرع   ونهجهم قابل لكل بدعي
حتى نرى حمارا راكبا حمارا   منافقا وفاجرا كفارا
لأنهم كلاب دنيا زايلة   قد بدلوا عاجلهم بالآجلة
وبذلوا الدين لنيل الجاه   ويضربون نويبة الملاهي
ويجمعون بين النساء والرجال   فذاك منشا الفساد والضلال
وينتسبون لهذا الأمة   لا ريب هم أعدا للأئمة
حاشا مقام المجد والإجلال   تدوسه أخامص الجهال
بعدا عن القوم فيافي قطعو   وبالمعاصي عنهم قد قطعوا
لو يعلمون بهم ولات أمرنا   لهدموا عليهم المساكنا
ولو دروا الأمر الذي حل بهم   لبذلوا الهمة في اصلاحهم

وبذلوا الأموال للمعلم والزموا الجاهل بالتعلم
وإلا فترى لا نص حين قال في حقهم وأوضح الأحوال
ويشهقون الشهق كالحمير ويذكرون الله بالنفير
فما دعى في حالهم مثقالا تصحا وتمكينا إلى أن قالا
لم يبق من دين الهدى إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه
فيبكي واعي الحق ما استطاعا عليه وليسترجع استرجاعا

ولا بأس أن نذكر شيئا من ترجمة شيخه المسلمي ولد أبو ونيسه وأصدقاؤه في الدين "عن المرء لا تسأل وسل عن صديقه" ولا يجدر بنا أن نذكر آباءه وأخوانه في نسب الأشباح، ولا نذكر بعض أبائه في الدين وأخوانه في نسب الأرواح، وفي الحديث الشريف" الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تنافرمنها اختلف" والخوة في الله من الأمور المشروعة، فلقد خاوى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، قال في قوة الإحياء "عليك بصحبة الصلحاء وخوتهم لأن في ذلك عون كبير تأمل تأثير الصحبة في كل شيء حتى الحطب يصحبه النجار يعتق من النار، فعليك بصحبة الأخيار بشروطها التي منها دوام صفائهم ووفائهم وعقد الأخوة وأخيتك في الله ورسوله واسقطنا الحقوق والكلفة بيننا، ويقول الآخر مثله ويدعوه بأحب أسمائه إليه ويحفظه في غيبته وحضوره ويدعو له أبدا ولا يسمع فيه ولا في مسلم سواه ولا يصادق عدوه ويتفرقا وكل واحد على ود صاحبه ويكون الصحبة على شرط الحديث سبعة يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله منهم رجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه" وبسط في محله انظر القسطلاني على البخاري.

أما شيخه المسلمى ولد أبو ونيسة سالف الذكر، "أبوه على النقير وونيسة ابنته، كان ممن جمع بين العلم والعمل، تفقه على الشيخ عبد الرحمن بن جابر، وأذنه في التدريس وإرشاد الخلق، مسكنه البحر الأبيض، ومن تلامذته أربعين بلغوا درجة القطبانية، توفي

بالقوبية، موضع بين البحر الأبيض والخروعة". انتهى من الطبقات باختصار، وقد مر عليك شيء من ترجمة شيخه المشهور عندنا ألا وهو الشيخ المضوي.

ثم لا بأس أن نذكر لك إخوانه في الدين، الذين من أعظمهم هذين الرجلين تبركا بهم، لما قيل أن عند ذكر الصالحين تتنزل الرحمة، ثانيا برا بالجد واعتناء بأخوانه في الدين، ثالثا أن والدة أبي جدها الشيخ عبد الرحمن ود أسيد، ولهم معنا تشعب أرحام إلى اليوم، وهم لنا من جملة الأجداد.

فنقول هو عبد الرحمن بن أسيد، ولد بنوري وأمه ست الدار بنت الشيخ عبد الرحمن ود حمدتو، وأسيد شايقي حفظ القرآن على رجل أربجاوي، وتفقه وقرأ مختصر الشيخ خليل على أخواله، وقرأ القرآن أيضاً على الشيخ عبد الرحمن بن الأغبش، وقدم إلى الأبواب مع أخواله أولاد أم جدين سنة ١١٠٧هـ وتوفي شيخه وخاله الفقه محمد ولد أم جدين، وتخلف في مكان أخيه الفقه مدني، وأوكله أن يوقد نار القرآن والعلم من جميع الفنون، وسلك طريق الصوفية على الحاج عبد الله الحلنقي، وعمرت الخلوة في زمانه وأعطاه الحاج عبد الله الحلنقي، حين قدومه من التاكة وموافاته له في أبو حراز، أعطاه ستمائة فقير، ثلاثمائة للقرآن، وثلاثمائة لقراءة العلم، هذا سوى من كان معه. وكان رضى الله عنه ذا علم وجاه وانقباض عن الدنيا، ولقد جمع بين العلم والعمل. قال تلميذه سعد الكرسني مشيت معه من الفجيجة إلى قندتو فرأى امرأة فوق الطريق انخلع منها وقال لي: مما وعيت نفسي ما رأيت امرأة أجنبية. وجده عبد الرحمن ولد حمدتو كان إذا رآه وهو صغير يقول: هذا الولد سيمسك عقابنا، وكان ذا دعوة مجابة، دعى لخمسة من تلامذته فنالوا خيرا كثيرا وهم سعد الكرسني، والفقه عبد الرحمن ولد حاج، والفقه عبد الكريم ولد أبارو، والفقه حسب النبي ولد بحر، والفقه حمد السيد ولد بله. وكان

أول ما يفرغ من صلاة الصبح يقرأ عليه المبتدئين لخليل، ثم يدخلوا ناس القرآن لتصحيح الألواح، ثم يأتوا ناس قراءة العقائد وأهل العشماوية والأخضري، فعندما يفرغ من ذلك يؤذن المؤذن لصلاة الظهر فيتوضى ويصلي الظهر، فإذا فرغ دخل ناس خليل حتى يؤذن المؤذن لصلاة العصر فيتوضي ثم يصلي، ثم يدخل ناس التجويد وأهل العقائد وأهل العشماوية والأخضري حتى يؤذن المؤذن لصلاة المغرب ثم يتوضى ويصلي المغرب وبعده يدخل ناس متن خليل لشرح متنهم فيشرح والمتنة الواحدة يقرأ عليها سياقا يوازي فقرة من القرآن، ثم يأتونه بعنقريب يجلس عليه، ويعرض أهل القرآن الدراسة اثنين اثنين ثم يتوضى لصلاة العشاء ويصبر قليلا حتى يتعشوا الفقرا ويأخذ سوطه ويجلس لناس القرآن حتى يقرأوا السبع دراسة فإذا فرغوا قام ودخل خلوته فيأتيه واحد من الطبة شايل حزمة حطب ويوقد النار وهو يقرأ والشيخ يجيب محفظه مشتملة على ستة عشر كراس فهو يستقبل والفقير يدرس لنفسه فاذا فرغ من ذلك أيقظ الفقرا للدغشاوية وله سبحه ألفية دقاقة يأخذها ويشتغل بها حتى يؤذن المؤذن لصلاة الصبح. وأيام البطالة يفتي ويحكم بين الناس ويكتب الحجب هذا دابه حتى فارق الدنيا وكثرت قعاده انحنى فلما وضع في لحده دخل الفقه أبو الحسن يده في اللحد وقال: النشوف الرجل الذي كانت رجله تسبق الوضوء فلم يجده فقال الرجل نقلوه ولقد توفي في عام ١١٢٧هـ. هذا كلام صاحب الطبقات بتصرف واختصار. أقول: ولقد سمعت عن الثقات أن أهلنا الحمدتوياب هم من ذرية سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وكان الوالد رحمة الله يحبهم، ويأمرنا بإيصالهم، ووالدي نفسه يسمي شيخ محمد عليهم، وأخيه ابن خاله، يسمى حمدتو عليهم.

ولقد حصل لي مدة إقامتي بمكوار أني اتيت إلى سوق الجزارين المعلومين، فقال لي

رجل أول ما رأني أنت فلان؟ فقلت نعم، ابن فلان؟ فقلت نعم. فقال لي: والدك أمه حمتيابية منا. فذهب عن فكري ولم أساله، لأن فكري كان مشغولا بالضيوف الذين تركتهم في محلي، ثم لما ذهبت من عنده قلت في نفسي، رجل عرف أسمي واسم أبي وقرابتي، ولم أساله عن أسمه، وسبب حضوره، هنا هذا عقوق شديد للأقارب، وأخذت في نفسي من ذلك. فرجعت حالا، وبحثت عنه في جميع السوق فلم أجده، ولا وقفت له على خبر، ولا شك عندي أنه من أهل الله المستورين، والله أعلم بحقيقة الحال. فحصل لي في هذه السنة تيسير عظيم، وفوارق عجيبة، أدت إلى اعتقاد الناس، وأني لأعجب منها في نفسي، إذ الأهلية تعرج بي إلى ذلك، ولكن يقال إذا من الله عليك، فعل فعله ونسبه إليك.

أما أخوه في الله الثاني الفقه أبو الحسن بن صالح العودي، كان يسمى شيخ الإسلام، تفقه على جده إبراهيم الحجير، وصار كشيخه في التحقيق، وانفرد ببراعة الفقه في عصره. وكان يدرس منطوقا ومفهوما، وإشعارا وتقييداً، وإجماعا وفردا، وعطفا وإخراجاً، ومع ذلك شايل لدلائل الخيرات طول النهار. ولقد قرأ القرآن لحد عم، وأعطاه الله القبول التام، عند الخاص والعام. وكان كريما سمحا جوادا، وكان يعطي المهرة الجميلة كما ذكر تلميذه. وكان بينه وبين الفقه الرحمن ود أسيد والحاج سعد العباسي خوة واتحاد، يأتيهم كل عام بفواكه السافل كالتمر والدوم، وهم يهدوا له التور الجرق وكسوته وكسوة حريمه، فمن يهدي لرجلين تمرا ودوما، يقسم على تلاميذه الذين كلا منهم لا يقل عن ألف تلميذ، فكأنه يهدي لألفين من أصدقائه وتلاميذهم، فلا يستكثر عليه كسوته وكسوة حريمه والثور الجرق. وأما ما أدى إلى هذه الموازنة لاستنكاف بعض الاقرباء، لأنه قال هذا نقص، يهدوا له أكثر مما يعطيهم، أما قول صاحب الطبقات أن

إعرابياً يسمى زاهر كان يهادي النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يقول زاهر باديتنا ونحن حاضرته، لم يفهم من ذلك نقص الحاج سعد عن مراتب اصدقائه، بل ذلك من باب المشاكلة بقول عيسى، تعلم ما في نفس الله التي لا تكيف بخلاف نفس عيسى. والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أعظم من الصلاة على إبراهيم والمقصود الصنف لا الكمية والكيفية، لأن رتبة إبراهيم دون رتبته صلى الله عليه وسلم، وتقدم لك زيارة سيدنا الإمام الشافعي لسيدي الإمام أحمد بن حنبل وشعره، وأيضاً كان يزور سيدنا الإمام مالك بن أنس وكان يهدي له حتى قال: لقد ضاق على الحجاز بعد موته. ولا عيب في المهاداة والمواساة سواء من ذا أو ذلك، ولا تدل على شيء من الأفضلية، بل تدل على اقتفاء الأثر، وتبادل المنافع، وما بنيت الدنيا على ذلك والله أعلم. توفي الفقه ابو الحسن رحمه الله سنة ١١٣٣هـ وعمره ثلاثة وستون سنة. ولما بلغ هذه المدة قال إني بلغت سن الرسول فلا أعيش بعدها. ولقد تقدم أن وفاة الشيخ ود أسيد سنة ١١٢٧هـ فالفرق بينه وبين أخيه في الله خمس سناوت، والمظنون أن جدنا الحاج سعد لم يتأخر بعدها بكثير، ولا زلنا نبحث عن عام وفاته بالضبط. ولقد قيل لي سماعا أنه في نصف القرن الثاني عشر الهجري.

وللحاج سعد كرامات تنبو عن الحصر في حياته، وبعد موته. وأول مسجد أسسه بالجزيرة انجري[١]، أساسه قائم إلى اليوم. ثم لما كثر المعتقدون، وتعلقوا به الملوك، وأهدوا له السواقي المعلومة بالباقير[٢] أسس مسجدا بالباقير، ومكث فيه مدة لا تزيد عن السنة أو السنتين، ثم لأشياء عرضت له بحث تربتها وشمها وقال: أرض تمر وخمر وخبث، لا تصلح لمسكن الذرية، وانتقل وأسس مسجده المعلوم إلى اليوم بنادي،

---

(1) جزيرة من جزر الرباطاب.
(2) من قرى منطقة الرباطاب وكانت مركز ملوك السعداب والحجولة من بعدهم.

سماها بذلك لكثرة المجتمعات عنده.

وكان من القبائل المعتقدين فيه السعداب والضعيفاب وغيرهم، وكانوا يكرهون يوم الثلاثاء والأربعاء، ويتحامون العمل فيهما ويتطيرون. فجمعهم وأسس مسجده يوم الأربعاء آخر الشهر. فقيل له في ذلك فقال: إذا كان ذلك عملا متصلا خالصا، أسال الله أن يتصل إلى يوم القيامة، وإن كان عملا منفصلا، أسال الله أن ينفصل في هذه الساعة، وأساسه بحمد الله إلى اليوم.

وقد تخرج في هذا المسجد كثير من الصالحين منهم مالك جد الشكاكيك الذين منهم الشيخ مالك ود نوري والذين من ذريته الآن القضاة والمحامين والكتاب. ومنهم الرجل الشهير مؤسس مدرسة الأحفاد بأم درمان الشيخ بابكر بدري أطال الله أيامه وأولادهم الذين أغلبهم حكما وموظفين وأعطاهم الله النباهة التامة والديانة مع ما هم فيه وكثرة المادة وذلك من بركة أجدادهم. ومنهم الشيخ ميرغني شكاك وهو الآن من الوجهاء وذو تجارة واسعة ومنهم الرجل المبارك - رحمه الله - الفقه الطيب الخليفة ومنهم الفقه شكاك المدرس للقرآن في عتمور[1] ولقد حفظ عليه أناس كثيرون. وبالجملة فكلهم أناس مباركون والى اليوم حين يندهوه يقال له يا فقه شكاك وشيخك الحاج سعد. وبالجملة تأسست من مسجد الحاج سعد مساجد كبار كل واحد منها تخرج منه آلاف الرجال.

وممن اخذ عليه علم العقائد الشيخ حمد بن محمد المجذوب والشيخ إبراهيم القلوباوي وغيره، وذكر عنه الشيخ القلوباوي بأن حد شفاعته من سدرة هلالي - وهي سدرة بقرب الحصا نواحي بربر - إلى دمشق الشام. وكان ذلك أمرا متواترا، وفضل الله

---

(1) عتمور من قرى منطقة الرباطاب

أوسع، ولقد ذكر أيضاً أن الرسول كان يحب الحاج سعد وأولاده وقال: كثيرا ما كنت أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه شيخنا الحاج سعد. وقال إنه رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه سيدنا أبو بكر الصديق، فأتى الفقه محمد بن شيخنا الحاج سعد فسلم على الرسول وقال: يا رسول الله إني احبك. فالتفت صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر الصديق وقال ألم تعلم يا أبا بكر بأني أحب أولاد الحاج سعد. ولا أعلى من محبة الله ورسوله، وذلك من ثمرة القرابة والاتباع، "قل أن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله" ولا تنشأ محبة رسول الله إلا من محبة الله. وورد في الحديث القدسي " لا زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها " الحديث.

ومما ينسب للحاج سعد من الكرامات، لما كان بجهة الباقير ومعه كبار تلامذته فطتهم هناك المراكب، ولم يجدوا ما يقطعون به البحر إلى نادي وكانوا على الشاطئ، فرأوا جاموسة البحر التي نسميها عندنا بالعيسيت وقلوبه، وكانت طالعه على جزيرة هناك، فالتفت الحاج سعد إلى تلامذته وقال لهم، من منكم يذهب إلى قلوبه ويمسكها من أذنها، ويقول لها شيخنا قال لك تعالى قطعينا، فأجابه الشيخ إبراهيم: أنا يا سيدي وفعلا لوي وعام، وخالاها في أذنها بهذا الكلام، فركب وأتت اليهم يتراصون على ظهرها وتقطعهم، حتى أتت على أخرهم. وقيل هذا الذي شهر بسببه الشيخ إبراهيم بود قلوبة، وقيل أمه تسمى قلوبة. أما الكرامة فهي ثابتة سمعتها عن الثقات. فاذا سخر الله الفيل لود عبد الصادق حتى شدد على ظهر بجهة الصعيد كما في الطبقات، فلا يستبعد تسخير جاموسة البحر للحاج سعد، وستأتي كرامة تتعلق بها أيضاً عند ذكر الحاج تاج الدين بن الحاج سعد، وهي تشابه لاختها وأبلغ.

وقد توفي الحاج سعد بنادي، وقال قبل موته الناس يحبون أن يدفنوا معي طلبا للجاه، وتشق عليهم المسافة، وأشار أن يدفنوه بغرب الجزيرة كجرات في محل مدفنه المعلوم. وكان الناس من حد الجريف، مسافة لا تقل عن الأربعين كيلو، كلهم كانوا يدفنون بجبانته. وكراماته بعد موته لا تحصى منها أن رجلا كان يسمى حاج أحمد بريدق أصابه مرض أشبه بالصرع، وهو من الكراتنة فأتى البنية وقال: يا سيدي أسألك أن يشفيني الله ببركاتكم. فبات في البنية وبعد أيام رأى عيانا حية طافت به، فأخذه في ساعته بول كثير حتى غشى عليه، ثم أفاق وعافاه الله مما به.

وعند مدفن الحاج سعد إلى اليوم سوق يوم الأربعاء، وهو أعمر الأسواق و بجواره دكاكين مملوءة بالبضائع، والمشهور أن هذا السوق محروس، ما سرق منه شيء وإلا وأظهر الله السارق ورد ما أخذ.

وسمعت متواترا أن أيام المهدية كان أمير يسمى أبو الخليل معه جيوش كثيرة ويحب النزول بالغريب بجواره، ومن عادة البقارة النهب والسلب، لما أتى بالقرب منه وكانوا معهم جماعة من أهل البلد، قالوا طلع من جهة الجبانة رجل راكب على جواد أبيض أمام الجيش، وخاطبهم بقوله النزلة قدام، وحرك جواده فحركوا خيولهم خلفه حتى فوتهم السنقير[1] حكاها غير واحد من الثقات، ثم بعد ذلك لم يقفوا له على خبر، فعرفوا أنه الحاج سعد وأنه حافظ لجواره.

وكان الكراتنة الذين بجواره جميعهم تلامذته وأهل عقايد وطيده حتى أتى رجل يسمى السيد محمد الشنقيطي، مشهور بود الغالية، والرجل كان عالماً ذاكرا، وسبب مجيئه

([1]) السنقير وادي بغرب النيل يعتبر حدود الرباطاب الجنوبية.

في السودان كان سفيرا لتركيا، وكان من أهل الطريق التجاني، وسلكوا عليه الطريق بجواره الكراتنة، وتركوا الصلوات في الأعياء مع أولاد الحاج سعد وجماعته، وياليتهم وقفوا عند هذا الحد، بل تجاوزوا الأدب حتى أن بعضهم قال : أنا أفضل من الحاج سعد، لأني أخذت طريق التجاني. ويحكى أن امرأة كانت تحرس البنية، وتأخذ الزيارة، تسمى عجيبة، سألت رجلا يسمى الجاموس قالت له "حقيقة يالجاموس إنت أفضل من الحاج سعد ؟" قال: "أحمد الله مشايخي قالوا لي"، قالت له" قش قدك وقد مشايخك القالولك" ولهم زاوية هناك يصلون فيها. ولكن لو كان ذلك مع حفظ كرامة الحاج سعد لكان أولى، ولكن مع انتهاك الحرمة والجهل المتكاثر، والجاهل إذا عبد الله حتى تقطع إربا إربا لا تزيده عبادته من الله إلا بعدا كما قال العلماء.

وفي أيامهم تلك رأى محمد سليمان محمد أبو حجل الحاج سعد مناما وهو شاهر سيفا مسلولا على كتفه، وقال له كلاما معناه قل لهذا الناس إن لم يرجعوا لحالهم السابق سأكملهم بهذا السيف. فأتاهم في هذه الزاوية وكلمهم، فقالوا له شيوخنا قالوا لنا لا يتصرف فيكم ولي من الأحياء والأموات، وفعلا أصابهم الموت حتى قفلت بيوتهم. فاتاهم السيد الغالي، وكان رجلا لا يخلوا من الصلاح، وقال لهم لم نأمركم بترك مثل زيارة الحاج سعد، هيا بنا نزوره، وأخذ معه جماعة، فلما دخل البنية ترنم ببعض الأشعار، فاهتزت البنية، وصار صوتها كصوت الرعد، وعماهم العجاج، وخافوا خوفا شديداً، وولوا هاربين، وضاق خشم البنية على السيد الغالي، وجروه جرا أثر الشخط في جسمه، ووقع مغشيا عليه، وظنوا أنه ستخسف بهم الأرض من كثرة اهتزازها، وصوت البنية الذي يشابه صوت الرعد، هذا ولم يعش السيد الغالي إلا يسيرا. هذه هي الأشياء التي رؤيت عيانا ويشهدها كل من هناك. رزقنا الله الأدب مع أوليائه المقربين،

وحسن الاعتقاد في الصالحين. قال ابن بطال "فلا يظن ظان أن من أدمن الذكر وأصر على ما شاء من شهواته، وانتهك دين الله وحرماته أنه يلتحق بالمطهرين المقدسين، ويبلغ منازل الكاملين بكلام أجراه على لسانه ليس معه عمل صالح".

ويحكي أن عجيبة التي كانت تحرس البنية وتقشها وتأخذ الزيارة - التي لم تحجرها إلى الآن عن كل من ياخذها - قالت يوما من الأيام يابا الحاج سعد انا قرمانة - أي اشتهي اللحم - فأتت كعادتها نقش البنية، فوجدت غزالا راقدة ببطن البنية، فظنت أنها محتمية، فأقامتها وأخرجتها من البنية، وكل ما تخرجها تعود، فذهبت وكلمت الوالد محمد بدوي الزاكي فقال لها ما قلت؟ فحكت له فأتى معها إلى البنية فطردها مرارا وهي تعود فقال لها: هذا رزق ساقه الله إليك ببركة الحاج سعد، فذبحوها واكلوها الجميع وهي كرامة شهيرة. وما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي، وهو من ثمرة العمل والاتباع. قال العارف بالله البرعي

وخاطبه جذع وضب وظبية وعضو خفي سمه وبعير

وحصلت كرامة تتعلق بنا في حالة الصغر، ولولا الحديث القدسي "لم تشكرني إذا لم تشكر من أجريت لك النعمة على يديه " لولا ذلك ما ذكرتها، وهي أن والدنا عند الابتداء لنا حب أن يزورنا إياه، فأخذ معه الخليفة سر الختم، ومشهور عند الحيران بود أرتل وقطعوا بجهة الباقير وسروا حتى أتوا أول طلوع الوقت بقرب البنية، فنزلوا وصلوا الصبح، وجلسوا في البنية والدنيا دغش، فلما أسفروا ودنوا القبر ليزورونا وجدوا ثلاثة دحاليب - أي قداحة تعمل من الطين وتوضع على قبور الصالحين - وجدنا الثلاثة دحاليب مملوءة بلبن لا أقدر أن أكيف طعمه، فاقتفوا فلم يجدوا اثرا لأحد أتى البنية من

قرب، فأخذنا والدنا وسقانا من هذا اللبن، أنا واخي محمد حتى أروانا، وشرب البقية هو ومحمد سر الختم الموجود الآن، وأولها الوالد بالعلم والدين، وهي كرامة أكرم الجد بها هذا الأولاد، وأشار لتلميذه الذي كان يعلمنا الحروف بكتمانها، ولله الحمد على ذلك. وفي حديث الإسراء، لما اختار عليه الصلاة والسلام إناء اللبن قال له جبريل "قد أصبت الفطرة "الحديث.

ولقد أتى صلى الله عليه وسلم شيء من فواكه الجنة أعطاهما الحسن والحسين، فأهدياها لمعلمهما، فلما أكلهم صار يتكلم بالمغيبات، فقال له صلى الله عليه وسلم: قدم وأخر فان إفشاء سر الربوبية كفر، والله على كل شيء قدير،رزقنا الله حسن التصديق.

أما أولاد الحاج سعد الذين وصل إلينا ذكرهم فهم خمسة، ثلاثة أشقاء أمهم تسمى سعيدة بنت عجب وأخوالهمم من بني أمية[1] ويسمونهم جماعتهم بأولاد العربية، لأن هكذا اسم الرحالة عندهم، وعندهم إغاثات لأخوالهم يطول شرحها، واكبرهم يسمى الحاج تاج الدين، وهو رجل عالم عامل كأبيه، تولى الدرس بالمسجد بعد أخيه الفقه محمد، وله كرامات شهيرة ما استغاث به مستغيث إلا ووجد الإجابة طوع يده، وإلى يومنا هذا أخواله يستغيثون به. حكى لنا متواترا من كراماته أن يوما من الأيام بنصف الليلة زوجته كانت تطلي جسمة بدهن مطيب، فلما أتت عند رجله أبطأ عليها فى مدها، فانتظرت كثيرا ثم أتاها بها تقطر ماء فقالت له: سألتك بالله إلا ما أخبرتني أين كانت هذه الرجل، قال لها ولكن اكتمي ذلك، إلا بعد موتي فقالت نعم فقال: إن أناسا انكسرت بهم سفينة وقالوا: يا سريع يا قريب من أهل الله أدركنا فمددت لهم رجلي فصارت لهم جزيرة، حتى أطمأنوا واصلحوا سفينتهم، وقدرة الله صالحة لأكثر من ذلك، وللأولياء

([1]) بني أمية: هذا اللفظ يطلق في المنطقة على بعض القبائل شبه البدوية وهم الأزيد.

التصرف في عالم الملك والملكوت. وحكى أيضاً أن سنة من السنين أتى مرض يقال له "الهت" يقتل الابقار، ووقفت جميع السواقي من قل الأبقار، والناس يرون ساقيته مخضرة، فترصدوا إليه فوجدوه يطلع جاموسة البحر التي تسمى عينسيت وقلوبه، ويعلقها في الساقية يسوق بها ليلاً، ثم ترجع للبحر. ولذلك تقول السوماره[1] في شعرها:

و العيسيت مقالته راقدة بتحكو به

و أبوات ناس محمد علقوا وساقوبه

ولقد تقدم أن والده الحاج سعد أمرها أن تقطع الحيران البحر ففعلت، ومن أطاع الله أطاعه كل شيء، وعرف لغة الحيوانات ودعاها فأجابته، وأعطي سر التكوين في كل ما أراد.

وكان مجاب الدعوة، حكى أن أخواله اغارت عليهم قوم يسمون الدبيشاب، ولما سمع ركب جواده وأدركهم وقال لهم: تأتوني في حمايتي، رداهم ودعي عليهم، فانقطعت ذريتهم إلا قليلا منها. ولم يخلف هو إلا بنات لا أدري عدتهم، ومن ذرية بناته أولاد دقاسي بالعبيدية، فيهم الفقه محمد الحير دقاسي، الآن إمام الجامع وعالم البلد ومأذونها، وهو رجل مبارك وذو تقوى ومكارم، وأخواه اثنان. ومن ذريته البنات أيضاً الشتاتي وإخوانه وغيرهما.

أما أشقاؤه التوأمان يسمى أحدهم شرف الدين والثاني بدر الدين. حكى أنهم - عند ولادتهم في رمضان- لا يرضعون نهارا ورضاعتهم بعد الغروب وقبل طلوع الوقت.

---

(1) السومار شعر تقليدي يحكي مآثر الآباء والأجداد ويقال في مراسم الختان والزواج.

وحكي ذلك متواتراً عنهم، وحكى أن أحد أعيا بعيره فأودع والدتهم رحل عيش وذهب. وأتى شخص وسرق رحل العيش - وبعد أيام رجع الرجل ولم يجد الرحل وكانت أمهم تظن أنه قد أخذه صاحبه، فلما أتى وطلبه اغتاظت غيظاً شديداً وبكت ونظرت إلى أولادها وقالت لهم: إن الناس لايروا لكم جاه، ولا يعظمونكم كأولاد الحاج سعد الآخرين، لأن أمكم عربية، وإلا لما سرق هذا الرجل من طرف بيتكم، وقالت للرجل قم بنا نبحث عن هذا الرحل، ولما جن الليل وجدتهم والدتهم بدنا من غير روح فظنت أنهم ليسا بموجودين، وبعد هنيهة سمعت بحس الرحل، فخرجت إلى محله فوجدته بحاله، وتفقدت أولادها فوجدتهم يحالهم فرحين مستيقظين، ففرحت بذلك حتى دعاها الفرح بالتكلم بتلك الأسرار، ففي زمن قريب توفوا واحدا أثر واحد، فدفنوهم بجبانة الفقه حسين قبل الجبانة المعلومة، وقبورهم متلاصقة، فلما ماتت والدتهم وقفوا عليهم بالجنازة أستأمروهم هل ندفنها معكم، فتباعد القبران إشارة إلى أن يدفنوها وسطهم ففعلوا.

وللتوأمين بدر الدين وشرف الدين كرامة ظاهرة مشاهدة للعيان الآن لكل من وقف على قبورهم، وذلك أن بالقرب منهم رمالا كثيرة تجسمت حتى صارت تلالا كطول الجبال ملاصقة للمقبرة، ولم تؤثر الرياح وتلقي الرمال على قبورهم، فما بالك بقوم تتأدب معهم الريح بإذن ربها، مع طول الزمن. نفعنا الله ببركاتهم. وكرامات أولاد سعيدة بنت عجب من الحاج سعد كثيرة عجيبة، فلتكتفي منها بذلك والله أعلم. ولا يستبعد فكرك عن تصديق هذه الكرامات وخوارق العادات فإن الأولياء على قدم الأنبياء. وقد قدمنا لك، أن ما جاز أن يكون معجزة لنبي، جاز أن يكون كرامة لولي، ولقد أنبت الله الشجرة لمريم ابنة عمران في الحال أثمرت كما قص عليك القرآن، وأشارت لابنها وهو في

المهد قال قومها كيف نكلم من كان في المهد صبيا، قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا" إلى آخر الآية، وفي قصة عرش بلقيس " قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك" الآية، فمن غلبت روحانيته جسمانيته أنفعل له كل موجود علوي وسفلي لأن الروح لا حجاب لها. حتى أرواح الشياطين تقدر على الانفعالات فضلا عن أرواح الصالحين، والمكون في الحقيقة هو الله. "إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون".

فصل في ذرية الحاج سعد

أما أولاد الحاج سعد الاثنان الآخران فقد أخرناهما لطول الكلام عليهما، ولأن الذرية منهما، وهما جدنا ووارث مقام أبيه وخليفته من بعده ووالد الصالحين والخلفاء الذين من بعده، العالم العامل والولي الكامل والغوث الواصل ذو البحر الملأن ونحن نشرب من فيضه إلى الآن، وهو الفقه محمد بن الحاج سعد، وشقيقه العالم العامل الصالح النقي الحاج جلال الدين، والدتهم من فرع الرباطاب المحاميد - كما تقدم كلامنا مستوفي - تسمى دراشة بنت محمود. ويحكى أنها لما حملت بجدنا الفقه محمد توفي أحد من أقاربها، ولما ضربت النقارة، وكانت العادة أن ترقص المرأة رقيص حزن معلوم يسمى المدى والرديح، رفعت والدته يدها لتفعل كفعل بنات عمها، فرفسها في بطنها حتى خرت مغشيا عليها، فاجتمعوا الناس عليها فقالت: سببي الذي في بطني، ولقد حصل مثل ذلك في السيرة الحلبية أن فاطمة بنت أسد في الجاهلية وعلى رضى الله عنه في بطنها أرادت أن تسجد لهبل وهو صنم معروف فتقوس في بطنها ومنعها من ذلك.

أما كرامات جدنا الفقه محمد فهي لا تحصى، نذكر ما وصل إلينا علمها متواترا، وهو رضى الله عنه كان حافظا تقيا مرشدا وليا كاملا. قال الشريف إبراهيم في منظومة له في الأنساب.

قل عبابسة التكاكي الجدهم هارون

ناس ود الحاج سعد اللي الجهل صابون

ألف عقائد التوحيد وجعلها باللفظ العامي حفظوها النساء على عقيدة الرسالة، وشرح

على "يقول العبد في بدء الأمالي لتوحيد بنظم كاللآلي"، ومعروف عند العلماء القدام بجهتنا أن من ابتدأ بعقائد ود الحاج سعد فتح الله عليه بالعلوم وببركة مؤلفها.

أخذ عليه أناس كثيرون وتلاميذه كلهم من كبار الصالحين، منهم الفقه محمد ود خبير عباسي مزاره الآن بجهة سبنس ذو كرامات كثيرة شهيرة، وقد أنابه في المسجد لتدريس القرآن بعد أن ذهب بجهة الحرمين الشريفين، وأقام هناك نحو السنتين ثم عاد.

ومن خواص تلامذته الشيخ حسن ود أبخير بجبهة التكاوين نواحي برير ومزاره هناك، ذو كرامات شهيرة. وله كرامة في تعليمه تتعلق بشيخه. ومنهم الفقه الشافعي وهو رجل ذو كرامات شهيرة، ومنهم الفقه حمود سكوتي أيضاً بالجزيرة فتوار، ومنهم محمد ود ختاي بجهة السدر ذو مسجد معلوم وكرامات كثيرة، ومنهم الفقه حمد العبادي بدراو، قيل لما انتهت دراسته أغضبه واحد من الحيران فارتفع عنهم المسجد في الهواء حتى ذهبوا لشيخهم وأعلموه فنزل لمحله، وفي قصة الإسراء لما سألوه، صلى الله عليه وسلم، عن بيت المقدس أحضره جبريل عليه السلام، وصار عليه الصلاة والسلام يصفه عن مشاهدة، ذلك ما يثبت مثلها للأولياء وإن كان المشبه بالشيء لا يقوى قوته.

وواحد من تلامذة جدنا الفقه محمد تصارع هو وصاحب له وكان شيخهم غايبا، فلما حضر انفرج لهم المسجد من خلفه، وهي كرامة ظاهرة في المسجد الآن، هكذا حكى متواترا. وهؤلاء المذكورون كلهم أهل مساجد كبيرة، وجاه واسع، وخلفاء إلى الآن يحفظون مكانة مشايخهم، وهم وتلاميذهم إذا حضر أحد من أولاد الحاج سعد لا يتقدمونه في الإمامة، ويتبركون بآثارهم.

أما كرامة الشيخ حسن أبو خير المتعلقة بشيخه فقد حكى لنا أن الشيخ حسن بن أبي خير رأى الشيخ إبراهيم القلوباوي متوجها إلى الحج فتعلق خاطره بالتوجه معه، فقال الشيخ إبراهيم نيتي أن آخذ الفاتحة من ابن شيخنا الحاج سعد، يعني الفقه محمد، فلما أتى قال له أترك حسن معنا وتوجه. وابتدأوا له في القراءة، وقال له هذا أصلح لك الآن، ثم بعد ذلك أصاره وكيلا للنفقة في الخلاوي ومبادرة الضيوف حتى انتهوا جميع المبتدئين معه من دراسة القرآن والعلم. فاتفق أن تكلموا معه الحيران كلاما أغضبه يتعلق بكثرة خدمته وقل اجتهاده في القراءة، فبلغ شيخه باكيا، فأشار إليه أن ياتي بركوته[1] التي يتوضى بها وكانت مملوءة، فمسكها له بيده و قال له اشرب، فشرب حتى خر مغشيا عليه، فلما أفاق دعاهم ليدارسوه ويباحثوه، ففاق على أقرانه ببركة شيخه، وتحقق بالحقائق الإلهية وصار من كمل الرجال، وكشف له خبر رؤى والده ووالدته بجهة التكاوين، واتسع صلاحه، وهكذا روي لنا. ولا بدع فإن للقوم اصطلاحات في الشراب يقولون: فلان سقى من بحر فلان أو سقاه سره، حتى أن سيدي أبو مدين الغوث له قصيدة تسمى شراب القوم مطلعها

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ولو دراه غدا بالروح يشريه

ولقد وهب له الملك فرح الميرفابي بالعبيدية صدقة قريبة من صدقة شيخه الفقه محمد عند ذريته. وقد زرته - أي الفقه حسن - مرة وحصلت لي منه كرامة. أولا كنت أن أود أن أزوره فكلمت أحد أبنائه في ذلك، فتوجه معي ومفتاح البنية عند واحد من ذريته، ومن العادة لا تفتح البنية إلا لأحد معه زيارة ولو قليلة، فأرسل لنا المفتاح وبعد أن حضرت بقرب البنية فهم لدي ذلك، ولم يكن معي شيء من الدراهم أضعه زيارة،

---

(1) الركوة: إبريق من الجلد.

فهممت الرجوع فطار أمامي قرش فاخذته وزرته، وقدمت الذي طار أمامي لحامل المفاتيح.

أما الكرامة الثانية فقد اتفق أيام زيارتي لهم أن رجلا هناك له عقائد فاسدة ويكره الصالحين والعلماء والأشراف، خصوصا السادة المراغنة، فجمعنا مجلس بالقرب من المسجد، وحصلت مشاغلة في تلقين الموتي بعد دفن الموتى، وجرى ذلك إلى أن تعدى الرجل وتكلم بكلام في الصالحين ومن ذكرناهم بكلام تصم منه المسامع، فاعتراني غضب شديد أدى إلى الوثوب نحوه وضربي له ضربا وجيعا وشج هامته حتى سال الدم على ثيابه وخذله الله أن يضربني، وكان المفتش الإنكليزي نازلا بالباوقة فتوجه إليه بحالته، ولقد همني ذلك الأمر لما جن الليل، وكان معي بنو الفقه عبد الرحيم محمد الصديق مديني، والرجل الصالح الحافظ المجود الفقه إبراهيم بن العالم العلامة الفقه أحمد، والفقه عبد المعبود من أحفاد الشيخ حسن، وطلبنا مفتاح البنية وهم معي، وأمرتهم بقراءة سورة يسن لإبطال عمل هذا البدعي، واستغثت بمنظومة في الصالحين الفت بوقتها محفوظة عند أولاد الفقه أحمد بالهادباب منها:

يا سيدي يا حسن التكاوي   أفي حماكم تأتنا البلاوي
أأنت حاضر أم غايب   أرميهم منكم بسهم صايب

عملت هذه الاستغاثة ونحن مستيقظون تقريبا من نصف الليل، فرأينا نورا ساطعا أمامنا، فتوهمناها نارا، واستغربنا أن يكون احد مستيقظا في هذا الوقت، فقام احد الاخوان الذين ذكرناهم ففتش فلم يجد أثرا للنار، واشتعل النور ثانيا وثالثا حتى رأه جميع الحاضرين وتعجبوا، فقلت لهم حضرت أرواح الصالحين وحصلت الإجابة إن

شاء الله. وفعلا لم يحصل أي سؤال من الحكومة مع أن المسألة كانت صعبة وحصل فيها تخريب شديد، نفعنا الله .ببركاتهم.

وكان جدنا الفقه محمد يتزيا بزي الملوك، بخلاف ما كان عليه جدنا الحاج سعد من الزهد والتقشف، وأتى مرة إلى حلة يونس، وكان الفقرا يتحجبون عن الملوك، فلما رأوا هيئته من بعيد توهموه أنه ملك من الملوك، فدخل الشيخ يونس خلوته وسدها عليه. فلما وصلوهم أعلم بأن هذا ابن شيخك الحاج سعد، فخرج فرحا مسرورا، ثم قال له: يا سيدي ما هي هذه الهيئة التي هي أشبه بهيئة الظلمة، فقال له : من شكر النعمة إظهارها قال تعالى: (أما بنعمة ربك فحدث)، فاهتز طربا وقال إنك لعبد شكور.

وكذا في مروره مرعلى الفقه الطاش بجهة العبيدية، وأظن أنه كانت له تلمذة لوالده وقد توفي، فوقف على قبره وسلم عليه، فرد عليه حتى سمعه جميع من حضر، ولما تحرك تحرك معه القبر. هكذا روي لنا.

ولقد أتى رجل وهو بمسجد والده بنادي، والرجل صاحب تصريف، رغب أن يعطيه خاتما يتصرف به فقال له: يا فقه محمد أين تأكلون أنت ومن التف بك؟ من فوقكم الجبل ومن تحتكم الحجر، فقال له: قال الله في كتابه العزيز: "ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون" وما أظنك إلا منافقا، اخرج عني إذ لا حاجة لي فيما عندك.

وقد كان أن أهدى له الملك فرح الميرفابي الأطيان المعروفة بصدقة ود الحاج سعد، وإلى الآن لم تمرن كبقية الأطيان، من جزيرة العبيدية التي هي تحت الحلة وتمر على الجزيرة أم تمر إلى التكاوين، وأكثرها ضاع، وليس للمسجد فيها نصيب الآن، بل باقيها عند بقية الذرية الذين يسكنون، كذرية حاج الفكي وأولاد الفقه مصطفى بن الفقه بالغرب

الميدناب أولاد الرابعاوي. وكان والدنا الفقه محمد أسس مسجدا هناك لكثرة تلامذته، وآثار مسجده إلى الآن موجودة. ولقد سئل عن مسافة قصر الصلاة فقال من مسجد نادي إلى مسجدي بالعبيدية تقصر الصلاة، ولم يكن في زمنه مقياس، فلما أتت الحكومة الحالية بالميل لا بالكيلو حسبناها فوجدناها ثمانية واربعين ميلا، أي اثنين وسبعين كيلو، ذلك من كشفه وتحقيقه.

ولقد سمعت سماعا مستفيضا أن الملك رحمه الميرفابي والد العمدة مختار الخليفة وأحمد وغيرهم، كان واحد من الفقرا الطاشاب مسك عليه عددا[1]، فبعد أيام أتى إلى رحمه وطلب منه السماح، وقال له إني رأيت الفقه محمد الحاج سعد ماسكا بيده حربة وقال لي: إن لم تفك العدد سأطعنك بهذه الحربة، تمسك على رحمه وهو في ظل خلوتي، وهو كناية على حفظ جواره. وقد رأيت رحمه وأنا صغير وكان يبالغ في إكرام والدنا ويهاديه.

ولهم مسائل غريبة جدا في حفظ الجوار أحياء أو أمواتا. ومما حكى لنا من هذا القبيل أنه في زمن الترك أي قبل المهدية، حصلت حوادث وصارت حكومة الترك تغنم الرقيق من الناس. فاتفق أن جارية تسمى دهيبة - ونحن رأينا ابنتها التي تسمى حمامة - كانت جميلة، فحضر أحد الضباط الأتراك وأراد أن يأخذ دهيبة فسمعت ودخلت البنية، واحتوت بقبر أبينا الفقه محمد، كما هي عادة الناس الخائفين. فسأل التركي عنها فعرف بذلك فلم يكثرث به، وأمر بإحضارها قهرا وإعراضها عليه لينظر فيها ثانياً. قالوا فتجسمت جثتها وظهر لها وجهان، ولم يطق النظر إليها وقال منزعجا حولوها عنى،

---

(1) العدد: هو كتابة بعض الطلاسم لإلحاق الضرر.

وطلبها ثانياً وثالثاً ولا تزداد إلا تجسيما، وكاد التركي عقله يطير فارتحل عنهم، فعجب الناس من ذلك مع تجبرالأتراك.

ومما حكي لنا أن رجلاً من الفقرا البادراب له حمار يشد عليه رحلا من التمر، ومعه رفقاؤه فاتوه وظن أنه سيلحق بهم. فلما جاز جبانة الفقه محمد بقليل وقع الرحل، ولم يجد إنسانا يشده والدنيا ليل، فاستغاث الرجل: يا ابن الحاج سعد أغثني ها أنا وقعت بجوارك، فرأي عيانا رجلا لابسا ثيابا بيضاء، يظهر صفاء بياضها في الظلام متوجها نحوه، فلما تحققه قال في نفسه أجرب رفعه عسى أن أطيقه قبل أن يصلني هذا الرجل وتتسخ ثيابه بمعاناته، مع أنه جربه قبل ذلك فلم يقدر، قال فلما وضع يده عليه وجده خفيفا فشداه من الجهتين ولحق رفقاءه، وحكى لهم فعجبوا من ذلك. واستفاض الخبر حتى سمعناه. قال بعد أن رفع الرحل تلفت يمينا وشمالا فلم يجد للرجل أثرا، فعرف أن ذلك من كراماته.

ومن الكرامات التي رؤى فيها عيانا أن رجلا يسمى الكرار، ونحن نسميهم على العموم الخديجاب - شهرة باسم جدتهم خديجة بنت الفقه مصطفى بن الفقه محمد المذكور- كان، أي الكرار، رجلا صادقا قريبا من الأمى الذي يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك فتح الله عليه بقراءة دلائل الخيرات في وجهه. وحكى لي ممن سمع منه قال : مما بلغت لم أصبح بجنابة، ولم أصلي واحدة من الصلوات الخمسة قضاء. وقد رأيناه نحن، هو واخوانه سرت فيهم بركة الجد الفقه محمد بتوفيقهم للعبادة التي لم تكن في بني عمهم الحنيناب. أخبر الكرار في حياته أنه مبشر أن يحج بيت الله الحرام، وزيارة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام. وسيموت هناك بالمعلا - وحصل كما قال له حكى لي ذلك شقيقه الشيخ العوض.

وكان الكرار المذكور نائما فقام نصف الليل وأيقظ أخوانه وقال لهم قوموا ساقيتكم حرقوها، فقاموا مزعوجين وأخذوا الصفايح والقلل وتوجهوا نحو الساقية فوجدوا النار كادت أن تأكلها بأخشابها فاجتمع عليهم وعجبوا من ذلك. وسأل الجمهور الكرار من أعلمك أن النار أتت على ساقيتكم؟ فتوضى وأتى بالمصحف الشريف ووضعه أمام أحد القراء وقال له: افتح لي على جلالة الأنعام ففعل، فحلف على جلالة الأنعام أنه أتاه جده الفقه محمد بن الحاج سعد وأيقظه من النوم وقال له: أنا جدك الفقه محمد. أدركوا النار على ساقيتكم ، فشاع ذلك وصارت كرامة شهيرة.

ومن هذا القبيل أن رجلا يسمى عطا الله من النفافير بجهة أتبره وكان من المعتقدين، وأن غنما له ضاعت كلها في أتبره وكان قاطفا له قطيفة. ففتش على غنمه فلم يجد لها خبرا، وأعياه التعب وأيس من وجودها ونام. قال أتاه رجل وأيقظه من نومه وقال له: قم تجد غنمك قريبا، فسأله من أنت؟ قال أنا الفقه محمد بن الحاج سعد، فقام فوجدها قريبا كما قال لم يفقد منها شيء.

وحكى لنا أبو هريرة وأناس معه من تلامذة ود الفكي المادح، الشهيرمدحه إلى اليوم، بجهة العبيدية، أنهم في أواخر المهدية زاروا الفقه محمد وهو وشيخهم وقال لهم شيخهم: لنقل مدحة هنا على نيه التبرك، فقال واحد منهم إن الأولياء في زمن هذه المهدية لم يكونوا موجودين، فالأحسن أن نذهب إلى الخلاوي ونطمئن ونعمل مدحة هناك أمام خليفته الشيخ محمد، فكرر الأمر عليهم وشرع في المدحة بنفسه لأنه كان رجلا محبا، فلما أتى عند ذكر ميلاده صلى الله عليه وسلم اضطربت البنية، واهتزت كأنما يحركها محرك، واضطرب الراي[1] في بعضه، وانتفضت البنية واهتز القبر كصوت الرعد،

([1]) الراي: جمع لكلمة راية قطعة من القماش تعلق عند قبر الولي.

وصاروا لا يرون بعضهم من كثرة الغبار والعجاج، وخرجوا منها جميع التلاميذ خائفين أن تسقط عليهم، وخرجوا مزعوجين لم يقدروا على إتمام مدحتهم. إلا أن الشيخ ثبت ونال من بركاته، وصارت كرامة معروفة شهيرة، حتى الناس عندما يندهونه يقولون له: "يا ود الحاج سعد الفي قبره رعد" أغثنا.

ويحكى أن رجلا غريبا سائحا جائعا بات بجنب جبانته، قال فاتاه رجل ووضع أمامه طعاما بلبن وأيقظه من نومه وقال كل، فأكل، ثم قال له: الخلوات قريبة من محلك وأنت لا تعرفها، فاستيقظ وتمشى وأتى الخلوات وحكى ذلك، وبحثوا فلم يجدوا واحدا فعل ذلك من الأحياء. ولا غرابة في ذلك كله لأهل الفتح والكمال، فلقد قال العارف بالله الختم السيد محمد عثمان الميرغني "ليس العارف من حجبه عن تلميذه شبر تراب".

ونحن لا نشك، بحسب ما رأيناه وسمعناه، في أن معاملة جدنا الفقه محمد مع خليفة مسجده معاملة الأحياء، فإن الزيارات والنذورات التي تخصه تأتي في وقت الحاجة إليها، وعند نزول الضيوف، كالإنسان الذي يحرص على حفظ مركزه وستر عرضه. وكنا في الصغر إذا اشتهينا اللحم يقول لنا الوالد رحمه الله: كلموا أباكم الفقه محمد، فنجري إلى البنية ونكلمه فلا تلبث إلا وتأتي ذبيحة. حصل ذلك منا ومنه مرارا وتكراراً.

ومن كراماته أن أناسا كثيرين أصيبوا بالعمى فيأتي أحدهم ويبيت في البنية على نية الشفاء، فيأتيه ليلا - كما قالوا - ويمسح على عينيه فيصبح مبصرا. حصل ذلك مرارا وتكرارا حتى شهر بذلك، وصاروا يقولون له عند الاستغاثة "يا فتاح العماية يا أبو دقنا ضواية". وحكي لنا أن رجلا كان أعمى وإحدى عينيه توجعه اكثر من الأخرى، فأتاه ليلا ووضع يده على عينه التي لا توجعه، فتكلم الرجل وقال : ليست هذه التي توجعني

وإنما هي الثانية، فتركه وذهب لأن عادة المرضى لا يتكلمون في تلك الحالة.

وزيارته يوم السبت، ولقد سمعنا وشهر أن المرأة العاقر إذا زارته سبعة سبوت متوالية تحمل بإذن الله، وقد رأينا نساء كثيرات فعلن ذلك فرزقن الذرية بعد اليأس منها.

وسمعت عن أسلافنا مستفيضا أن جدنا الفقه محمد قال عند وفاته: أتاني ملك الموت لقبض روحي فرددته حتى أعطى ما وعدني ربي. فسئل عن ذلك فقال: سألت الله ثلاثة أولا: أن أرى مقعدي في الجنة، فوجدته في مقعد صدق عند مليك مقتدر. الثانية: أن أرى حد شفاعتي، فوجدتها من سدرة هلالي إلى دمشق الشام. وثالثاً: أن يحضر الشيخ حسن، وحصل ما أراده الله. وقد سبق أن والده الحاج سعد أعطى الشفاعة من هذا الحد. ولا مانع من تعدد القصة في الشفاعة فيجوز أن يكون كل أحد في زمنه أو في جهة مخصوصة.

ومن كراماتهم المتشابهة اضطراب البنية وإرعادها - والإبن سر أبيه – "ذرية بعضها من بعض". ومن طالع في طبقات الشعراني والمناوي وود ضيف الله وغيرهم في مناقب الصالحين صدق في مثل هذه الكرامات. وقال صاحب الجوهرة الشيخ اللقاني:

وآتينا للأولياء الكرامة   ومن نفاها أنبذن كلامه

وعند كتابتي لهذا المحل اطلعت على مقالة للشيخ يوسف الدجوي لا بأس بنقلها، عساها أن تكون عوناً للتصديق وإذعان المنكرين. قال عفى الله عنه في سؤال ورد له في مسألة المعراج وأثبت أنه بالروح والجسد، وقال في أثناء مقالته: " فاذا غلبت على الإنسان روحانيته، كان الحكم للروح لا للجسد، وكانت القوانين السائدة عليه هي القوانين

الروحانية لا الجسمية. ومتى ساد سلطان الروح على سلطان الجسد كان الحكم للروح لا للجسد، فيمكن أن يطوي المسافة البعيدة في لحظة قصيرة، وأن يرى المغيبات ويخترق الجدران، ويقتحم المهالك من غير أن يحصل له ضرر ويلحقه ألم. من هنا جاءت كرامات الأولياء. وإذ كنا نصدق ذلك في الجن، فأرواح النوع الإنساني ألطف وأقوى نفوذا، وأشد من الملأ الأعلى، فلماذا نستبعد ذلك من خواص البشر الذين غلبت عليهم الروحانية، حتى أصارتهم كأنهم من الملأ الأعلى، وبذلك بأن تخرق لهم العادة ولا تحكم عليهم قوانين المادة" إلى أن قال "إذا ثبت هذا فلنعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم عند العروج كان على غاية الروحانية، بل كانت روحانيته إذ ذاك فوق روحانية جبريل عليه السلام، وقد ورد أن جبريل تأخر عنه عند سدرة المنتهى وقال له: " لو تقدمت أنملة لاحترقت "" انتهى كلامه باختصار.

أقول إن النبي صلى الله عليه وسلم لما خاطبه الله سبحانه وتعالى بقوله: "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته"، قال صلى الله عليه وسلم: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين". قال بعض العارفين رأى أرواح الصالحين من أمته بجانبه صلى الله عليه وسلم، فمكانة الصالحين من أمته أسمى مكانة. ولقد ورد "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" وورد أيضاً في الحيدث القدسي " لا زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها "الحديث، فما بالك بمن كان الله له بهذه المثابة، لا يستغرب ما حصل منه من خوارق العادات، بل إن أولياء الأمة المحمدية، والمتمسكين بالآثار النبوية لهم في فتوحهم أحوال وشطوحات. ولقد قال العارفون: الأولياء على قدم الأنبياء، كما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في

وصف أصحابه منهم كعيسى إذ قال "إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم" وهو أبو بكر الصديق، ومنهم كنوح إذ قال "رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا" وهو عمر بن الخطاب، وغير ذلك من التشبيهات، ومواهب الله تعالى لا تتقيد بالأعمال، كما في الحديث "لن يدخل أحدكم الجنة بعمله قيل: حتى أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته" ومع ذلك قام الليل حتى تورمت قدماه الشريفتان، قيل: أو تفعل ذلك وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال "أفلا أكون عبدا شكورا" قال إمام الطائفة الشيخ الجنيد رضي الله عنه: إذا أقبلت ذرة من عين الكرم الحقت المسيئ بالمحسن، وبقيت أعمالهم فضلاً لهم، وقال صاحب الجوهرة

ولم تكن نبوة مكتسبة ولو رقى في الخير أعلى عقبة
بل ذاك فضل الله يؤتيه لمن يشاء جل الله واهب المنن

ولقد ضاقت كثيراً صدور أهل العلم الظاهرعن شطوحات العارفين وبادروا بالإنكار، ولو سلموا وبادروا بالتأويل الذى أجازوه في فقههم كان أسلم، فلقد قال سلطان العارفين، سيدي عبد القادر الجيلاني رضى الله عنه، وسقانا من فيوضاته: معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوه. وقال سيدي أبو يزيد البسطامي: خضنا بحرا وقفت الأنبياء بساحله. وقال سيدي عمر بن الفارض

وإني وإن كنت ابن ادم صورة فلي فيه معنى شاهدً بأبوتي

إلى أن قال:

وكلهم عن سبق معناي دائر بدائرتي أو وارد من شريعتي

وغير ذلك مما لا يحصى ولا يحصر. قال أستاذنا الخليفة بن إدريس: سمعنا من أستاذنا سيدي السيد محمد الحسن، سقانا الله من أسراره، في معنى ذلك يقول: " إن أكابر أولياء الله التابعين الكتاب والسنة يدخلون مع النبي صلى الله عليه وسلم في مداخله الخاصة به على حسب التبعية له، كما تدخل موالى الملك وخدمه ونساؤه وأبناؤه معه في بيته وأماكنه الخاصة به، وهناك من الملوك أهل المقامات من هو أجل منهم قدرا، وأرفع منزلة ولا يرون هذه المحلات ولا يدخلون فيها، وأيضاً أولئك الإتباع يأكلون من طعام سيدهم ويشربون مشاربه وينظرون في خزائنه وأموره الخاصة به التي لا يدخلها أحد من أولئك الملوك، وخواص أمته صلى الله عليه وسلم الذين ذكرناهم، معه في تلك الخصوصيات التي ذكرناها، فيصدقون أنهم دخلوا مداخل لم يدخلها إلا النبي صلى الله عليه وسلم، وشهدوا مشاهد لم يشهدها غيره، بتلاوتهم المعجزة الباقية إلى آخر الدهر "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا" وبركة الإتباع له في الأقوال والأفعال. وفي السنة وفي الآثار الصحيحة ما يفيد علو شأن أولياء الأمة المحمدية، فإن سيدنا موسى، عليه وعلى نبينا السلام، لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء بكي فسئل عن بكائه فقال : غلام يأتي بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل الجنة من أمتى، يزعم بنو إسرائيل أني أكرم ولد آدم على الله، وهذا أكرم على الله منى إلى أن قال: ولو كان في نفسه لا أبالي ولكن معه أمته، فغبط الأمة لما رأى من علو شأنهم وكرامتهم على الله تعالى، وكونهم مع نبيهم في تلك المنازل التي لا تدخلها الأنبياء غير محمد صلى الله عليه وسلم، فلما رأت الأنبياء ذلك طلبت من الله أن يجعلها من أمته ليدخلوا تلك المنازل مع خواص هذه الأمة. وأيضاً في الآثار الصحيحة "أن يوم القيامة تكون رجال هذه الأمة على كراسي من نور يغبطهم الأنبياء والشهداء، وليسوا بأنبياء ولا شهداء". فإذا امعنت النظر فيما ذكر تشعر ببعض معاني كلامهم، لأنهم ذاقوا تلك

المواهب وتحققوا بتلك المشارب، فلسانهم في كل ما يقولون هو لسانه صلى الله عليه وسلم. لقد حكى أن الشيخ عثمان بن فوديه ملك الفلاتة، كان غوث زمانه، أنه قال في مجلسه " لو حضر مجلسي هذا إبراهيم وموسى وعيسى لما وسعهم إلا أن يتأدبوا فيه"، فاجتمع العلماء ببلده وجاؤوا إليه قايلين له قد خالفت الشريعة بكلامك هذا، فقال لهم ما أنا الذي قلته ولكن كان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا على كتفى الأيمن فنطق بهذا الكلام على لساني، ومعاذ الله أن أقول أنا مثل ذلك" سقانا الله من مشاربهم ونفعنا ببركاتهم .آمين.

ومن الكرامات الشهيرة التي نقلت أيضاً بالتواتر، وفعلا رأينا محل الواقعة مبينا بحجارة غرزت كالشواهد، هي أن رجلا يسمى ما حى بيك من الترك قدم بربر في سنة ١٢٤١هـ، وهي في خلافه الفقه الأمين بن الخليفة بن الفقه محمد، وكان ماحي بيه من البواش، سمع بخلوات نادي وأن أموال الناس بها، وأهلها أهل جاه يستجير بهم الناس في المخاوف، فتفوه الباشا المذكور بخرابها وأخذ ما بها من الأموال وإهانة أهلها

وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم

ففروا جميع الناس خوفا، ولم يبق غير جدنا الخليفة الأمين وبعض تلامذته، وخرج من الخلاوي التي ملئت بالأمانات، وجلس على باب البنية ليراه المار على الطريق منهم إن كان يقدر على التصرف فيه، فمجرد ما أتى الباشا ببعض جيشهً قبالته ساخت قوائم فرسه في الأرض، فنادى الأمان الأمان، وأضمر الغدر، فساخت ثانيا وثالثا حتى كادت أن تأخذه الأرض، فأكثر الصياح بالأمان هو والجيش الذين معه، وهي كرامةً شهيرة، ولذلك قالت الشاعرة في النشيد السوداني يوم ختاننا في حق والدنا:

أبوك يا الخير حسينة صفاتو أبوك سيد الملك ينزلو من فرشاتو
والبتعدو فوقكن بالغباين ماتوا وأسياد الحصان غير الإذن ما فاتوا

وأسياد الحصان هم الذين ذكرناهم، وذلك كقصة سراقة مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكل معجزة لنبي جاز أن تكون كرامة لولي، وتشابه الكرامة مع المعجزة ينتج من حسن الإتباع. وهذه من الكرامات المشتركة بينه - أي الفقه محمد - وحفيده الخليفة الأمين.

ومن الكرامات المشتركة بينهم أيضاً أن حجراً موجوداً الآن يسمى البابوني يزوره بعض الناس صاح، والسبب في ذلك الصياح أن أناساً يسمون ناس ركاب وجنسهم رباطاب، قتل أحد منهم وفر القاتل كالعادة، واحتمى بجدنا الخليفة الأمين يرقده معه في البيت تحت فراشه، فأتفق أهل الثار وتلصصوا حتى وجدوا غفلة للخليفة، ثم أتوا وذبحوا الرجل تحت فراش الخليفة وفروا هاربين لئلا يعرفوا، فصاح الحجر وولول حتى قيل أن الفرسان ركبت من جميع الجهات وعم صوته، وتجمعت هناك خلائق لا يحصون، وعرفوا الواقعة وكسر الجاه فلم يدفنوا القتيل، ولازال الحجر يصيح حتى بحثوا ووجدوهم في كفيق[1] سكارى عند خدم بالغرب، وكانوا سبعة، فأطلقوا النار باتفاق جميع القبائل حتى أحرقتهم فواروهم ورجعوا، فوجدوا الحجر سكت، فدفنوا القتيل وذبحت الذبائح واختفى الخليفة أياماً ثم ظهر للناس.

وفي حنين الجذع الذي كان يخطب عليه صلى الله عليه وسلم كالثكلى حتى التزموه أكبر دليل على الجواز، وفر الحجر بثوب موسى عليه السلام، وأثر فيه القدم الشريف، وسمعت من شيخنا الفقيه يوسف ود نعمة حين قراءتي عليه برفاعة قال: في مكة حجر،

---

(1) كفيق: بيت من القصب أو البروش.

كان يسلم على النبي قبل البعثة، مكتوب عليه

أنا الحجر المسلم كل حين على خير الورى فلي البشارة
ونلت مزية من عند ربي خصصت بها وإن من الحجارة

وهي إشارة لقوله تعالى " وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها ليهبط من خشية الله" الآية - نفعنا الله ببركاتهم آمين.

وبالجملة فكرامات جدنا محمد لاتحصى ولا تحصر ولما كنت بجهة الصعيد حصلت لي حوادث أدت إلى الاستغاثة بالرسول عليه الصلاة والسلام وبالجد، وبعدة من المناسبات، وما ذكرناه من المعجزات والكرامات نسجلها بهذا التاريخ، ولقد سألت فيها الجد ببركته ومنزلة الصديق، وسأذكر الرؤيا التي رأيته والبشارة لي بذلك فيما بعد وهذه هي القصيدة المذكورة

الله ربنا الله الله حسبنا

يارب صلى على من كان حبهموا
أسكب الدمع بيت القلب قد سكنا
إليك أشكو، رسول الله، ضعف قوي
كذا إتباع الهوى في الدين والفتنا
أتسرقني الأهواء والسبلا
وأنت مدخرى يا خير من فطنا
والنفس وإبليس والدنيا ثالثة
إلا فترضى لأهل البيت ترتكنا
للخزي حاشاك لا ترضى لعامتهم
فكيف خاصتهم يا من دنى فدنا
أليس قد قلت للعباس عمكموا
يأتي البنين بسرع جاء غير ونى
وبالملاية غطيت والحيطان صايحة
حتى لها سمعوا أهل الصفا وثنا
دعا وأمنته الحيطان صايحة
لله مبتهلا في السر والعلنا
ومنكم كم أتت بشرى له ولمن
ينمي إليه ليوم الحشر والمحنا
كفى كفى شرفاً أني حسيبكموا
وابن الأحسايب أهل الحزم والسدنا
كالحبر والمرتضى السجاد ابنهما
وأبناء من ملكهم قد شاع في اليمنا

والعدل والبذل والإحسان سيرتهم ... والماحين ضلال الشرك بالدننا
وبعد أن أذهب الملك المعد لهم ... أعطوا الولاية حظاً وافراً كغنى
وهو من حظى بالمصطفى يقظة ... وقرأ عليه عقائد الدين بالأذنا
وكل ذرية من صلبه نبتت ... فالكل صالحة معروفة فطنا
بشهادة القطب إبراهيم عمدتنا ... أعنى القلوباوي طيب الأصل والبدنا
أني رأيت بن حاج سعد محمدنا ... مخاطباً لرسول الله مستكنا
قال إني أحبكموا بالطلب متجها ... لنحو نهجكموا بالجد سيدنا
وكان من جنبه الصديق صاحبه ... ذو الفضل من معه في القبر قد دفنا
فقال وأشهد الصديق سيدنا ... ذو المكارم لا نحصى عليه ثنا
أما علمت بأني قد أحبهموا ... أولاد حاج سعد من دون مستثنى
وكم لهذا الولي الكامل من عبر ... كسقيه الدين من ركوة للحسنا
أعني بذاك ابن خير كان يخدمه ... فصار من أولياء الله دون عنا
وكم له من كرامات تهز فتى ... لا تستقصي بها ذا الشعر والوزنا
قالوا لقد قال جدى أن اشفع ... من هنا إلى دمشق كان بلدتنا
يا سادتي أين أنتم أين غوثكم ... ماذا صنعتم بابن هاجر الوطنا
هل تتركوه لثور لا ولاة له ... أم تنقذوه من الآفات والمحنا
مدوه، مدوه من أحوال فيضكم ... حتى يفوت على الأنداد والقرنا
وكل صاحب صدق لي قد اصطحبا ... أعطوا الأمان وقولوا أنت مؤتمنا
لا تخش لا تخش في الدنيا نائبة ... وفي القيامة قطعا قد تكون معنا
يا سيدي يا رسول الله أقبلني ... وأقبل من أتى معدن خشنا
يا آل بيت رسول الله جائزة ... تزري بجائزة الامتاع والجنا
رقوا لأحمد في أعلى مراتبكم ... حتى يحوز مقام الصدق بعد فنا
بالله في الحال والأقوال أجمعها ... وأن يكون مصفى ليس ذو درنا
وأكسوه من نور مع بعد حالته ... حتى يعز بكم حتى يكاد ثنا
بحق طه أولاكموا نعما ... وقال في حقكم أنتم كما السفنا
صلى عليه إله العرش ما طلعت ... شمس وما قال صب فيه مفتتنا
والآل والصحب كل التابعين لهم ... والحائزين لكل الفضل والمننا

وسأقص عليك الرؤية التي رأيتها والبشارة لي بمنزلة الصديقية وذلك لما أراد الله

مكوثي بالقضارف ورزقني الله بحمده ذرية هناك، العباس متعني الله بحياته والحاجة زينب اخته، وكان لي هناك تلامذة ومعتقدين ولقد دب الحسد في بعض الناس ورماني عند الحكومة ولكن لم يوجد سبب يمسكوني فتسلط قاضي المحكمة بسبب افتاء مطلقة الثلاثة في كلمة واحدة مع أن المحكمة من تلك السنة طلعت منشور بالجواز وذلك في سنة ١٣٥٠هـ وبتلك الأسباب طلبني القاضي وسألني بغير أدب، وأغلظت عليه القول وعدها إهانة للمحكمة واشتكاني للمفتش الأنكليزي وفعلاً نفذت المقادير الإلهية بشجاعة وثبات فحكم المفتش الانجليزي بسجني ثلاثة شهور وغرامة، فأول يوم دخلت فيه السجن رأيت قائلاً يقول لي " أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا" ولاطفوني أهل السجن أحسن الملاطفة ورأيت فيه كثيراً من الصالحين، وبعد خروجي منه بأيام كان عندي وجه في القافات يستعمل لقهر الأعداء جهزته للعمل، وخالج نفسي أن من قتل بسره كأنما قتل بسيفه وترددت بين الانتقام والتفويض، فأخذتني سنة من النوم فرأيت إني في بنية جدنا الفقه محمد ورأيته جالسا على قبره وعنده سكر كثير يكسر ويقسم على الناس، فذكرت أني حصل لي كذا ولم أجد الإغاثة منهم، ولذلك توقفت عن أخذ السكر منه فقال لي: أعطيناك منزلة أبي بكر الصديق، فأستيقظت وحار عقلي في هذه الرؤيا لأن منزلة الصديق لا تدانى، فكيف تكون بيده ويعطينا إياها، وانتقلت إلى التأويل وذهب فكري إلى أن يوسف الصديق سجن فصبر وكان مظلوماً، وأشدكم بلاء الأنبياء ثم الأصفياء ثم الأمثل فالأمثل، والرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، ذهب الوحي ولم يبق إلا المبشرات وهي الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له، ففوضت أمري إلى الله، ولكن انتقم الله من كل من تسبب في مسألتي والله شديد الانتقام.

ومشهور عند الناس أن من دفن في جبانة جدنا الفقه محمد تناله الشفاعة حتى أن كثيراً من الناس يوصون بذلك ومنهم الملك عوض الله - والد رجب وحاج أحمد وميكاييل - مات ببربر وأوصى أن لا يدفنوه إلا في جبانة الفقيه محمد، فحملوه بالجمال وجدوا السير حتى دفنوه هناك، ومما حكى لنا أن رجلاً من أهلنا المحاميد يسمى الشيخ ود كرار كان مريضاً ونام بالبنية، واتفق أن دفنوا في تلك الليلة أحد الناس في الجبانة، فلما انتصف الليل سمع صراخاً من صاحب القبر فكاد أن يطير صوابه ولم يستطع القيام، قال فرأي جدنا الفقيه محمد خرج من قبره ووقف على قبر الرجل المدفون وتكلم بكلام لم يفهم منه غير انزعاج الصوت، قال: ثم بعد ذلك انتهى الصراخ ولم يعد يسمع بعد ذلك أدنى حركة نفعنا الله ببركاتهم.

وحكى أن محمد الطيب قتل ابن عمه جلال الدين بن المكي نفذت هذه المقادير، وأرادوا بنو عمه قتله فتوجه ووقع ببنية الفقيه محمد واحتمى بجاهه فتركوه أهل الثار وحضر الحكام فعفوا عنه بمحضرهم، وخوفاً من أن يسري الشيطان فيما بعد أبعدوه عنهم، قيل إلى بحر الجبل، وكان الرجل يحفظ كتاب الله فلما أرادوا أن يغربوه تشفع بجدنا الفقيه محمد، وسأله أن يدفن في جبانته عسى الله أن يتجاوز عن خطيئته، ولما غربوه فتح خلوة لتدريس القرآن، وتزوج هناك وله ذرية نسمع بذكرهم الآن، فمكث الرجل ما شاء الله أن يمكث، ثم لما قربت منيته أتاه وأيقظه من النوم، وقال له قم توجه إلى بلدك، فقام واستعاذ من الشيطان الرجيم وصلى ركعتين ونام فأيقظه ثانياً وثالثاً حتى قيل أنه أثبته في اليقظة وقال له: أنا الفقيه محمد قم توجه إلينا، فأوصى الرجل وكتب في مصحفه نسبه لأولاده وتوجه برجليه - ولم يكن متعوداً للمشي - حتى فطرت رجلاه وتورمت، فوجد بالأمر المقدر أناساً حملوه في سفينة حتى أوصلوه أم درمان ووجد هناك أناساً

من الأهل تولوه وابتدأ به المرض فلما وصل إلى أم دومـــات الضل محل بقرب وادي الحمار مات هناك، فحملوه جنازة إلى نادي ودفن كما سأل هكذا روى لنا متواتراً والله أعلم.

أما أولاد الفقيه محمد الشهيرون الخليفة والفقيه سعد والفقيه مصطفى والربعاوي، أما الخليفة فأبو الخلفاء إلى اليوم، وفرع ذريته شهير عند الجماعة بالخلافة، وهو والفقيه سعد أيضاً أشقاء والدتهم رباطابية بنت الملك فرنيب، ونسل الخليفة ثلاثة أيضاً الفقيه الأمين والدته بنت الشيخ بدر الشهير، ونسل الفقيه مكي والحاج الحسين، والدتهم بنت عماش، وكان الخليفة صاحب جاه وكرامات كثيرة توفي بالحرمين الشريفين، وابنه الأكبر وخليفته الفقيه الأمين وله جدان عظيمان الفقيه محمد والفقيه محمد، ومن كراماته التي نقلت إلينا بالتواتر أنه كان رجلاً ذا نفقة طائلة وتعلقات كثيرة، وكلما ينوي فريضة الحج تباكوا الناس ويقولون له يا سيدي لمن تتركنا، ولعله لاحظ قول جده عبد الله بن العباس: " لأن أعول أهل بيت من المسلمين شهراً أو جمعة أو ما شاء الله، أحب إلي من حجة بعد حجة، وَلَطَبَقٌ بِدَانقٍ أُهْدِيهِ إِلَى أَخٍ لِي فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ دِينَارٍ أُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ" ، وكلما ينوي يؤدي به جبر خاطر الناس إلى الإقامة وفي سنة من السنين رؤي علامة الإحرام، وكان يصلي الصلوات الخمسة بالمسجد، حتى أتى يوم العيد الأكبر فتجمعت الناس للصلاة من جميع الجهات غرباً وشرقاً كالعادة، وكاد وقت صلاة العيد أن يخرج، وفتشوا ولم يجدوه في الخلاوي ولا في البيوت، ولا على شاطئ البحر، ولا في جميع الجهات، فحتموا أنه أتى البحر للوضوء والاستحمام فخطفه التمساح، وتباكوا الناس والتلاميذ وكثرت الأصوات والصياح، فسكتوا وأمروهم أن يذهبوا لأداء صلاة العيد فقدموا ابنه واصطفت الصفوف، وأرادوا الشروع

في صلاة العيد، ففي تلك الساعة فتح الخلوة وخرج عليه أنوار تكاد أن تخطف الأبصار أخذا عكازه ومكبرا، فأنحازت الصفوف خلفه، وعليه كسوة جديدة ومكاوية جديدة، وبهتوا الناس ولم يجسر أحد أن يسلم عليه في تلك الساعة مما أعتراهم من الهيبة والوقار، فصلى بالناس صلاة العيد وخطب كأنما يخرج النور من فيه، وبعد الخطبة تراكم الناس على تقبيل يديه، وكادوا يقتتلون في أسبقية التقديم في التقبيل، ورجعوا فرحين مسرورين ووجدوا جميع أمتعة الحج في خلوته ، فهنوه ولم ينكر ذلك ولم يدفعه وهو المعنى بقول الشاعرة:

نحن العندنا الفي ليله طاف بيت مكة   نحن العندنا المرقوب يقدل العكة

إلى آخر القول، وهي كرامة شهيرة، وهي من الجائزات، ولقد قالوا الفقهاء يقصر الصلاة لمن خطا من هنا إلى مكة، وطي الزمان والمكان عن أهل الله مشهور ومسطر، وقال الشيخ أحمد زروق " استغراب الخوارق من ضعف اليقين بالقدرة لله".

أما أولاد الخليفة الأمين فأربعة، محمد الأكبر والدته تسمى أم حجيل بنت محمد جلال الدين بن الحاج سعد، وعلى ومصطفى والفقيه أحمد. أما الخليفة بعد الأمين فهو أخوه الفقيه مكي، وبسبب ذلك حصلت مشاجرة، وهي أنه لما توفي الخليفة الأمين قدموا ابنه للصلاة فأمتنع وقدم عمه الفقيه مكي، ويقال أن والده أوصاه بذلك، فصمموا أخواله محمد جلال الدين ومن تبعه أن لا يصلوا خلف ود بنت عماش والفقيه محمد موجود، فأبى الفقيه محمد، فلذلك ابتنى جلال الدين مسجداً بقرب الجبانة وعمر غاية العمار لأنه كان بارعاً في العلم وصالحاً وكريماً، وتولى النفقة في مسجد الحاج سعد جدنا الحاج الحسين ومكث الفقيه مكي خليفة نحوا من السنتين ثم توفى، فعاد محمد جلال الدين

حين خلف ابن أخته، وكان الخليفة الفقيه محمد بارعاً صالحاً كريماً يضاهي والده وخاله في جميع الخصائل، وأقام في الخلافة زمناً طويلاً، ثم لما توفاه الله حصلت منه كرامة شهيرة، وهي أن إناء كبيراً ملىء ماء لغسل جثمانه فمال الإناء وكاد أن يدفق الماء فوثب الجسد الميت ومسك الإناء بيده، فجال الناس جولة عظيمة وزغردت زغاريد الفرح بعد الكره، فلما سمعت عن بعد سأل الناس ما هذا؟ فقالوا حَيِيَ الرجل وهكذا موت ناس نادي، وضرب المثل بموت ناس نادي إلى الآن، وحضروا الشعار يتناشدون الأشعار بإطرائه، فوقف واحد من أولاده وقال: هذا مخالف للسنة أما موت أو حياة، فعاد لحاله ميتاً، وهكذا روى لنا متواتراً.

وكان له تلميذ يسمى الوداعة من أولاد الفقه القلوباوي، وكان شاعراً باكياً منتحباً، فقيل له: "البركة ما بتدخل التراب، البركة إن شاء الله في الفقيه أحمد أخيه"، فقال: "بعيني رأيت البركة دخلت التراب، البركة دايره تدخل في الفقيه أحمد اليأكل وراء السدادة"، وأثرت هذه الكلمات في الفقيه أحمد. ومكث في الخلافة نحواً وعشرون سنة وتخرج عليه خلائق لا يحصون، وله كرامات كثيرة لا تحصى، منها ما قيل أنه كان يقرأ الجزولية بضريح جده الفقيه محمد، وكان جده يستمع منه عياناً، فأتفق أن واحداً من المرضى كان بالبنية بائتاً أو مصبحاً وحضر الفقيه أحمد بدلائله، فصاح الرجل: "هذا الفقيه محمد خرج من قبره" فأشار له الفقيه أحمد أن أسكت، فخرج الرجل وتكلم بما رأي.

وحكي تلميذ له يسمي الطيب القرني بجهة العبيدية قال: كنت أعصر في رجليه في يوم من الأيام وكان متغطيا بثيابه، ففي أثناء تعصيره أحس بأن تحت الثوب شيئا لينا كالقطن المطروق، فعصر جميع جسمه فلم يشعر إلا باللين قال: فأتيت الرأس لكثرة عظامه

فوجدته كذلك، حتى أني وضعت سبابتي اليمني وسبابتي اليسري فتلاقيا: قال فمسكت يدي وخفت خوفا شديدا، وبعد هنيهة شممت رائحة لم أشم في عمري مثلها، وامتلأ جسم الرجل، وخاطبه: بأنت إلى الآن موجود؟ فأجابه بنعم يا سيدي فقال له: عفوت عنك، وكاشفه بأنه سيأتي والده وياخذه، قال: فقلت يا سيدي لا أحب أن أفارقك، فقال لي: طاوع والدك، وإني معك حيثما أردتني، فقلت: فكيف يا سيدي قال: إذا احتجت إلى إغاثتي فاقرأ الإخلاص أحد عشرة مرة، واطلع على محل عال واندهني، قال فواظبت على ذلك فكأنه عندي الاسم الأعظم في جميع مهماتي.

وفي سنة ١٢٥٠هـ حج إلى بيت الله الحرام والدنا الحاج محمد أبو سنينة، وجدنا الحاج محمد الحسين، وكان سيدي السيد محمد عثمان الميرغني بمكة، فتوجهوا لحضرته، وكانوا لم يروا السيد محمد عثمان، فوجدوا الشيخ إسماعيل الولي بحضرته فتوهموه انه السيد لما عليه من الجلال والأنوار، فأرادوا ان يسلموا عليه فقبض يده وأشار لهم إلى الأستاذ الختم، فسلموا عليه وسلكوا الطريق، وأراد أن يعطيهم خلافات كبرى، فقالوا يا سيدي عندنا الخلافة لا تتعدد، وخليفة مسجدنا هو الخليفة محمد الأمين، فأعطاهم إجازة كبرى له، وخط هذه الأجازة وخط اجازة الشيخ إسماعيل الولي واحدا لفظا ومعني ووصفا، إلا زيادة الطريقة الإسماعيلية وسنلحقها انشاء الله بهذا المحل[1].

ولم ينسل الخليفة أحمد سوى ابنتين وابنه الشهير بالخليفة الضبيلان وهو الذي تزوج سنباي بنت الملك محمد أبو حجل كما قدمناه، وكان الخليفة عالما عاملا صوفيا كاملا، حفظ مختصر الشيخ خليل وأخذه بالرواية والدراية عن الفقه الأزرق بجهة القضارف. والآن موجود شرح الشيخ الدرديري بخطه الأربعة مجلدات، وكذا حاشية الشيخ

(1) لم يلحق المؤلف الإجازة المذكورة.

الدسوقي على الشرح بخطه أيضا، وداخلهم الأجازة من الفقه الأزرق. وكان صوفيا سريا ذو انقباض من الناس، وبيته الذي تزوج فيه بقرينه[1] وبيته بالباقير تودع فيهما الأمانات ولا قفل على الأبواب وكل من تعدى واخذ منهم نكب نكبة ظاهرة كشمس الضاحية، حتى قيل أن ثعلبا أكل من عدله فأصبح عاضا ما أكله ميتا، ويخافون الناس من الحلف عليه خوفا شديدا، وفي المثل الساير عندنا في السودان "الما بضوق ايدك ما ببقي عبد سيدك" فالناس يخشون أكثر من جده الفقه محمد، وعائلة ابو حجل يعتقدون فيه بسبب مصاهرته إياهم، ويخصونه بالنذورات، ويحكون عنه كثيراً من الكرامات. ويحكي أن حماته آمنة بنت الملك محمد أبو حجل عندها شولق من الذهب، وضاع في البحر، فاستغاثت به والحت عليه، فوجدوهم مطفحات على ظهر الماء، ويحكى كثير من هذا القبيل.

وقيل أن الأرباب مصطفي أبو لكيلك لما تزوج زوجته سنباي، أي بعد وفاة الخليفة، رآه عيانا ونهاه فلم ينتهي، فمات من نصفه الأسفل، ولم يتمتع بها حتى مات. واتفق أن عمتنا سنباي زارته في جبانة جده الفقه محمد، وكانت أعواد التلغراف بجواره ترن، فبعد أن أدت واجبات الزيارة كانت تستحي وتكجر من جهته فكأنما تراه بعينها، ثم قالت له: حقرتك عندنا نحن، دا البي يرن فوقك شنو؟ تعني السلك فلم يمض غير أيام قليلة حتى نقض من أصله وأبعدوه عنه، نفعنا الله ببركاته، وسقانا من فيوضاته .آمين.

ومات الخليفة الضبيلان ولم يخلف ذرية، وورثه تعصيبا مع بنات الأم جدنا الخليفة عبد الرازق وأخواته بنات الفقه محمد بن الأمين عمه، فاطمة أم الفقه أحمد وزينب أم حمدتو، وأم حمدتو كانت امرأة شاعرة لبيبة تحفظ كثيرا من كرامات الأجداد، تتلبسها

([1]) قرينه: من قرى الرباطاب وكانت مقرا للملوك الحجولة.

حالة حماسية حين تذكرهم، فمن شعرها لأخيها الخليفة حين تزوج سنباي، لأنه لم يتزوج قبلها، وهو شعر كثير جدا قيل إنه لم ينتهي من عشية إلى الصباح، منه قولها

عاجبني جديدك يا جليس الروكة   دايراك مثل أبوى ولا تشبه أبوك
والحاجة إن قست يجوا يشوروكا   سلطان أم قرين ينزل يفرش أبوك

ومن ذلك قولها:

نحن البركة في كفتنا نحن اللي   الخلوق مثل الخريف خلوتنا
نحن محررين عزة قريش نسبتنا   مطرود السلس عتقوه في بقعتنا

ومن ذلك :

نحن العندنا الفايت على أندادوا   نحن العندنا الضيفانوا كور يترادوا
نحن العندنا البي الجود مسبل زادوا   نحن العندنا المرقوب يربي ولادو

ومن ذلك :

نحن العندنا اللامين جميع القيمة   نحن العندنا الخلوة البرن تعليمة
نحن العندنا البقعة السمح تقديمة   نحن العندنا المرقوب يتم النيمة

ومن ذلك :

نحن المن خلقنا بطاره   نحن الما بجونا ولاد أبونا سكارى
مرا فوق خيول مرا تلوا الطيارة   مرا يردوا سوق بحرى ويدلوا تجارة

وشعرها كثير جدا كأنها خنساء زمانها، ولابدع في شعر النساء الحماسي فانه أكثر تحريكا لحفائظ الرجال، واتفق الأدباء على أن أحسن الشعر شعر الخنساء لأخيها

صخر.

وفي زمن الخليفة الضبيلان كان خليفة المسجد الفقه طويلب، ابن عمه الفقه محمد، لأنه كان أكبر الموجودين بعد الفقه أحمد، وكان رجلا حافظا للكتاب مدرسا للقرآن، اخذ عليه القرآن والدنا الشيخ محمد الحسين، وكان في العبيدية رجل يسمي "ود ابنكه" ظلمهم في أعواد في الصدقة، فكان يشيل الفاتحة صحبة الحيران ويقول

ود ابنكه عقربا تنكه في راسه

فسلط الله عليه عبده فشق راسه بفاس وكانت مسالة شهيرة.

وبعده تخلف والد والدتنا الفقه عبد الرازق الفقه محمد الامين، وكان عالما تولى القضاء الشرعي في محل حكم محمد أغا الصايم، وهو ابن خالهم لأن والدة عبد الرازق وطويلب وود الشيخ هي جاز بنت رحمه ضعيف أخت محمد الصايم، ولم تكن وجيهة مع أن والدهم كان في غاية الجمال، ويحكي أن والدنا عبد الرازق وهو صغير كان ينظر إلى والدته ووالده، ولما خرج والده قال لوالدته، كيف تزوجك أبي وانت هكذا؟ فقالت له: والدك لم يتزوجني إنما أخذ الرجال المفزرين ضهور الخيل، الصايم والملك الامين، واخواتهم بنات الفقه محمد بن الأمين، فاطمة وزينب اللاتي قدمنا ذكرهن، وهن كذلك أخوات الخليفة الضبيلان لأمه، وتقول أم حمدتو محمد أحمد عبد القادر لابنها في السومار المعروف

أمك مو الصغير وهقانة وأمك ما بتكن الزاد على جيرانه
أمك ما شكاها حليله عند وليانة وأمك تشبه النص القروه اخوانه

وفي الحقيقة هذه مزايا عظيمة قل من تتصف بها من النساء. وبعد عبد الرازق تخلف

والدنا الحاج ود دراشة بن الحاج الحسين بن الخليفة لأن عبد الرازق لم تكن له ذرية غيربنات، والفقه طويلب أبناءه أحمد والحسن صغار، وابن أخيهم عمنا الأمين الشيخ بن الفقه محمد بكردفان، وهو أولى بالخلافة من غيره، فأولاد الفقيه محمد الكبير اتفقوا أن يخلفوا والدنا الحاج ود دراشة، وأكثر الجماعة والتلاميذ اتفقوا أن يقبلوا الحسن الفقيه طويلب مع صغر سنه، وضيقوا على والدنا الحاج، وسدوا عليه السبل بعد مضاربة حصلت في صلاة العيد، وابنه والدنا الشيخ محمد كان بكردفان صحبه أخيه الأمين الشيخ الذي هو أولى بالخلافة من غيره لأن الجماعة لا يرون استحقاقاً للخلافة إلا من أولاد الأمين بن الخليفة لأنه بيت بركة وكرامات كالشمس في رابعة النهار، فتوجه والدنا الحاج إلى كردفان إلى ابنه وبني عمه شاكياً من تفرق الأمر والخلاف، ولم يمكث إلا وأن توفى في يوم سبعة ربيع الآخر سنة ١٢٩٨هـ في محل بعيد من الجبانة والحال أن المحل غابات ملتفة وشجر كثير تسكنه السباع الكثيرة والأسود والفيلة، وحملوه ليلاً ليوصلوه إلى جبانة الفقيه بريمة بالكريتة، وبعد أن وضعوا النعش على جمل من الجمال، أركبوا بجانبه ابن بنته الحاج محمد أحمد الرابعاوي، فأحس بحركة الميت فكشف عن وجهه فوجده مغمضاً إحدى عينيه فاتحاً الأخرى، ينظر إليه بنظرة حادة، وسمعه يتلو صورة يس، فقال لهم جدي حي، وأصابه خوف شديد أثار الشيب في رأسه قبل أوانه، هكذا رأيناه، وحكى لنا هو وغيره، فاطمأنوا من أن يصيبهم ضرر من السباع وغيرها، ثم بعد ذلك عزموا الجماعة إلى الأمين الشيخ أن يستلم الخلافة ويتوجه لمسك المحل، فصار الأمر إلى والدنا الشيخ محمد الحسين، وكتب الأمين الشيخ بذلك كتاباً بأنه أنابه في المحل باتفاق الجماعة هناك ورضاه، وبأن يعطي الحسن الفقه طويلب نصف الزيارات والنذورات والوارد، والوثيقة محفوظة بخط الأمين وعليها إمضاءات الجماعة، فأجابهم الوالد وتوجه لإحياء المحل، وفعل فوق ما

توسموه فيه رحمه الله، وقد كان في أثناء مكوثه هناك قرأ رسالة بن أبي زيد القيرواني على العالم العلامة الفقيه محمد ود التكينة وكان عند أولاد ود أبصفية الشهير.

نبذة من تاريخ والدنا الشيخ محمد الحسين (رحمه الله)

وقد رأيت كتابة منه بخط يده على ورقة من حاشية الشيخ العدوي على كفاية الطالب الرباني للشيخ أبو الحسن على رسالة ابن أبي زيد القيرواني قال رحمه الله: توفى والدنا الحاج محمد الحسين في سبع من ربيع الآخرة الموافق ١٢٩٨هـ بكردفان وآلت إلينا الخلافة بعده اليوم والسنة المذكورة، وبلغ عمرنا في هذه المدة ثلاثون سنة، وكريمتنا زينب في هذا التاريخ عمرها ستة سنين. اللهم ببركة هذا الكتاب أرزقنا كثرة الأبناء وسعة المال والجاه، وصحة في البدن وامتدادا في العمر، وارزقنا طاعة الله آناء الليل وأطراف النهار، والإقامة على السنة والطريقة المحمدية، بجاه سيد الأولين والآخرين والله على ما نقول وكيل. وأودعت هذا الكتاب شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله. ومالك هذا الكتاب ومسطر الأحرف الشيخ محمد بن الحاج محمد بن الحاج الحسين بن الخليفة بن الفقه محمد بن الولي الكامل الحاج سعد العباسي نسبا المالكي مذهبا تعريفا لا تشريفا.

هكذا حرفيا فكأنه رحمه الله كاشف على تأليفنا لهذا الكتاب فأراحنا من تاريخه، والسبب في كتابته من آخر هذا الكتاب لأنه رحمه الله قد أحسن قراءته حفظا وفقها على الشيخ محمد المشهور بود التكينة بكردفان، وقد قيل أن من قرأ هذا الكتاب وعمل بما فيه رزقه الله إحدى هذه الخصال التي دعي بها والدنا، وقد أجاب الله دعاءه كما سنقف عليه إن شاء الله. فيكون ميلاده - رحمه الله - في سنة ١٢٦٨ هجرية، وبعد حضوره بالمحل كانت زوجته السابقة والدتنا فاطمة بنت محمد أحمد عبد القادر وعمره حين تولى الخلافة ثلاثون سنة، واختنا زينب بكره كان عمرها في ذلك الوقت ستة سنين، ثم بعد ذلك حين حضوره تزوج والدتنا البتول بنت الفقه عبد الرازق وعمرها إذ ذاك سبعة

سنين.

وقد كنت يوما من الأيام وأنا جالس معه في المسجد، ليس معنا أحد قلت له كلاما: يا أبت لم تكن على نهج الخلفاء المتقدمين الذين نسمع بزهدهم وقل اكتراثهم بالدنيا، وما يأتيهم من الهدايا بالإيثار والنفقة، وأنت لا تخلو من نوع الاحتكار، وإن كنت تنفقه في وقت الحاجة، فثقتهم بالله أكبر من ثقتك، كما كان يقول لك عمنا الأمين مؤنبا لك " يا الخليفة الساعي الجمال". وهكذا دار بيننا ما يشتم منه نفس بأني أولى بهذا المحل منه ومن غيره، فقال مجيبا عن كلامي: يا فلان أنت ابني وتقف من جنبي، فو الله ما جلست في هذا المحل إلا وخاطبتني الخلوة وجدرانها، بمرحبا مرحبا بفلان. وقد كنت أسمع هذه الحكاية وما تحققتها إلا منه بسبب هذا الكلام، فإنه دخل الخلوة ليلا وهناك أناس مضطجعون فيها وهو يريد نافلة الليل فسمع صوتا من الجدار: من هذا؟ فأجابه الركن الثاني: هذا فلان، فأجابهن بقية الجدران مرحبا بفلان حتى إستيقظ من كان نائما، وهي كرامة شهيرة وأثبتها بنفسه، ولا بدع فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم اشتمل على العباس وبنيه بردائه أو ملايته وقال: اللهم هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فأسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه، فقالت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين، آمين ، آمين ثلاثا، حتى سمع القوم التأمين وهم في المسجد النبوي والدعاء بدار العباس، وكلما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي.

وقد لازم الوالد رحمه الله المسجد وأحيا آثار المتقدمين من أسلافه الكرام حتى ضاق المسجد عن التلاميذ وابتني خلوات متعددة للطلاب والضيفان، وقد أحضر رجلا تقيا حافظا عابدا من جماعته يسمى الفقه الوناس من أهلنا سنيناب مري وأوكل إليه تدريس القرآن وتكفل بنفقته هو ومن يعوله، فإن لشيخنا الوناس ثلاثة نسوة وأولاد، والوالد تارة

يباشر صحة ألواح الطلبة بنفسه لأنه كان يفهم جانبا من التجويد، وتارة يدرس الرسالة وتارة يصلح بين الناس.

ومهمته الكبرى إصلاح الناس وقضاء حوائجهم، وكان ذلك أكبر العبادة عنده، لا يترك الاجتهاد في قضاء حوائج الناس ولو استغرق معه زمنا طويلا، كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم "صنائع المعروف تقي مصارع السوء"، وقال "أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة"، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قيل للنبي : أي الناس أحب إليك قال: أنفع الناس للناس وقيل له وأي الأعمال أفضل قال: إدخال السرور على المؤمن، قيل فما سرور المؤمن؟ قال : إشباع جوعه وتنفيس كربته، وعن جعفر بن محمد عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما أدخل رجل على مؤمن سرورًا إلا خلق الله عز وجل من ذلك السرور ملكًا يعبد الله عز وجل ويوحده، فإذا صار العبد في قبره، أتاه ذلك السرور فيقول: أما تعرفني؟ فيقول له: من أنت؟ يقول: أنا السرور الذي أدخلتني على فلان، أنا اليوم أونس وحشتك، وألقنك حجتك، وأثبتك بالقول الثابت، وأشهدك مشاهدك يوم القيامة، وأشفع لك إلى ربك، وأريك منزلتك في الجنة". رواه ابن أبي الدنيا. وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من لقي أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره الله عز وجل يوم القيامة". رواه الطبراني في الصغير. وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من مشى مع أخيه المؤمن في حاجة فناصحه فيها جعل الله بينه وبين النار سبعة خنادق ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والأرض". رواه أبي نعيم وابن أبي الدنيا. وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من مشي في حاجة مع أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين

سيئة، فإن قضيت حاجته على يده خرج عن ذنوبه كيوم ولدته أمه وان مات في خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب ". وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من سعى لأخيه المسلم في حاجة قضيت أم لم تقض غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخروكتب الله له براءة من النار وبراءة من النفاق". وعن انس رضى الله عنه قال قال رسول اله صلى الله عليه وسلم " من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين حسنة واحدة منها يصلح الله بها أمر آخرته ودنياه والباقي في الدرجات. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " خير الناس أنفعهم للناس". وعن ابن عوق المزني عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الله خلق خلقا، خلقهم لقضاء حوائج الناس وآل على نفسه أن لا يعذبهم بالنار فإذا كان يوم القيامة وضعت لهم كراسي من نور يحدثون"، وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما من عبد أنعم الله عليه بنعمة وأسبغها عليه ثم جعل حوائج الناس إليه فتبرم فقد عرض تلك النعمة للزوال".

ومن بعض كلام أهل العلم في الحكمة "أفضل المعروف إغاثة الملهوف" . وقيل أيضا: "من كانت الدنيا أكبر همه، كثر في القيامة غمه"، وقيل أيــضــا "مــن صدق في مقاله زاد في جماله" ، وقيل أيضا من "رقي في درجات الهمم عظم في عيون الأمم" ، وقيل ايضا "الثقة بالله أزكي من كل أمل والتوكل على الله أوفى من كل عمل" ، وقيل أيضا "حق يضر خير من باطل يسر"، وقيل أيضا "عثرة الرجل تزل القدم وعثرة اللسان تزيل النعم" ، وقيل "خير المال ما أخذ من الحلال وصرف في النوال، وشر المال ما أخذ من الحرام وصرف في الآثام"، وقيل "من طلب الآخرة بعمل الدنيا خسرهما ومن طلب الدنيا بعمل الآخرة ربحها"، وقيل "ظن العاقل خير من يقين الجاهل".

والحاصل أن الاجتهاد في قضاء الحوائج من أفضل الأعمال وهو الأساس لنجاح بني العباس وأعمال الوالد ـ رحمه الله ـ تدور بين تدريس القرآن بنفسه وتصحيح ألواح الطلبة وتارة تدريس العلم الشريف وأغلب تدريسه رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وتارة يتفقد مزارعه ومواشيه وسواقيه، وكان يقول للطلبة "قارئ القرآن بدون علم كالحمار الذي يحمل قرب العسل على ظهره هل يذوق له طعم ؟" وكان كريما يتفقد الضيوف بنفسه ولا يوكل أمر الضيوف إلى الوكلاء، ويأمرنا أولاده خاصة بخدمة الضيوف، ولا يرضي بأحد يمسك الماء أو يغسل للضيوف هكذا كنا نلاحظ منه وقد مررنا كثيرا على أكل ما فضل من الضيوف والمآتم، ويأكل معنا بنفسه ويقول البركة في ذلك، وكثيرا ما كان يكب الماء الصرف على أدسم الطعام أراد الأكل منه.

وكان مبارك اليد، ما وضع يده في طعام إلا اشبع ذلك الطعام وفضل باقيه، وكان يتلو على الطعام في المواسم إذا كثر الناس " لإيلاف قريش" ولكثرة ما عرف منه تكثير القليل إذا حصل جمع يحتاج إلي طعام كالأفراح والمآتم وخيف نفاد الطعام، يؤخذ لمحل الطعام لمكارم أخلاقه ويضع يده في العجين ومحل التخمير ومعروف عندهم أنه ما وضع يده في طعام إلا واشبع وفضل باقيه.

وكان لا يهاب ولا يرتاع لحالة من الحالات ولا يستعظم منزلة من المنازل صغرت أم كبرت ، ما رآه احد بديهيا إلا وقد هابه وقبل يده وإن كان لا يعرفه قبل ذلك، حتى أن حكام الانجليز بمجرد رؤيته ينزعون قبعتهم ويقدمون له الكرسي تعظيما لذاته التي كسيت بالسكينة والوقار مع انه من عادته الزهد في الملابس والتحامي من الجلوس على الفراش الوثير، وإذا غضب لا يطاق ولا يقدر احد أن يكلمه حين غضبه، ولقد قال المك رحمه بن محمد أبو حجل في حقه كان العباسيون أهل التقروقة ونحن أهل

الكرسي والعنقريب، الآن الشيخ محمد جلس على العنقريب وأدخل التقروقة من تحته وأحما أحد يجلس على التفروقة" أو "العنقريب". وهذا مبالغة منه وتشبيها لعلو منزلتهم التي تتلاشى مع منزلة الأسلاف، فما رأينا احدا منهم جلس على كرسي أو عنقريب بمحضر الخليفة من أسلافنا، بل أن الملك محمد أبو حجل نفسه إذا أتى بالقرب من المسجد ينزع مداسه من رجليه، وعلى هذا الأثر كان المرحوم إبراهيم محمد أبو حجل مع كثرة المشاغبات معه من الجماعة ومساعدة الوالد للجماعة، مع ذلك كان ـ رحمه الله ـ حريصا على الآداب معه، كذلك الناظر عثمان محمد أبو حجل الآن لم يألو جهدا في التعظيم وتقديم التقروقة.

ولقد حصل منه أن واحدا من عامة الناس جلس على التقروقة التي كان يقدمها لهم فقال له: أنت من أولاد فلان فقال : لا، فقال : لماذا تجلس في غيرمحلك، وبعد التشفيع فيه غرمه واحد جنيه، جزاه الله خيرا على حفظ المنزلة.

وكانت تقول أخت الخليفة في السومار المعلوم

الزنباعة ليش يطروك سلطان أم قرين ينزل يفرش ابوك

وتقول في حق سنباي بنت الملك محمد ووالدتها بنت الملك نصر الدين

سنباي الرمولة الشركة بنت العزتين أهل النجاس والملكة
أنتي بخيته جبتي البركة ود البركة والله اليكازيهم يقع في توكه

وهي إشارة لقول القائل:

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا   هم السلاطين والسادات والامرا

وقالت شاعرتنا في النشيد السوداني أيضا يوم ختاننا على عادة أهل السودان عندنا في حق والدنا تخاطبنا :

أبوك يا الخير حسينه صفاته   أبوك سيد الملك ينزل له من فرشاته
واللتعدوا فوقكن بالغباين ماتو   وأسياد الحصان غير الإذن ما فاتوا

تعني الكرامات التي ذكرناها سابقا.

وقد كان الوالد رحمه الله في حالة الغنى شاكرا، ولما قلت الدنيا كان فقيرا صابرا وكان رحوما للضعفاء والأيتام وصولا للجيران والأرحام نصب نفسه لنفع الناس وقضاء حوائجهم وطالما انفكت على يده مشاكل فيها بصدق النية وخلوص الطوية نذكر من ذلك مسألتين لولاه لسفكت فيهما الدماء ويتمت الأطفال وصار الرباطاب إلي مطالبين وخربت ديارهم كما حصل في واقعة محمود ود أحمد مع الجعليين.

منها مسألة حسين بيه خليفة العبادي فإنه في أول المهدية كان معه جمع غفير من أهله وبعض المستخدمين في الحكومة وكانوا مسلحين بالبنادق متوجهين إلى مصر وأكثر الناس في ذلك الوقت مبايعين للمهدية، فنزل على والدنا في مسجده ضيوفا مكرمين ، فسمعوا الرباطاب فما أسرع ما تجمعوا هم ورؤسائهم بدعوى البيعة للمهدية واحتاطوا بهم من جميع الجهات وحبسوهم من الماء إلا ما يحمله لهم الوالد بالقرب ولم يكن مع الرباطاب سلاح غير الحراب والسكاكين والعكاكيز، فقال لهم والدنا انهم تحت حمايتنا وفي ظل الجاه وحصل شقاق شديد بين جماعتنا والرباطاب في هذا القبيل، ودام

الحصار عدة أيام حلى أن حسين بيه خليفة قال للوالد: سيدنا ليكن خاطركم معنا لأضربهم بسلاح النار. ولو تركه لاتسعت الفتنة، واجتهدوا في الصلح فوفقهم الله إليه ونجي الفريقين ببركة الوالد من سفك الدماء.

أما المسألة الثانية لما عصى عبد الله ود سعد الخليفة عبد الله هو وكافة الجعليين ولم يتبعوا أوامره، وجه الخليفة عبد الله إليهم محمود بجيوشه وتأهب الفريقان للحرب. ولقد أخطأ عبد الله ود سعد حين قابل جيوش الخليفة بدون قوة حربية، وما حمله على ذلك إلا الغضب، وسمعوا بذلك الرباطاب وفي ذلك الوقت كان رؤساهم دقرشاوي من الحجولة وميكائيل وحاج أحمد الملك عوض الله ورجب من الضعيفاب وتشاوروا واجتمعوا في قرينة وتحاوروا وقالوا نحن والجعليون يجمعنا جد واحد وهم بنو عمنا وما يمسهم يمسنا وهم اختاروا الموت أو النصر ولا يجدر بنا أن نجبن عن الشجاعة ونكره الموت ونرضى باستعباد هؤلاء العرب البقارة الذين لا يعرفون إلا سفك الدماء وانتهاك الحرمات واتفق رأيهم على ذلك، وأرسلوا إلى والدنا سرا يستشيرونه لأن العباسية تحت إشارته ويتبركون برأيه، فأشار عليهم الوالد أن يصبروا قليلا فإن انتصر الجعليون فنعمت وبها، وإلا فلا تجاهروا بالعصيان تخرب دياركم وتنتهك أعراضكم. فاستمروا على ماهم عليه وتواعدوا أن يجتمعوا في قرينه في يوم عينوه وأن يقبضوا الجهادية المرسولين للخدامة ويجردوهم من سلاح النار، ومن شيم الوالد - رحمه الله - كان يهمه أمر العموم أكثر مما يهمه أمر نفسه، وكان الوالد متبصرا في عواقب الأمور فبالأمر المقدر من السلامة التي ابتغاها لهم كان مستيقظا تقريبا من نصف الليل إذ أحس بصاحب بعير أناخ بقرب السبيل الذي بجوار المسجد فتقدم إليه الوالد كعادته أنه يلاحظ من قدم ليلا فلربما يكون به حاجة إلى الطعام الذي جبل على تقديمه لكل صادر ووارد

خصوصا في زمن الصعوبة والمجاعات، فعزم عليه بالجلوس قليلا ورآه منزعجا وبعد أن أطعمه سأله من اين فاجابه: يا سيدي أنا بسطه إلي أبو حمد فقال له: ما الذي معك من الأخبار؟ فقال قتل عبد الله ود سعد ومن معه من الجعليين ، فقال والدنا : الله اكبر ومتى كان ذلك فقال : في اليوم الماضي وإني ركبت من الجيش أول صلاة الظهر. ولما توجه من عنده أحضر اثنين قرب للعوم وأيقظ اثنين من الطلبة وكتب معهم جواب، وقال في هذا الليل قبل الصباح تحصلوا دقرشاوي وتسلموه هذا الجواب، واحذروا أن يراكم احد قبل ذلك. ففعلوا ما أمرهم به وحصلوه في قرينه واستأذنوا عليه قبل طلوع الوقت وسلموه الجواب، فاطلع على ما فيه وأخبر الذين معه من الرؤساء على ما اتفقوا عليه، فمنهم من تعرم وقال نموت كموتهم ولا نتحمل الإهانة فقال : إذا متم فماذا تصنعون بالعوائل، وهل تسلمون بموتكم من العار، وأمر بسجن المتعرمين وقفلهم في البيوت وألقي تعليماته كل من أتى لما اتفقنا عليه امسكوه في الخدامة وأوثقوه كتافا، وقام من ساعته وأصبح في الباقير فارا من سوء الرأي الذي وثقة من العصيان. وكان الوالد- رحمه الله - هو السبب في حفظ الدماء والأعراض فنى عمره - رحمه الله- في ذلك.

ومكث بعد حضوره من كردفان ثمانية سنوات لا يولد له ولم يكن عنده غير أختنا زينب، فأكثر من تزوج النساء طلبا للذرية وكان يكره التسري: قال لئلا توضع الذرية في محل خبيث، حتى أنه في أثناء إقامته بكردفان لبس خاتم فضة داخله فص من الحجر خاصيته أن من لبسه لا يولد له، وإن هذا الخاتم كان كما قيل في يده كل هذه المدة. وتحدث من له معه إتحاد بذلك وكان لبسه له إما نسيانا لخاصية فصه أو قل عقيدة في أن يكون للحجر تأثير مثل ذلك. ثم تزوج أم أخوانا أخينا الأكبر محمد وشقيقه المعتصم،

تزوجها بعد والدتنا فأتفق أن نزعت منه الخاتم، لعله لطلاء جسمه بطيب، وغشيها فحملت بأخينا محمد الأكبر، ووضعته في خمسة جماد الآخرة فى سنة ١٣٠٦هـ ولم يعد يلبس الخاتم بعد ذلك فاستمر حمل النساء ، فحملت والدتنا بنا ووضعتنا بعد تاريخ ٩ شهور من أخينا وذلك في شهر ربيع الأول ولى الشرف في أن ولدت في شهر ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت ولادتي في سنة ١٣٠٧هـ حققني الله بالسبع المثاني والقرآن العظيم. وبذل الوالد جزاه الله خيرا جهده في تربية أجسامنا والأرواح. وتوفيت والدتي في سنة ١٣١٣هـ وعمرها إحدى وعشرون سنة. وكانت رحمها الله كما قيل كريمة الأخلاق سخية، ليس للدنيا عندها قيمة لا تترك من دخل عليها إلا وقدمت له ألذ ما في بيتها من الطعام، ومرضت كثيرا وكانت صبورة تنصح من تراه متضجرا من أهلها وتأمره بالصبر وتعلمه أن الله أراد بها كثرة الأجور وأجزل ثوابها في الدار الآخرة واعتني الوالد بشأنها وأولم وتصدق عليها بكثير من الصدقات، ودلى عليها في سابع يوم من وفاتها عدد ٢١ مصحفا كعمرها، هكذا سمعناه، فإني في ذلك الوقت صغير وعمري حين وفاتها ستة سنوات، رأتها والدتنا السهوة بنت الفقه عبد الرازق وهي من شقايقها، وإلي اليوم حين تتذكرها تبكي، قالت رأيتها مناما وسألتها عن حالها في الآخرة، فقالت لها : إني بخير أضجعوني في الجنة على شقي اليمين ولا يهمني في الدنيا غير ابني الوحيد، وقالت لها إنكن بنات أم واحدة فأخشى أن تتحانن وتتركنه، وخلفت الوالدة - رحمها الله - أموالا كثيرة رقيقا ومواشي وخلافهما، وتنازعوا الوالد وجدتي أم والدتي فاطمة بنت هود في حضانتي وفي ما لوالدتي من الأموال فاتفق الحال أن يتولى تربيتي والدي ويعفو هو وجدتي من ميراثهم في والدتي لان لجدتي السدس ولوالدي الربع مع وجودي فكتبوا بذلك وثيقة محفوظة بيدي إلى الآن وكانت الدنيا دارت على الوالد في حياة والدتنا ولكن بمجرد وفاتها صارت في انتقاص. رأى

والدنا مناما ـ رحمه الله ـ جزرة منحورة سمينة، قال فتقدمت لأقطع قطعة من السنام فناداني منادى يا ابن الحاج سعد أتريد أن تأكل من هذا؟ هذه جيفة ؟ قص هذه الرؤيا على عمنا القاضي أحمد الفقه سعد فوضع يديه على رأسه وقال : الله أكبر ليتك أكلت منها، هذه دنياك قد ذهبت. وأول ابتداء ذهابها أن لوالدتنا جارية تسمى رضينا ورثتها من أبيها الفقه عبد الرازق وبناتها اثنتين وجارية تسمى حليمة أصدقها إياها الوالد، ولما توفت والدتنا لم يرين مثل معاملتها فهمن على وجوهن حتى أهلكهن العطش ووجدت جثثهن في الصحراء، وهكذا تناقصت الدنيا حتى صارت عيشة الكفاف بعد تلك النفقات الطائلة. وبالغ رحمه الله في تربيتنا حتى أني سمعته يقول في حقي مما ماتت والدته لم أتذكر أني أكلت مخ الساق، بل أني أتذكره كلما أكلنا اللحم يطلع مخ الساق، ولربما امتصه فيخرجه ويضعه في فمي، وما رأت عيني في الوالدين من يوزنه في الشفقة علينا وعلى أقاربه، بل على عموم المتمسكين به ولغيرهم من الأمة المحمدية.

ولما فتح محمد الخير بربر أرسل إليه أن أهدم مسجد جدك الحاج سعد وأحضر إلينا، ونبه جميع من بجوارك من أهل المساجد إذ لا حرفة لنا إلا الجهاد. فلم يهدم المسجد وتوجه إلى مقابلة محمد الخير هو ومن معه، فقال هل فعلت ما أمرتكم به؟ قال : نعم نبهت أهل المساجد إلى حدود الرباطاب أما المسجد فشأنكم وهدمه، فأني حضرت وأخليته، فقال لا حاجة لكم بأخشابه، فقال إذا هدمتموه فلا حاجة لي بالخشب هذا تحقيقا منه لا يقدر على هدمه حماية من الله وتأييدا لدعوة مؤسسه.

ولقد كان الوالد في أول فتح المهدية رأى في واقعة له أن رجلا صلي بهم إماما في مسجدنا المعلوم قال : افتتح القراءة بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين، ثم بعد ذلك قرأ " والتين والزيتون" وهذا البلد الأمين ومدها طويلا، فقال عجبت في

نفسي من زيادة هذا الواو - الذي في الفاتحة ولم يوجد في القراءات السبع، فزيادة الواو والله أعلم ، إشارة إلي ما سيحصل من الغلو والزيادة ومد هذا البلد الأمين الشارة إلى أن هذه البلاد لا تمس بسوء، وبحمد الله حفظت من النهب و السلب وانتهاك الحرمات، وهذه نادرة لم يعرف مثلها في المهدية التي خربت جميع المساجد، ومحمد الخير بعد أن طلبه عفى عنه وقال: أرجع إلى محلك وعلم الناس القرآن. وحفظهم الله في كنفه الذي لا يرام.

ولما توجه عبد الرحمن النجومي بديشه إلى دنقلا رأي الوالد أناسا كأنهم في سفينة ويتساقطون منها في البحر، قال ورأي أخانا وعمنا الحسين الماحي يريد أن يسقط مع الساقطين، قال رأيت كأني اعتنقته ومنعته من السقوط. وفعلا لما أتى ود النجومي أراد أن يتوجه معه، وكان يبكي بكاءا شديدا لوفاء البيعة على الموت. وفعلا حلف الوالد أن لا يتركه يذهب معهم. وكما هو ابن عمه كان خاله لأن والدته أخته لامه. وكل من ذهب مع ود النجومي يتمت أطفاله وأكثرهم مات جوعا، وبالجملة فان السودان في تلك الأيام فجع وصبت عليه المصائب صبا، سفكت دماء العلماء والصالحين ونهب الأموال وأدهى وأمر من ذلك تولية المشعوذين بالاعتقادات الفاسدة . وفي بعض الآثار ما عبد الله أحدا حق عبادته أربعين يوما إلا ونادي منادي فلان مهدي الله في أرضه، وأحاديث المهدية كلها ظنية تتلوها الشيعة ولعبت بها الأهواء وكثير من المعتدين وأهل الظهور ادعوها، والله أعلم بحقيقة الحال.

كان ذلك لتعلم أن سلامة الوالد وما حدب عليهم في المهدية تعد من أكبر الكرامات. ومحمد زين الأمير بأبو حمد كان يحذر أتباعه من التعرض للوالد ونهب أمواله. ولما

أتى الجيش المصري وهرب الجيش الذي برباط أبو حمد أصمهم الله وأعمى أبصارهم مع إرادتهم النهب والسلب ولم يصب محلنا أقل ضرر منهم.

وهكذا أتت خيل من الزاكي عامل بربر لكشف خبر الجيش المصري ونزلوا بمشرع الخلوات المعروف متشممين الأخبار من البوابير البحرية واختفى أكثر الناس وكانوا أربعين جوادا. ولم تروع والدنا هيأتهم ولا كثرتهم بل دخل وسطهم منفردا ولما هموا أن ينالوا البلد بسوء رأوا بالأمر المقدر دخانا فتوهموه أنه الوابور فولوا هاربين. وبعد ثلاثة أيام أتت البوابير في عام ١٣١٥هـ وفيها موظف حربي وأظنه كتشنر وكان قد سأل عن كبير البلد وشيخها الديني، فاعلم بالوالد فطلبه في الوابور وسأله عن الرؤساء المتقدمين في الرباطاب، فعرض عليه عبد الله الصايم وابراهيم محمد أبو حجل وعرفه برتبة آبائهم فوجد منه ميلا إلي عبد الله الصائم فاختاره عمدة. ولكن احتالوا عليه فيما بعد ورموه عند الحكومة. فاختار الناس بمشورة الوالد إبراهيم محمد أبو حجل، وكان رجلا كريما أديبا فاضلا متواضعا يحرص على سمعته بخير.

وبالجملة فإن حكام الانجليز كانوا يحترمونه ويستشيرونه في كل أمر يخص الجمهور. وإن هدلستون مفتش بربر سمع بزواجي فحضره.

وقد زوجني الوالد وعمري ١٥ سنة وبعد زواجي بسنة زوج أخي محمد الأكبر وبلغت في تلك السنة وحملت زوجتي بابني الأكبر وسماه الوالد - توفى وهو مراهق للبلوغ - ولد في سنة ١٣٢٥هـ وهارون أخيه ولد في سنة ١٣٢٧هـ ثم أن ابن أخينا محمد الأكبر الذي سمى محمد المنصور ولد سنة ١٣٢٨هـ وكان رحمة الله من الأبناء الصالحين البارين، وكنت أحبه أكثر من أولادي هو يبرني كذلك. حفظ القرآن العظيم وله خط

أشبه بسلاسل الذهب، وكان رحمه الله سخيا كريم اليد شجاعا مع صغر سنه، طلب العلم الشريف بجامع أم درمان ومكث في الدراسة نحوا من الثلاثة عشر عاما وحاز الشهادة العالمية، وسأسجل جوابا له على جهة التذكار لألفاظه التي هي أحلى من الشهد - ألزمنا الله الصبر الجميل وفي فقده واسكنه فراديس الجنان وهي في آخر سنين دراسته وهذه صورته حرفيا.

أم درمان المعهد العلمي في٢٧ /١٩٤٣/٥م.

بسم الله الرحمن الرحيم

به الاعانة بدءا وختماً وصلى الله على سيدنا محمد ذاتا ووصفا واسما

وبعد

إلي حضرة سمير الذكر والعلم وحليف المكارم والتقى الذي أتمثل فيه قول الشاعر:

وإذا تباع كريمة أو تشترى فسواك بايعها وأنت المشتري

ظلنا في ظهيرة الصيف، وربيعنا في الربيع ودوحتنا التي تحنو علينا حنو المرضعات على الفطيم، من إتخيل فيه قول الشاعر:

لقد علم الضيف والمرملون إذا أغبر أفق وهبت شمالا
بأنك ربيع وغيث مريع وأنك هناك تكون الثمالا

أعني وأخص بذلك الغضنفر الضرغام الليث الحبر والبحر والدي العزيز أحمد الأمين الشيخ محمد، متعنا الله بوجوده وجعل النصر المؤزر حليفنا وحليفه في جميع الحالات - آمين -

بعد تقبيل أياديكم الكريمة والسلام المحلي بجواهرالأدب النفيس وصدفه المكنون نحن الحمد لله بخير وصحة تامة، والله نسأل أن تكونوا انتم رافلين في حلل المجد والسعادة ومتمتعين بتمام الصحة التي تتمناها لكم على الدوام، بلغني أنكم رزقتم بأنثى أنبتها الله نباتا حسنا وجعلها من الصالحات - والذي انتم تعلمون أن سنتنا هذه السنة النهائية في المعهد العلمي وهي الخلاصة التي نحوز منها آخر شهادة أرجوا منكم الابتهال والتضرع إلي الله تعالى أن أكون في مقدمة القوم وأكون من الذين يحوزون قصبات السبق في هذا الميدان - نحن الآن فى غاية التعب والاجتهاد من المذاكرة، وبحول الله وقوته نشرع فى الامتحان ابتداء من يوم ١٩/٦/ ١٩٤٣ وللمعلومية حررنا لكم هذا، وإن شاء الله بعد انتهاء الامتحان والنتائج سنفيدكم، وبعد الاحتفال نحضر طرفكم، وأملنا عدم التقصير، مع سلامى لعموم من معكم، وختاما اقبلوا فائق احترامنا.

ابنكم المخلص

المنصور محمد الشيخ محمد

وفعلا حاز الشهادة العلمية وحضر مريضا، وتوفى قبل ظهر الجمعة فى ١٠ رمضان سنة ١٣٦٢هـ ، وقد قرأ فى ليلتها سورة الكهف التي كانت من أوراده وصلى الصبح وبعد شراب القهوة ظهرت عليه أعلام المنون، ولم يخلف سوى كتبه التى تدمع العيون كلما نراها، فواأسفاه ثم واأسفاه إذ لم ينل شيئا من ثمرة علمه ولا أبناءنا، ولم ينل حظا من الدنيا غير تلاوته القرآن وطلب العلم. ألزمنا الله الصبر الجميل فى فقده، فلقد كان يفرح بمؤلفاتى ويوعدني بأن يتولى معى تنقيحها وتصليحها. أسكنه الله في روضات الجنات مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين آمين.

ولنرجع لما نحن بسبيله من سيرة الوالد الذى هذا الابن ثمرة من ثمراته. ولقد حج الوالد إلى بيت الله الحرام وزار قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فى سنة ١٣٢٥هـ ، وحج في هذه السنة معه جماعة من الصالحين وأكابر السودان المشار إليهم بالبركة، منهم الشيخ محمد التوم بن الشيخ طلحة السماني، ومنهم حفيد الشيخ الطيب الشيخ عبد المحمود بن الشيخ نور الدايم الشهير، ومنهم رجل من أكابر أهل الجزيرة يسمى ود حضرة، ومنهم الشيخ محمد الأمين بن الشيخ أحمد الجعلي القادرى، وجماعة من العركيين، وأخذ والدنا جماعة من هنا منهم ابن عمه الحاج عبد الرحيم والحاج محمد أحمد الرابعاوى والحاج مراد الحاج بشير من السعداب وغيرهم كثيرين ممن أحبوا السفر معه تبركا بصحبته، وكانت حجة مباركة. يفتتح بهم الدرس ويفهمهم مناسك الحج قبل الدخول في المواقيت وبعدها وهو إمام الصلاة في القافلة، وجعل الحاج عبد الرحيم ريسا يباشر أعمال القافلة وأجرة الجمال وخلافها، ولقد قال الحاج محمد أحمد الرابعاوى كنت أرثى لحاله لأنه يظل طاويا وإذا أتيناه بالطعام يخبيه منا في توبه ويهبه لمسكين حتى كادت روحه أن تزهق من كثرة الجوع والضعف، وهو متلذذ بذلك مسرور، تلوح عليه علامة الفرح

والسروراذا أشبع مسكينا أو أغاث محتاجا، وقال : إن عندهم جبنه وإذا كثرالناس يأمرنا بالقهوة، قال: وكانت الجبنة لا تزيد على ثمانية فناجين، فلا تنتهى حتى تعم جميع المجلس اثنين اثنين وإن تكاثروا، فعجبنا من ذلك غاية العجب وتحققنا من بعض بركاته، بل عادته هنا في الخلاوي إذا وضع يده على طعام أشبع وفضل باقيه، وهذا شيء معروف عنه مشهور. ومعهم في تلك الحجة الشيخ الحسن الحاج سعد العبادي ومعه جماعة وسهى عليه أن يدخل مكة محرما، فأوصى له الوالد أن يرجع المواقيت ويستأنف العمل قبل فواته فاعتذر بأنه مريض. ثم حضر إلى مجلس الوالد للمفاوضة، قال الوالد: أول ماحضر بعد واجبات التحية قال لى أمعك شيء من الكتب العلمية ؟ فقلت نعم معي حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، فقال لماذا لم تحضر بن عشار معك، إذا أردت ان تصطاد فعليك بالبرك الصغار فانك ستجد فيها السمك. وفي الحقيقة إن الرجل كان عالما لا يجهل مثل ذلك، ولكن إذا أراد الله أمرا سلب من ذوي العقول عقولها. فلم يمكث كثيرا إلا وقد مات – رحمه الله.

وأعلمونا الحاج الذين معهم أن معهم رجلا شايقي ووالدته من العركيين أنه استيقظ ليلا صارخا بحالة جذبية وقال إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: بشَر جميع الحاج فى هذا العام بالمغفرة أو كلاما هذا معناه، وألبس الرجل أساور من فضة مقرونة فى يديه الاثنين حلفوا جميع الحجاج أنهم رأوها بأعينهم وليس عليها أثر الصياغة وأوصوا صاحبها باخفائها لئلا يطلع على ذلك والي مكة فيأخذها منه، والله أعلم بمراده.

ولقد سمعت من الوالد ـ رحمه الله ـ قال : كنا يوما جالسين بالحرم كل واحد منا فارش مصحفه يقرأ القرآن وبجانبى الشيخ محمد الأمين الشيخ الجعلي وناس من الاجلاء،

وكان هناك رجل فدعانا لمنزله ليتعرف بنا ويكرمنا. فسألنا عن أنسابنا فعرفوه أنهم جعليون وانتسبوا له، وإنى ساكت، فسألنى ثانيا من أين أنت؟ فقلت إنى عباسي و انتسبت حتى انتهيت للخلفاء العباسيين حتى اتصلت بالعباس، فقال لهم أصح الأنساب نسب فلان، فلما توجهنا من عنده قال لى الشيخ محمد الأمين الشيخ الجعلي: إلى الآن ما علمت أن للخلفاء العباسيين الذين شحنت التواريخ بسيرتهم ذرية في سوداننا، فقلت نحن ذريتهم، فقال : نعم يظهر على ذلك من تسميتكم باسم العباسيين دوننا. وعرفني رجل من أقارب الفقه بابكرالصادق، وكان الرجل مجاوراً بالحرمين وسأل العلماء الذين في مقامات الأئمة الأربعة بالمدينة فأفتوه أن من انتسب إلى العباس بغير الخلفاء العباسيين فقد كذب، وأعلمنى أن الفتاوي كانت محفوظة بخطوطهم فى هذا السبيل، وأوعدنى ان يرسلها لي فلم نجتمع بعد ذلك.

وقلما تأتى مناسبة في رحلة حجهم إلا ويذكر الوالد الشيخ محمد الأمين الجعلي ويذكر ود حضرة ويذكر مكارمهم ومالهم من المروءة التامة. وقد زارهم في كدباس حين كان الشيخ حاج حمد أحمد الجعلي مريضا. ولما قابل أولاد الشيخ وفي مقدمتهم الشيخ محمد الأمين بالغوا في إكرامه، وأمر الشيخ حاج حمد أن لا يؤم الناس فى مدة إقامته أحد سواه حتى يرتحل من عندهم. قال الوالد نسبة لأنى لم أزر كدباس قبل ذلك ولم أعرف محل قبر الولي الكامل مربى المريدين ووالد الأقمار الشيخ أحمد الجعلي، قال في جامعة الصلاة تفكرت فى زيارته وقلت في نفسي هل هو مدفون فـي مقبرة الشيخ عبد الماجد أو في محل آخر، وكان ذلك بعد صلاة المغرب، وكبر على السؤال عن ذلك، قال فرأيت نورا سطع من ضريحه حتى اتصل بنا وعرفت أن ذلك محل قبره قبل أن يعرفنى أحد. فالأولياء عرايس الله في أرضه لا يعرفهم إلا من شاكلهم.

وكان الوالد ـ رحمه الله ـ في حجته التي ذكرناها سابقا، كان يكثر من الطواف ليلا، وقد دعا كثيرا لنفسـه وذريته وأقاربه، سمعته ـ رحمه الله ـ يقول طفت الكعبة الشريفة خمسة وأربعين مره وأنا حامل المصحف الشريف على رأسى وقد سألت الله أن لا ينقطع القرآن من ذريتي. وقد تقدم أنه كان غنيا شاكرا فى حالة الغنى وكان أيضا فقيرا صابرا فى حال الفقر، يتلذذ بفقره كما يتلذذ الغنى بغناه، كثير الشكر لله على أية حالة من الحالات متحققا بقـول من قال :-

وماكان شكرى وافيا بجمالكم	ولكننى حاولت في الجهد مذهبا
افادتكم النعماء منى ثلاثة	يدى ولساني والضمير المحجبا

ولقد سأل تلميذ له يسمى أحمد عبد الرحمن بعطبره تلميذه الماحى سر الختم كيف حال شيخنا الآن؟ قال: هو مضطجع على عنقريب له بالسبيل، وهو محل بجوار الخلوة رصت فيه ازيار ملآنة ماء لتشرب الطلاب والمـارة بالطريق لأن البحر يبعد عن الخلاوي، وهي من الأعمال التي أسسها الفقه أحمد بن الأمين واستمرت إلي الآن، قال: يؤتى بكسرة خميرة من الشعير ويكب عليها ماءا باردا من الزير فيأكل وان كان معه أحد يقول: الحمد لله على هذه النعمة واستغرقوا في الضحك عجبا من حاله. فلما بلغه قال: والله هي نعمة يشكر الله عليها حين ارتضاها لنا. وكان رحمه الله قل ما يأكل طعاما لذيذا كاللحم والقمح إلا وكب عليه ماء وقال الحمد لله على هذه النعمة، وأغلب أحواله في أكله وملبسه الزهد، وأحب شي لديه اللبن والتمر والسمن، وكان يأكل التمر كثيرا ولما تخللت أسنانه يبلوه له بالماء ويشرب ماؤه، وقلما ذاق شيئا في محله إلا وأخذ فنجان السمن صباحا سرا عظيما، وقال يكسي الأعضاء نشاطا على قيام الليل، كأنه في المعدة كالسراج مع الظلام.

ولنذكر لك مسألة ثالثة من الشجاعة وكامل المروءة وذلك أنه في سنة ١٣٤٠هـ صبت الأمطار على واد يسمى "آمور" وكان الرباطاب يدعون ملكه من قديم الزمن وعربان الأرياب ينفون ذلك ، فأتفق لما حصل الري بادر الرباطاب بزراعته، وتوجه والدنا ومن معه للزراعة، فبادرهم الأرياب شاهرين السيوف يريدون قتالهم، وبعضهم رموهم بالحجارة، وأصاب الضرب بعض الناس وشج وجوههم، وهرب بعض من رؤساء الرباطاب صحبة الرجل الشجاع رحمه، فذهب وتدخل بينهم، فلما رآه العرب أتوه ممتثلين واضعين سيوفهم بين يديه، جالسين متأدبين بعد ذلك التعرم، إلى آخر ما حصل.

وهكذا حالته لا يعرف الهروب، تشهد له جميع الناس بالصلاح والشجاعة والثبات في مهمات الأمور، وإجارة من يستجير به ولو أدى ذلك إلي ضياع نفسه وماله. وكل من لم يلاحظ جبر خاطره أصيب بداء ماله راق، وأن واحدا من الناس أغضبه فأصيب بالصرع حالا اثر نظرة له بالغضب، ولقد ساقه تلميذ له ليزوجه بامرأة موجودة الآن، فأتى رجل آخر وعقد عليها بسياق رجل من الفقراء الشكاكيك يسمى الطيب الخليفة، فلما علم بذلك غضب ومسك لحيته وقال: إن دخل عليها هذه لحيتي. ولم تعرف جهة الرجل إلى الآن أهو من الأحياء أو من الأموات. وقال واحد من أولاد الهداب في مسألة: لومك يا شيخ محمد شلته على هذا رأس، فعمي حالا، فلاقاه واحد من تلامذته يقوده ابن له بالسوق فقال له كيف فعل بك لوم شيخنا الذي تحمله على رأسك. وبالجملة فكراماته كثيرة يكفي منها ما ذكرناه، وكان يجري على لسانه كثيرا إذا نسبت له كرامة "إذا من الله عليك فعل فعله ونسبه إليك".

وكان يصلي الصلوات الخمسة في المسجد المعلوم منفردا في بعض الأماكن، ويجري على لفظه والإمام الراتب إن صلي وحده قام مقام الجماعة. وكان مواظبا في صلاة

الصبح على " والضحى وألم نشرح لك" بعد الفاتحة وفي المغرب "قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد"، وفي العشاء "انا أنزلناه ولإيلاف قريش" ويقرأ في صبح يوم الجمعة خاصة "الم السجدة ولا اقسم بيوم القيامة" وما رأيته في جميع ملازمتي له ترك ذلك، ويقرأ بعد صلاة الصبح راتب السيد محمد عثمان الميرغني، والتوسلات في بعض الأحيان، وله إجازة بإمضاء السيدين الجليلين سيدي السيد أحمد وسيدي وأستاذي ومرشدي سيدي السيد على، ولا يشغله في الوقتين إلا تدريس وتصحيح. ومن الأوراد التي لم يتركها قراءة "يسن" وألم" و"السجدة" و"تبارك الملك" كل ليلة وربما قرأهما في ركعتين بعد صلاة المغرب، ولو جالسنا بعد كبر سنه وإذا حزبه أمر كرر سورة يسن كثيرا، وإذا أوتي بأحد أصيب بمس شيطان قرأ عليه سورة المزمل، وأمرنا أن نقرأ عليه المزمل واحد وعشرين مرة أو واحد وأربعين مرة. ومن الأشياء التي لم يتركها التلاوة في المصحف وخصوصا في رمضان، وقل ما استيقظت ليلا في رمضان إلا وسمعت حركته، وله في كل يوم ختمة تارة يختمها في أول الليل وتارة في أول النهار.

ويصلي بالجماعة التراويح عشرون ركعة سوى الشفع والوتر، وما رأيته قط في حياته صلي التراويح عشرا، وكان يصليها بهذه الصفة التي تلقاها عن أسلافه الكرام، وهي من الدعاء الذي لم نره إلا عندهم ومن تفرع من مساجدهم، وتلقيناها عنهم كما تلقوها عنهم، وهو بعد صلاة العشاء والباقيات الصالحات والفاتحة يقول:

" أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن " إلي قوله تعالى "وأن تصوموا خيرلكم أن كنتم تعلمون" شهر رمضان شهر مبارك تفتح فيه أبواب الجنان وتغلق فيه أبواب النيران وتصفد فيه الشياطين وينادي

منادي في كل ليلة من ليالي رمضان يا باب الخير أقبل ويا باب الشر أقصر. وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال "إن رمضان أوله رحمة ووسطه مغفرة وآخره عتق من النار"، وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال "إن في كل ليلة من ليالي رمضان سبعون ألف عتيق من النار" وروى عنه صلى الله عليه وسلم "إن لله دارا تحت العرش فهي من نور يقال لها حظيرة القدس، فيها ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله، فإذا كان أول ليلة من ليالي رمضان يستأذنون ربهم أن ينزلوا إلى الأرض ويحضرون صلاة التراويح مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وكل من مسهم أو مسوه سعيد سعادة لا شقاوة بعدها". اللهم اجعلنا من مسستهم في الحظ الأوفر والنصر الأكبر، وقال صلى الله عليه وسلم "من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر" أو كما قال. ثم يقول بعد ذلك: صلاة القيام أثابكم الله، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ولا تجعلنا من الغافلين.

ثم يشرع في التراويح ويقرأ في الركعة الأولى سورة من قصار المفصل، وفي الثانية الإخلاص مرة واحدة يسلم من كل ركعتين.

ثم يجلس بعد السلام خمسة جلسات، بعد كل أربعة ركعات جلسة، يتلو هو والجماعة:

في الجلسة الأولى بعد السلام:

"صاحب الجبين الأنور والخد الأزهر واللواء والكوثر أبو القاسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم " ويقول كما تقدم اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ولا تجعلنا من الغافلين.

ويقول في الجلسة الثانية:

"أولا من أربعة، سابق للصدق والتصديق، المقلد بقلائد الحق والتحقيق، المكني بأبي بكر المقلب بعتيق، شيبة الحمد سيدنا أبو بكر الصديق، رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وجعل الجنة متقلبه ومثواه، ورضي الله تعالى عن كل الصحابة أجمعين" ويقول كما تقدم اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ولا تجعلنا من الغافلين.

وفي الجلسة الثالثة يقول:

"حنفي في المحراب، كاب الضعفاء والطلاب، أبو حنفي سيدنا عمر بن الخطاب، رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وجعل الجنة متقلبه ومثواه، ورضي الله تعالي عن كل الصحابة أجمعين"، ويقول كما تقدم اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ولا تجعلنا من الغافلين.

ثم في الجلسة الرابعة يقول بعد الدعاء:

"جامع سور القرآن، من استحت منه ملائكة الرحمن، المقتول في داره ظلما وعدوان، ذو النورين سيدنا عثمان بن عفان، رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وجعل الجنة متقلبه ومثواه، ورضي الله تعالى عن كل الصحابة أجمعين " ويقول كما تقدم اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ولا تجعلنا من الغافلين.

وفي الجلسة الخامسة يقول بعد الدعاء:

" فتى بني غالب، فارس المشارق والمغارب، وهو الضارب في الكتايب، ومظهر العجائب، أبو الحسنين سيدنا على بن أبي طالب، كرم الله وجهه وأرضاه، وجعل الجنة

متقلبه ومثواه، ورضي الله تعالى عن كل الصحابة أجمعين، وعن التابعين وتابعي التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلام على جميع الأنبياء والمرسلين، والحمد لله رب العالمين ". ويقول كما تقدم اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ولا تجعلنا من الغافلين.

ثم يصلي الشفع " بسبح والكافرون" والوتر "قل هو الله أحد" ثلاثا والمعوذات، ويكون قد قرأ الإخلاص في التراويح ثلاثة عشر مرة، ولقد ورد في الحديث أن من قرأ الإخلاص ثلاثا فكأنما قرأ القرآن.

ثم بعد الشفع والوتر وما تقدم يقول والجماعة خلفه يقولون بصوت واحد كأنما يلقنهم

سبحان الملك القدوس ثلاثا

سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثلاثا

سبحان من تسمى قبل أن يسمي

سبحان من كان عرشه على الماء

سبحان من له الصفات العلا

سبحان ذي المجد الرفيع الأعلى

سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا

سبحان ذي الملك والملكوت

سبحان ذي العزة والجبروت

سبحان من هو حي لا يموت

سبحان من احتجب بعزه فلا عين تراه

سبحان من سجدت له الوجوه والجباه

سبحان القريب المجيب لمن دعاه

سبحان الرءوف الرحيم لمن عصاه،

سبحان من أدخل يونس بطن الحوت ثم نجاه

سبحان من أدخل محمد بطن الغار ثم اصطفاه

سبحان من أدخل يوسف غيابة الجب فأحسن مثواه

سبحان من كلم موسى على جبل الطور وأدناه

سبحان من اختار محمدا حبيبا وارتضاه

يا الله يا لطيف

يا لطيف يا الله

يا لطيفا لم تزل

ألطف بنا فيما نزل

إنك لطيف لم تزل

يا رجاء كل الرجا

يا عظيم المرتجى

لا تخيبنا الرجا

عبدك الفاني الذليل

يرتجى منك النجا

يا من إليك الملتجى

يا من إليه المنتهى

فاعلم أنه لا اله إلا الله

ثم ينقسم الناس طائفتين طائفة مع الإمام وطائفة تجاوبهم بمثل ما قالوا، وذلك بصوت شجي وحضور تام ، يقولون: لا إله إلا الله يمدونها بالتعظيم حسب الاستطاعة والنشاط في الذكر والتلذذ بحلاوته وبهذه الهيئة أيضا يقولون، لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الله، يرفع الإمام تكريرهما ويقول: عليها نحيا وعليها نموت وعليها نبعث إن شاء الله، آمين، ويقرأون فاتحة الكتاب ثم يبسطوا أيديهم ويقولون على النهج السابق:

حسبنا الله ونعم الوكيل وعلى الله توكلنا

استغفر الله رب البرايا

استغفر الله من الخطايا

محمد بشر لا كالبشر

بل هو كالياقوت بين الحجر

وهكذا ثم يختتمون بالفاتحة .

إن شاء الله إذا مد الله في الأيام أشرحه شرحا وافيا، ولقد كان لنا كتاب ضاعت نسخته يسمى "تحفة الأخوان في التذكر واداب رمضان".

فلنرجع لما نحن بسبيله فلقد كان الوالد رحمه الله أسمر اللون، مدور الجبهة، متوسط القامة، مدور اللحية كثيفها، جميل الأنامل، فلقد قال لي تلميذه بابكر الحاج كرار، كنت أقص أظافر يده فرأيت مكتوبا على إبهامه بخط القدرة (الله).

أما أولاده فأخينا محمد الأكبر والمعتصم أشقه، والدتهم الخيزران بنت محمد فرح من فرع الرباب فرع الحميطلباب، والحاج و الخليفة أشقه والدتهم بنت خاله فاطمة بنت محمد أحمد عبد القادر، وهي أول زوجاته على ما تقدم، أما ذريته في ابنة أخيه ابن عمه عثمان محمد أبو سنينة، أكبرهم يسمى المأمون ومحمد الحسن والسجاد، وهو من الحفاظ جعلهم الله اتقيا وكراما بررة. والباقي في بنت عثمان خمسه إناث.

ولما أراد الله أن يختاره إلى جواره الكريم رأيت نصف النهار وأنا في مدينة سنار في نومة القيلولة رأيته يقول لي يا ابني فلان كيف تتركني سنتين أما تخشى الموت، فاستيقظت باكيا مذعورا، ورأيت إني أتيت على جبانة قديمة وهناك مسجد مبنى من الطوب الأحمر وهو مهدوم من الجانب القبلي، ورأيت أنا وأخواني كأننا في ظل سدرة ولم أتحقق من أخواني غير أخي خليفة الشيخ محمد ونحن مارين شوارع السدر ومعنا الوالد فتذكرت إني استشهدت بالآية " في سدر مخضود ... الخ " كل هذه الرؤى قريبة من بعضها. وأيضا رأي أخونا محمد أن جانب الخلوة القبلي كان مهدوما، ورأي أخونا المعتصم أن والدنا مضطجع في بنية جده الفقه محمد ويأمرنا بمباني في الجبانة وبعد ذلك يقول لنا لا اقدر أن اذهب معكم اذهبوا انتم واتركوني هنا وافعلوا كذا وكذا. وكثير من الأخوان رأي رؤى تدل على غروب شمس وجوده في الدنيا، وأنا كنت بسنار كما ذكرت سابقا فورد لي تلغراف بأن الوالد على خطر وقريبا رأيت ما ذكرت فبادرت بالسفر، ولا أصدق بأن أجده حيا فان ذلك من أكبر مقاصدي فلما حضرت ووجدته بقيد الحياة حمدت الله على ذلك فحضرت بين يديه، فعانقني وبكى كثيرا وأبكاني وأبكي الحاضرين، وقال لي الحمد لله على حضورك، فتوليت تمريضه مع أخي محمد واختنا زينب، وإقامته للصلاة، وعفي عني ورضي مرارا وتكرارا، وذلك من أكبر مقاصدي. وبحمد الله شفي قليلا وأردت الرجوع إلي محلي لقطع العلاقات هناك، فقال لي إني لا أقوم من هذا المرض ولابد أن يقبض الله روحي قريبا. وحكي أنه كان مستيقظا جالسا في المسجد إذ أتت رجال أحدهم ضربني في صدري بشيء يشبه الرصاص، فقال له واحد معه، لم تضربه كضربة أبنه، ضربة أصابت منه مقتلا، فقال لقد أصبت منه مقتلا، فذهبا، وذلك يقظة لا مناما. وقال : إني أحس بألم الضربة الآن. والشيء بالشيء يذكر أن أبنا لي كان يسمى عبد الله السفاح، هو أكبر أولادي، قال أتوني أشخاص وقال

واحد منهم لصاحبه أضربه فان والده أتعبنا وفعلا ضرب ولم يعش بعد ذلك إلا قليلا ولقد كنت أعالج العزايم والله أعلم بأسرار عوالمه.

ولما كان يوم الثلاثاء الموافق خمسة عشر ذو القعدة سنة ١٣٤٦هـ، ألف وثلاثمائة ستة وأربعين، أمر بتطهير ثيابه وتطهير جسمه بعد أن صلي العصر على فراشه، وفعلا أختنا زينب كانت ملازمة له وذهبت لغسل ثيابه في البحر فرحا بذلك، وآتيناه بثوب آخر فأخرجناه بعد غسله، فأحتضر، فجلست بجنبه الأيمن، وأخي محمد بالجنب الآخر، فبعد أن غمضنا أعينه ومسحنا وجهه بالماء فتح عينيه ثانيا، فبادرته أنا معلنا لا إله إلا الله، فنظر إلي محدقا، وقال بلسان طلق أشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله، و غربت شمس وجوده مع غروب الشمس في ذلك اليوم، قاضيا من العمر سبعة وسبعين سنة، منها سبعة وأربعين سنة في الخلافة، قضاها كلها في البر والأعمال الصالحة. رزقنا الله اقتفاء آثاره. فضجت الناس وتعالت الأصوات بالنحيب، بالرغم عن ما تجرعناه من الصبر الذي هو أمر من الصبر وذكرنا من عزانا بالأنبياء والمرسلين وأكابر الصالحين. ودفن في يوم الأربعاء وصلي عليه خلق لا يحصون.

ثم بعد أن رجعنا تكلم الناس والأقارب فيمن يكون الخليفة أنا أو أخونا محمد الأكبر، لأننا لم نعينه لهم، وفي أيام الفراش كان كل من حضر يصلي بالناس، وكثر القيل والقال وبعد أيام اجتمع الناس، أتيت أمام المسجد الكبير وأحضرت أخواني وجعلتهم صفا، ودعوت بقية الناس للحضور، وأمرت أن تحضر التقروقة، وأجلست عليها أخي الأكبر محمد، ولويت له العمامة، وخطبت في الناس خطبة بليغة أجرت الدموع من الناس، وأعلنت لهم بأن الخليفة هو أخونا محمد الأكبر، ولم أبق في خطبتي كلاما لمتكلم، فقال

بعض الناس هذا الاتفاق، وقل المنافسة في الخلافة من بركة المتقدمين لأسلافهم، لأن عادة أهل المراتب المنافسة في التقديم، فأجابه آخر بقول لو كان هذا من بركة المتقدمين لما حصلت الفتنه في الخلافة. هذا المحل من قبله، ولكن من بركة هذين. ألسنة الخلق أقلمة الحق. وكنت قبل ذلك رأيت في واقعة لي كأني لابس بزي الحكام الموجودين الآن، واثنين بهذه الهيئة أيضا واحد اصغر من واحد في المرتبة، كأنه المأمور، والثاني المفتش، وأمامنا مباني عالية، وقصور شامخة، ونحن قاصدين نحوها للدخول فيها، فسأل الأصغر الأكبر لمن هذه المباني؟ فيجيبه لفلان والإشارة إلي، فيخاطبه من بناها له؟ فيقول له آباؤه، فيقول له ليس الرجل من بني له أباه، إنما الرجل من بني بنفسه، فامتنعت عن دخولها زهدا فيها لقولهم. وبحمد الله لم أعد أعدم شيئا من الجـاه في بلاد ليس للآباء فيها ذكر وفي الحقيقة كما قال الشاعر:

السيف بحده لا بغمده   والمرء بسعده لا بجده

وغيره:

إن الفتى من يقول ها أنا ذا   ليس الفتى من يقول كان أبي

ولا ينال في هذا ما سوقناه من كراماتهم وأحوالهم تحبيذا لنا على اقتفاء آثارهم والاتصال بأحوالهم كما أشرنا إلي ذلك في خطبة الكتاب، احتفاظا بتلك القومية العالية، ولأنه ورد في الحديث "عند ذكر الصالحين تتنزل الرحمة وعند نزول الغيث في الأمطار" ولقد رأينا كل من تمسك بفخرهم خاليا عن العمل الخالص، متفخفخا

بالانتساب فقط، انحط من مرتبة إلى أسفل سافلين. جعلنا الله من العاملين الصالحين المتقين آمين.

ولنرجع لما قدمناه ولنرجع لما نحن في سبيله فلقد دعي لي الناس بكل خير في تقديمي لأخي الأكبر مع إني أمت إلي سبعة من الخلفاء في القرابة سوى الفقه محمد ووالده الحاج سعد والخليفة الأمين وابنه الفقه محمد وأخيه الفقه احمد والفقه طويلب عبد الرازق ووالدي الشيخ محمد ووالده محمد الحاج الحسين.

ثم بعد وفاة الوالد وردت علينا رسائل التعازي والمراثي من كل الجهات. قال الشيخ خلف الله المراثي الحسين المليح يرثيه شعرا:

سميت نفوس واضمحل وكاء	وإنجاب ستر بان فيه خباء
وتنكرت أعلام الهدى والوفا	وأهل المساجد عمهن بلاء
والله يجبر كسرمن فقدوا له	من مسلمين وإخوة وأبناء

ولقد رثاه العالم العلامة التقي الفاضل الشيخ مصطفى الإمام العباسي بجزيرة كرقس بالرباطاب بنواحي عتمور رحمه الله رحمة واسعة وهو أخى العلامة احمد الإمام المشهور بتكرون مد الله أيامه حيث قال:

أمن طارقات الدهر صبرك نازح   أم أغراك قمري على الدوح نايح
وظلت حزينا جازعا متهتكا   وفاضت بكلتا مقلتيك سوافح
وبت بليل لم تذق فيه الكرى   دهاك به وجد طوته الجوانح
متى قيل أودي الشيخ نجل أئمة   شذاهم مدى الأزمان كالمسك فايح
فيا لمصاب حل ما بين قومنا   ألم بهم خطب جليل وفادح
لعمرك ما يغني البكاء على فتى   عكوف على الطاعات ليس يبارح
محمد من كان غيثا لو أتى يوم   له العاني فيرجع رابح
وقد كان في ناديه كالبدر ساطعا   كما إنه بحر في الجود طافح
وقد كان مقر للضيوف بسوحه   بشوشا إذا ما بان بالفجر ذابح
يا مهجتي جودي على أفقه سيد   نعته كرام طيبون جحاجح
عليه بكى القاصي كمن كان دانيا   أهل التقي طرا ومن كان طالح
سقى قبره من واكف القفر صيب   لتسقى قبور حوله وضرايح
ألا يا بنيه الغر صبرا فإنه   بكم يقتدي بالصبر من هو صالح
لا تركنوا يوما لواش بقوله   يريكم ودادا وهو للسوء جامع
يحاول إيغار الصدور وقوله   أتى مادحا وهو في الغير قادح
وهاكم رثائي يا كرام فإنني   لودكم راع وبالحق ناصح
ودمتم بحفظ الله ما الكون عامر   ومهما على الأغصان غنت صوادح

هذا ولنكتفي بذلك من سياق سيرة الوالد على سبيل الاختصار.

- انتهى –

إيقاظ الناس لشرف بني العباس في السودان

ظلت هذه المخطوطة أربعين عاما في دهاليز و(مرقون) جدتى فاطمة محمد أحمد الخزين منذ العام ١٩٤٠ وحتى ١٩٨٣ حيث جمعها على الآلة الكاتبة د. أحمد المعتصم وظلت في حفظه حتى هيأ الله لي في العام ٢٠١٠ جمعها على الكمبيوتر وطباعتها ونشرها لتكون في متناول أيدى الجميع. واستهدف بهذا النشر

١. إحياء نشاط وتراث الاسرة لرسم نهج تربية آبائنا وبناتنا وإنارة الطريق لهم لحمل الرسالة
٢. المهتمين بتاريخ السودان والبيوت الدينية والتراث عموما.
٣. أفرع العبابسه الأخرى في السودان لينهجوا نفس النهج لإخراج ما لديهم من مخطوطات
٤. الباحثين والأكاديميين في التاريخ لتحقيق هذه المخطوطة.

د. عمار السجاد الشيخ

٠٩١٢٣٠٥٤٤١

Contac1966@hotmail.com

إيقاظ الناس لشرف بني العباس في السودان

ظلت هذه المخطوطة اربعين عاما في دهاليز و(مرقون)
جدتي فاطمة محمد أحمد الغزين منذ العام ١٩٤٠ وحتى
١٩٨٣ حيث جمعها على الإله الكاتبه د. أحمد المعتصم
وظلت في حفظه حتى هيأ الله لي في العام ٢٠١٠ جمعها
على الكمبيوتر وطباعتها ونشرها لتكون في متناول أيدي
الجميع واستهدف بهذا النشر

١/ احياء نشاط وتراث الاسره لرسم نهج تربية أبنائنا وبناتنا
وإنارة الطريق لهم لحمل الرسالة .
٢/ المهتمون بتاريخ السودان والبيوت الدينية والتراث عموما ،
٣/ أفرع العبابسة الأخرى في السودان لينهجو نفس النهج
لإخراج ما لديهم من مخطوطات
٤/ الباحثين والأكاديميين في التاريخ لتحقيق هذه المخطوطة .

د عمار السجاد الشيخ
٠٩١٣٣٠٨٤٤١
Contact: 1966@hotmail.com